مختار العقد الفريد

لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

اختيار لجنة من علماء وأدباء مدرسى مدرسة القضاء الشرعى

صححه ورتبه وأضاف عليه زيادات كثيره

الاديب : عثمان الخاني

(عنيت بنشره)

مكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الازهر بمصر

لصاحبها : محمود على صبيح

المطبعة المحمودية التجارية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد مقر بالعجز ، معترف بالتقصير ، سبحانه أنعم فتفضل، وتفضل فأجزل ، فلا يقوم لسان بشكره ، ولا يحيط جنان بنعمه. والصلاة والسلام على أفصح الامم وصفوة الخلق من عرب وعجم ، وعلى آله وأصحابه المهتدين بهدية ، السالكين سبيل فضله ، ومن تبعهم فى هدايتهم ، وتمسك بحبل روايتهم ما أشرقت شمس فصاحة العرب ، عدد ما حبروا من فصيح الخطب

وبعد فلما كان كلام العرب وبلاغتهم مما لا ينكر سمو قدره . ولا يبلغ شأوه وكان ما وصل الينا منه غرفة من بحر، وقطرة من وبل ، وقد قام بتدوينه أجلة العلماء ، وأهتم بجمعه فطاحل الادباء ، وكان ممن لهم فيه سهما وافرا ، وعملا مشكورا أبو عمر وأحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المولود في سنة ٢٤٦ هجرية المتوفى سنة ٣٢٨ رحمه الله تعالى

فقد جمع كتابه (العقد الفريد) احد كتب الادب الاربعة المشهورة فى كثير من كتب الاخبار والمسامرات ، ودون

فيه طائفة صالحة من رائع البلاغة والمحاورات غير انه كرر فيه كثير من الاقوال المختلفة المناسبات حتى طال على المطالع والنفس تسأم من التكرار ، وقد قام جماعة من علماء وأدباء افاضل مدرسى مدرسة القضاء الشرعى باختصاره وحذف مالا يلزم اليه الحاجة وأن كان سعيهم مشكوراً ، وعملهم مبروراً إلا أنهم لم يأخذوا منه كل ماهو نافع ، ولم يتركوا فيـه كل مامنه غنى ، وقد نفد ماجمعوه وتلقفت الأيدي جميع ماطبعوه ، لذلك كلفنى حضرة الصديق الاجل « محمود افندى علي صبيح » صاحب المكتبة المحمودية التجارية فى أن اعاود الكرة ، وأراجعه المرة بعد المرة ، حتي أستخلص من بحره الفياض درره ، ومن بارع لفظه غرره ، فجاء بحمد الله وافياً بالمرام ، جامعاً لما فى العقد الفريد من لطيف التعبير وملح الـكلام ، وسميته « مختار العقد الفريد » مشيرا الى مختار كل جزء فى آخره ، معنونا كل فصل باسمه ، وأسأله تعالى أن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الـكريم ، ويرزقنا العفو والعافية أنه سميع عليم م

عثمان خليل

٢٠ من جمادى الاولى سنة ١٣٤٤ هـ

الموافق ٦ من ديسمبر سنة ١٩٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من كتاب اللؤلؤة فى السلطان

السلطان زمان الامور ، ونظام الحقوق ، وقوام الجدود ، والقطب الذي عليه مدار الدنيا ، وهو حمى الله في بلاده ، وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم ، وينتصر مظلومهم ، وينقمع ظالمهم ، ويأمن خائفهم ، فحق على من قلده الله أزمة حكمه ، وملكه أمور خلقه ، واختصه باحسانه . ومكن له في سلطانه ، ان يكون من الاهتمام بمصالح رعيته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته ، بحيث وضعه الله من الكرامة ، وأجرى عليه من أسباب السعادة . قال ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)

١ ﴿نصيحة السلطان ولزوم طاعته﴾

قال الله تعالي : (يأيها الذين آمنو أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وقال النبي ﷺ (من فارق الجماعة أو خلع يداً من طاعة ، مات ميتة جاهلية) وقال ابن عباس ، قال لى أبي : أرى هذا الرجل (يعني عمر ابن الخطاب) يستفهمك ويقدمك على الاكابر من اصحاب محمد ﷺ ، واني موصيك بخلال أربع ، لا تفشين له سرا . ولا يجربن عليك كذبا . ولا تطوعنه نصيحة . ولا تغتابن عنده أحدا . دخل رجل من الهند على بعض ملوكهم فقال : أيها الملك ، ان نصيحتك واجبة في الصغير والحقير والكبير والخطير ، ولولا الثقة بفضيلة رأيك ، واحتمالك ما يشق في جنب صلاح

العامة ، وتلافى الخاصة ، لكان خرقا مني أن أقول . ولكنا إذا رجعنا الى أن بقاءنا موصول ببقائك ، وانفسنا متعلقة بنفسك ، لم نجد بدا من اداء الحق لك ، وان أنت لم تسلني ذلك . فانه يقال : من كتم السلطان نصيحته ، والاطباء مرضه ، والاخوان بثه ، فقد أخل بنفسه . وأنا أعلم أن كل كلام يكرهه سامعه لم يتشجع عليه قائله . الا ان يثق بعقل المقول له ذلك ، فانه اذا كان عاقلا احتمل ذلك لانه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل ، وأنك ايها الملك ذو فضيلة فى الرأى ، وتصرف فى العلم ، فانما يشجعني ذلك على ان اخبرك بما تكره ، واثقا بمعرفة نصيحتى لك ، وايثاري اياك على نفسي .

٢ ﴿مايصحب به السلطان﴾

قال ابن المقفع : ينبغى لمن خدم السلطان أن لا يغتر به اذا رضى عنه ولا يتغير له اذا سخط ، ولا يستثقل ما حمله ، ولا يلحف فى مسألته . وقال : اذا نزلت من السلطان منزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له فى كل كلمة ، فان ذلك يوجب الوحشة ، ويلزم الانقباض . وقالوا : ينبغى لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وان استثقلها ، وليكن كلامه كلام رفق لا كلام خرق حتي يخبره بعيبه من غير ان يواجهه بذلك . ولكن يضرب له الامثال يخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه .

قدم عمر بن الخطاب الشام راكبا حمارا ، ومعه عبد الرحمن بن عوف فتلقاهما معاوية في موكب ثقيل ، فجاوزهما ولم يعرفهما ، حتى أخبر فرجع ، فلما قرب منهما نزل ، فاعرض عنه عمر وهو ماشيا بجانبه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل ! فقال له يامعاوية : أنت صاحب الموكب مع وقوف

ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، قال: ولم ؟ قال : لانا فى بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ، ولا بد مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني أقمت، وان نهيتني انتهيت . قال: لئن كان ماقلت حقا فانه رأي أريب ، وإن كان باطلا فانها خدعة أديب ، وما آمرك ولا انهاك .

فقال عبد الرحمن : لحسن ماصدر هذا الفتي عما أوردته فيه ، فقال : لحسن موارده جشمناه ماجشمناه

٣ ﴿ اختيار السلطان لاهل عمله ﴾

قال عدى بن أرطاة : لاياس بن معاوية ، دلنى على قوم من القراء اولهم .فقال : القراء ضربان ، ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك اذا أمكنتهم منها ؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم . وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه : دلونى على رجل استعمله .فقال له روح بن زنباع : أدلك ياأمير المؤمنين على رجل ان دعوتموه اجابكم ، وأن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحف طلبا، ولا بالممعن هربا، عامر الشعبي .فولاه قضاء البصرة

قال ابو بكر الصديق لخالد بن الوليد : فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة

ولما قدم رجال الكوفة يشكون سعد بن أبي وقاص ، فقال : من يعذرنى منهم ؟ إن وليتهم التقى ضعفوه ، وان وليتهم القوى فجروه فقال له المغيرة : ياأمير المؤمنين ، إن التقى الضعيف له تقواه وعليك ضعفه ،

والقوى الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال : صدقت وأنت القوي الفاجر فاخرج اليهم ، فلم يزل واليا عليهم حتى مات في أيام معاوية .

٤ ﴿حسن السياسة واقامة المملكة﴾

كتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك يصف نفسه وكان الوليد طلب ذلك منه فقال : إنى أيقظت رأيى وأنمت هواي ، فأدنيت السيد المطاع فى قومه ووليت المجرب الحازم فى امره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته وقسمت لكل من نفسي قسما اعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري ، وصرفت السيف الى النطف المسيء ، والثواب الى المحسن البريء ، فخاف المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب . وقال ازدشير لابنه : يابنى ان الملك والعدل اخوان لا غنى باحدهما عن صاحبه ، فالملك أس ، والعدل حارس ، فما لم يكن له أس فمهدوم ، ومالم يكن له حارس فضائع . يابنى اجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لاهل الجهاد ، وبشرك لاهل الدين ، وسرك لمن عناه ماعناك من ذوي العقول . وقال عمر بن الخطاب : لا يصلح لهذا الامر الا اللين من غير ضعف ، القوى من غير عنف . وكتب ارسطاطاليس الي الاسكندر أملك رعيتك بالاحسان اليها ، تظفر بالمحبة منها ، فان طلبك ذلك باحسانك ، أدوم بقاء منه باعتسافك . واعلم انك انما تملك الابدان فاجمع لها القلوب ، واعلم ان الرعية اذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل ، فاجتهد ان لا تقول تسلم من ان تفعل .

وقال معاوية : انى لا أضع سيفي حيث يكفينى سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفينى لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له وكيف ذلك ؟ فقال : كنت اذا مدوها ارخيتها ، واذا ارخوها مددتها . وقال الوليد ابن عبد الملك

لابيه : يا أبت ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع. أوخطب سعيد بن سويد بحمص فقال: ايها الناس ان الاسلام له حائط منيع، وباب وثيق، فحائط الاسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضربا بالسوط، ولكن قضاء بالحق، واخذ بالعدل.

٥ ﴿بسط المعدلة ورد المظالم﴾

جلس المأمون يوما للمظالم، فكان آخر ما تقدم اليه وقدم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه، فقالت: السلام عليك يا امير المؤمنين، فنظر المأمون الي يحيي بن اكثم فقال لها يحيي وعليك السلام يا امة الله تكلمي في حاجتك. فقالت:

يا خير منتصف يهدي له الرشد ويا إماما به قد اشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم ارملة عدا عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الاهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه وهو يقول:

في دون ماقلت زال الصبر والجلد عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي اعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الاحد

فلما كان يوم الاحد جلس فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك السلام أين الخصم؟ فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الي العباس ابنه، فقال: يا أحمد

ابن أبي خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس: فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله انك بين يدي أمير المؤمنين، وانك تكلمين الامير. فاخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها يا احمد، فان الحق أنطقها وأخرسه. ثم قضي لها برد ضيعتها وأمر لها بنفقة.

ورد على الحجاج سليك بن سلكة فقال: اصلح الله الامير، ارعني سمعك، واغضض عني بصرك، واكفف عني غربك، فان سمعت خطأ او زللا فدونك العقوبة، قال قل: فقال: عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي. وهدم منزلي، وحرمت عطائي. قال: هيهات أوما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد تعدى الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيره ونجا المقارف صاحب الذنب

قال: أصلح الله الامير، اني سمعت الله عز وجل قال غير هذا. قال: وما ذاك؟ قال الله (يأيها العزيز ان له ابا شيخا كبيراً فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين. قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا إذاً لظالمون) قال الحجاج: علي بيزيد بن مسلم، فمثل بين يديه فقال: افكك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطائه، وابن له منزله، ومر منادياً ينادي صدق الله وكذب الشاعر.

وقال معاوية: اني لاستحي ان اظلم من لا يجد علي ناصراً الا الله.

وكتب الى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته، فكتب اليه: حصنها من العدل، ونق طريقها من الظلم.

٦ ﴿ صلاح الرعية بصلاح الامام ﴾

قال الحكماء: الناس تبع لامامهم في الخير والشر. ولما أتى عمر بتاج كسري وسواريه قال: إن الذي أدي هذا لأمين، فقال له رجل: ياأمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ماأديت الي الله، فان رتعت رتعوا

اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة، فانكر منها شيئا فقال لوكيله: إني لاظنك تخونني؟ قال: أتظن ولا تستيقن؟ قال: وتفعل؟ قال: نعم. اني لأخونك، وأنت لتخون أمير المؤمنين، وأمير المومنين يخون الله، فلعن الله شر الثلاثة.

٧ ﴿قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه﴾

قالت الحكماء: لاينفع الملك الا بوزرائه وأعوانه، ولا ينفع الوزراء والأعوان الا بالمودة والنصيحة، ولاتنفع المودة والنصيحة، إلا مع الرأي والعفاف. ثم على الملوك بعد ذلك، أن لايتركوا محسنا ولا مسيئا مادون جزاءه. فانهم اذا تركوا ذلك تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الامر، وبطل العمل. وقال الأحنف بن قيس: من فسدت بطانته، كان كمن غص بالماء فلا مساغ له، ومن خانه ثقاته فقد أتي من مأمنه. وقالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من كل صاحب يحسن القول، ولا يحسن الفعل، لاخير في القول الا مع الفعل، ولا فى المال الا مع الجود، ولا فى الصدق الا مع الوفاء، ولا فى الفقه الا مع الورع، ولا فى الصدقة الا مع حسن النية، ولا فى الحياة الا مع الصحة.

٨ ﴿ صفة الامام العادل ﴾

كتب الحسن البصري ، الي عمر بن عبدالعزيز ، يصف الأمام العادل.
إعلم ياأمير المؤمنين : أن الله جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، والامام العادل ياأمير المؤمنين ، كالراعي الشفيق على ابله ، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعي ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذي الحر والقر ، والامام العادل ياأمير المؤمنين ، كالأب الحاني على ولده ، يسعى لهم صغاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد مماته ، والأمام العادل ياأمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة ، الرفيقة بولدها ، حملته كرها ، ووضعته كرها ، وربته طفلا ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته ، وتغتم بشكايته ، والامام العادل ياأمير المؤمنين ، وصي اليتامى وخازن المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم ، والأمام العادل ياأمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والامام العادل ياأمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر الى الله ويريهم ، وينقاد الى الله ويقودهم . واعلم أنه أنزل الحدود ، ليزجر بها عن الخبائث ، والفواحش . فكيف إذا أتاها من يليها ؟ والقصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ؟

٩ ﴿ هيبة الأمام وتواضعه ﴾

قال ابن السماك لعيسى بن موسي : تواضعك فى شرفك ، أكبر من

شرفك . وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وانصف عن قوة . وقال الفرزدق: في زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنه

يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

١٠ ﴿ حسن السيرة والرفق بالرعية ﴾

قال الله تعالى لنبيه: « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك». وقال النبي ﷺ « من أعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق ، فقد حرم حظه من الخير كله » . وكتب عمر بن عبد العزيز الي عدي بن ارطاة : اما بعد ، فان امكنتك القدرة على المخلوق ، فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم إن مالك عند الله مثل ماللرعية عندك . وقال خالد بن عبد الله القسري : لبلال بن ابي بردة ، لايحملنك فضل المقدرة على شدة السطوة ، ولا تطلب من رعيتك ، الا ماتبذله لها . (فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وكتب معاوية الي زياد : لا ينبغي ان نسوس الناس سياسة واحدة لانلن جميعا فتمرح الناس في المعصية ،ولا نشتد جميعا فنحمل الناس على المهالك،ولكن تكون أنت للشدة والغلظة،وأكون أنا للرأفة والرحمة .

١١ ﴿ ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم ﴾

قالت الحكماء : احزم الملوك من قهر جده هزله ، وغلب رأيه هواه ، واعرب عن ضميره فعله ، ولم يخدعه رضاه عن سخطه ، ولاغضبه عن كيده . وقال عبدالملك بن مروان لابنه الوليد وكان ولى عهده : يابني انه ليس بين

السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الاحرفان ، حزم، وتوان ، وقالوا : لا يكون الذم من الرعية لراعيها الالأحدي ثلاث، كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنا ، أو لئيم بلغ به مالا يستحق فأورثه ذلك بطراً ، ورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطا . وقيل لرجل سلب ملكه، ماالذى سلبك ملكك ؟ قال: دفع شغل اليوم الي غد، والتماس عدة بتضييع عدد ، واستكفاء كل مخدوع عن عقله - والمخدوع عن عقله من بلغ قدرا لا يستحقه ، وأثيب ثوابا لا يستوجبه . وكتب عبد الله بن طاهر ، الي الحسن بن عمرو : أما بعد . فقد بلغني من قطع الفسقة الطريق مابلغ ، فلاالطريق تحمى، ولا اللصوص تكفي ، ولا الرعية ترضي ، وتطمع بعد هذا في الزيادة، إنك لمنفسح الامل. وايم الله لتكفين من قبلك ، أولأوجهن اليك رجالا لا تعرف مرة من جهم ولا عديا من رهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله

بعث معاوية الي عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم ، وكتب الى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك لعمر ، فخرج الرسول حتي قدم على ابى سفيان بالمال والأدهم . فذهب ابو سفيان بالكتاب والأدهم الى عمر، واحتبس المال لنفسه. فلما قرأ عمر الكتاب قال : أين المال ؟ قال: كان علينا دين ولنا في بيت المال حق. قال عمر اطرحوه في الأدهم حتي يأتي بالمال، فارسل ابو سفيان من أتي به وامر عمر باطلاقه، فلما رجع الرسول الى معاوية ، قال هل اعجب أمير المؤمنين بالأدهم ؟ قال نعم وطرح فيه اباك، قال ولم ؟ فقص عليه القصة ، فقال معاوية: اى والله ولو كان الخطاب لطرحه فيه .

١٢ ﴿التعرض للسلطان والرد عليه﴾

قدم عقبة الازدي ، على معاوية ودفع اليه رقعة فيهاهذه الابيات :

معاوي اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع في الخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعابه معاوية فقال : ماجرأك على ؟ قال : نصحتك اذ غشوك ! وصدقتك إذ كذبوك ، فقال : ما أظنك الا صادقا وقضى حوائجه .

قالت الحكماء : من تعرض للسلطان أرداه ، ومن تطامن له تخطاه . وشبهوه فى ذلك بالريح العاصفة التي لاتضر بمالان من الشجر ، ومال معها من الحشيش ، وما استهدف لها من الدوح العظام قصفته قال الشاعر :

هو السيف إن لاينته لان متنه وحداه إن خاشنته خشنان

١٣ ﴿تحلم السلطان على أهل الفضل والدين اذا اجترءوا عليه﴾

أرسل ابو جعفر الي سفيان الثوري ، فلما دخل عليه قال : عظني أبا عبد الله . قال : وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت ؟ فما وجد له المنصور جوابا . دخل سالم مولي عمر بن عبد العزيز . على عامل للخليفة فقال له : ياابا النضر إنا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ،ولا نجد بداً من إنفاذها ، فما تري ؟ فقال له أبو النضر : قد أتاك كتاب من الله قبل كتاب الخليفة ، فأيهما اتبعت كنت من اهله. دخل رجل علي هشام فقال. ياأمير المؤمنين احفظ عنى اربع كلمات ، فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك ، فقال .

هاتين . فقال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بانجازها ، ولا يغرنك المرتقي وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا . واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب واعلم أن للامور بغتات فكن علي حذر

قدم معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على بن ابى طالب فقال له رجل : ياأمير المؤمنين نطيع أحياءكم ، ولا نتبرأ من موتاكم ، فالتفت الى المغيرة فقال له : هذا رجل فاستوص به خيرا.

١٤ ﴿ ألمشورة ﴾

قال النبي ﷺ: ماندم من استشار، ولا شقى من استخار وقد امر الله تعالى نبيه بمشاورة من هو دونه فقال: (وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) وسئل بعض الحكماء أي الامور اشد تأييدا للعقل وأيها أشد اضرارا به ؟ فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء ، مشاورة العلماء وتجربة الامور ، وحسن التثبت . وأشدها اضرارا به ثلاثة أشياء ، الاستبداد والتهاون ، والعجلة . وأشار حكيم على حكيم برأى فقال : لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق ، الذي يخلط حلو الكلام بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الاشفاق منه ماهو ساكن من غيره ، وقد وعيت النصح وقبلته اذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته ، وصفاء غيبه ، ونصح جيبه ، وما زلت بحمد الله الي الخير طريقا واضحا ، ومنارا بينا ، قال عامر بن الظرب حكيم العرب : دعوا الرأى يغب حتي يختمر ، وإياكم والرأى الفطير . يريد الاناة في الرأى ، والتثبت فيه . قيل لرجل من عبس : ما اكثر صوابكم ؟ قال : نحن الف رجل وفينا حازم واحد ، ونحن نشاوره فكانا الف حازم قال الشاعر :

الرأي كالليل مسود جوانبه والليل لاينجلي الا باصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الي مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

١٥ ﴿ حفظ الاسرار ﴾

قالت الحكماء : صدرك أوسع لسرك . وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف :

ولا تفش سرك الا إليـ ك فان لكل نصيح نصيحا
وإني رأيت غواة الرجا ل لايتركون اديما صحيحا

وقال عمرو بن العاص : مااستودعت رجلا سرا فافشاه فلمته، لاني كنت أضيق صدرا منه حين استودعته منه حتى أفشاه قال الوليد بن عتبة لابيه : ان أمير المؤمنين أسر الي حديثا أفلا احدثك به ؟ قال : يابني انه من كتم سره كان الخيار له ، فلا تكن مملوكا بعدان كنت مالكا

١٦ ﴿ الاذن ﴾

قال زياد لحاجبه عجلان : كيف تأذن للناس ؟ قال : على البيوتات ، ثم على الاسنان ، ثم على الآداب ، وكان سعيد بن عتبة اذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا ، فقيل له : انك لتباعد من الآذن جهدك ، قال : لأن ادعى من بعيد خير من ان اقصي من قريب . استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال : أألج ؟ فقال عليه السلام لخادمه : اخرج الي هذا فعلمه الاستئذان . وقل له يقول : السلام عليكم أأدخل ؟ وقال الاستئذان ثلاث مرات ، فان اذن لك والا فارجع .

١٧ ﴿الحجاب﴾

قال زياد لحاجبه : وليتك حجابتي، وعزلتك عن اربع، هذا المنادى الى الله في الصلاة والفلاح ، فلا سلطان لك عليه ، وطارق الليل لا تحجبه فشر ما جاء به ، ولو كان خيرا ما جاء به تلك الساعة ، ورسول الثغر فانه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة فأدخله علي وان كنت في لحافي ، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد . وقف ابو العتاهية الي باب بعض الهاشميين فطلب الاذن فقيل له : تكون لك عودة ،فقال:

لئن عدت بعد اليوم اني لظالم سأصرف وجهي حيث تبغى المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة ونصفك محجوب ونصفك نائم

وقال حبيب الطائي في الحجاب :

سأترك هذا الباب مادام اذنه على ما أري حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته متعمدا ولا فاز من قد نال منه وصولا
ولا جعلت ارزاقنا بيد امرىء حمى بابه من أن ينال دخولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا وجدنا الي ترك المجيء سبيلا

وقال ابن عبد ربه:

اذا كنت تأتي المرء تعظم قدره ويجهل منك الحق فالهجر أوسع
وفى الناس ابدال وفى الهجر راحة وفى الناس عمن لا يواتيك مطمع

١٨ ﴿الوفاء والغدر﴾

قال مروان بن محمد ،لعبد الحميد الكاتب : حين أيقن بزوال ملكه ، قد احتجت الى أن تصير مع عدوى ، وتظهر الغدر لي ، فان اعجابهم بأدبك

وحاجتهم الي كتابتك ، تدعوهم الي حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لم تعجز عن نفع حرمي بعد مماتي ، فقال عبد الحميد : ان الذى أمرت به انفع الاشياء لك ، وأقبحها بي ، وما عندي غير الصبر معك حتي يفتح الله عليك ، أو اقتل معك . لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد ، بعد أن أمنه ، قال لرجل كان يستشيره ، ويصدر عن رأيه اذا ضاق به الامر ، مارأيك في الذى كان مني ؟ قال : أمر قد فات دركه ، قال : لتقولن ، قال : حزم لو قتلته وحييت ، قال أو لست بحي ؟ قال : من وقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ، ولا بعقد ، قال عبدالملك ، كلام لو سبق سماعه فعلي لأمسكت . قال أبو جعفر : لسلم بن قتيبة ماترى في قتل أبى مسلم ؟ قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . قال : حسبك الله أبا أمية

١٩ ﴿الولاية والعزل﴾

قيل لعبد الله بن الحسن : ان فلانا غيرته الولاية قال : من ولي ولاية يراها اكبر منه تغير لها ، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها . أراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا ، فبادر الرجل فطلب منه العمل ، فقال له عمر : والله لقد كنت أردتك لذلك ، ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه . وطلب العباس عم النبي ﷺ من النبي ولاية فقال : ياعم نفس تحييها خير من أمارة لاتحصيها . وتقول النصاري لاتختار : للجثلقة الا زاهدا فيها ، غير طالب لها ، وقال الشاعر :

أراها وإن كانت تحب كأنها   سحائب صيف عن قريب تقشع

٢٠ ﴿ باب من أحكام القضاة ﴾

قال عمر بن عبد العزيز : اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل، علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم عن الخصم ،واقتداء بالأئمة ،ومشاورة أهل العلم والرأي.وكتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري وهو يلى القضاء له

« أما بعد،فان القضاء فريضة محكمة ،وسنةمتبعة ، فافهم اذا أدلي اليك فانه لاينفع تكلم بحق لا نفاذ له، آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى ، واليمين على من انكر،والصلح جائز بين المسلمين،الا صلحا أحل حراما،أو حرم حلالا،ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت فيه نفسك وهديت لرشدك ، أن ترجع عنه ، فان الحق قديم ، والرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم الفهم عندما يتلجلج فى صدرك ، مالم يبلغك به كتاب الله ، ولا سنة نبيه ﷺ . اعرف الامثال والاشباه ، وقس الامور عند ذلك، ثم اعمد الي احبها عند الله ورسوله ، وأشبهها بالحق ، واجعل للمدعي أمدا ينتهي اليه ، فان أحضر بينته ،أخذت له بحقه ، والا وجهت عليه القضاء ، فان ذلك أجلي للعمى ، وأبلغ في العذر ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أوظنينا في ولاء ، أونسب ، فان الله تولي منكم السرائر ،ودرأ عنكم بالبينات. ثم إياك والضجر بالناس،والتنكر للخصوم فى الحقوق التى يوجب الله بها الأجر ، ويحسن بها الذخر، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله وأقبل على نفسه ، يكفه الله ما بينه وبين الناس .

ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه ، هتك الله ستره . قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح القاضي ، إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديدا ، فقلت : ماأراها الا مظلومة ، قال : وما علمك ؟ قلت : لبكائها ، قال : فان اخوة يوسف « جاؤا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون » .

٢ من كتاب الحروب

... نحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، في الحروب ومدار أمرها ، وقود الجيوش وتدبيرها ، وما على المدبر لها من أعمال الخدعة ، وانتهاز الفرصة ، والتماس الغرة ، وإذكاء العيون ، وانشاء الطلائع ، واجتناب المضايق . والتحفظ من الدسيسات . هذا بعد معرفة أحكامها ، وإحكام معرفته ، وطول تجربته لمقاساة الحروب ، ومعاناة الجيوش ، وعلمه أن لا درع كالصبر ، ولا حصن كاليقين ، ثم نذكر كرم اليقين ، ولؤم الفرار ، ومذموم مغبته ، والله المعين .

١ ﴿ صفة الحروب ﴾

للحرب رحي ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الأناة ، وزمامها الحذر ، ولكل شيء من هذه ثمرة . فثمرة المكر الظفر ، وثمرة الصبر التأييد ، وثمرة الاجتهاد الترفيق ، وثمرة الأناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمن رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والصبر فيها أبلغ من القتال ، قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب : صف لنا الحرب قال : مرة المذاق ، اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ، ومن نكل عنها تلف . وفي حكمة سليمان عليه السلام

الشر حلو أوله ، مر آخره . والعرب تقول : الحرب غشوم ، لانها تنال غير الجاني . وقال الكميت:

والناس فى الحرب شتي وهى مقبلة ويستوون إذا ماأدبر القبل

٢ ﴿العمل فى الحروب﴾

قيل لأكثم بن صيفي: صف لنا العمل في الحرب ، قال : أقلوا الخلاف على امرائكم ، فلا جماعة لمن اختلف عليه . واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتثبتوا ، فان أحزم الفريقين الركين ، ورب عجلة تعقب ريثا ، وادرعوا الليل فانه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات . وقال على رضي الله عنه : انتهزوا الفرصة فانها تمر مر السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عين . وخرجت خارجة على قتيبة بن مسلم فاهمه ذلك ؛ فقيل له : مايهمك منهم ؟ وجه اليهم وكيع بن أبى أسود ، فانه يكفيكهم ، فقال : لا ان وكيعا رجل به كبر ، يتحاقر اعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم ، فيجد أعداؤه غرة منه . وقال الاحنف بن قيس : ان رأيت الشر يتركك ان تركته فاتركه . قال هدبة العذري:

ولا أتمني الشر والشر تاركي ولكن متي أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب

٣ ﴿ الصبر والاقدام فى الحروب ﴾

جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحروب فى آيتين من كتابه فقال تعالي: «ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله

مع الصابرين » وتقول العرب : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة ، واعتبر ذلك أمن يقتل مدبراً أكثر أم من يقتل مقبلا ؟ وكتب انوشروان الى مرازبته عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فانهم أهل حسن الظن بالله . وقال حسان ابن ثابت :

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولـكن على أسيافنا يقطر الدما

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : ماأعجب مارأيت فى حرب الازارقة ؟ قال : فتى كان يخرج الينا منهم فى كل غداة ، فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عني ولو درت مقارعتي الابطال طال نحيبها

اذا ماالتقينا كنت أول فارس يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء الا أقعده ، فاذا كان الغد عاد الى مثل ذلك .
وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً بشعر حصين بن الحمام :

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وكان مما يتمثل به معاوية رضي الله عنه يوم صفين :

أبت لي شيمتي وأبي بلائي وأخذ الحمد بالثمن الربيح
وإقدامى على المـكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أوتستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحيا بعد عن عرض صحيح

ومما يشجع الجبان قول عنترة :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن عرض المنون بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل لابد أن أسقى بكأس المنهل

فاقني حياءك لا أبالك واعلمي اني امرؤ سأموت ان لم أقتل

ومن أحسن المحدثين تشبيها فى الحرب ، مسلم بن الوليد الانصاري فى قوله ليزيد بن مزيد :

تلقى المنية في أمثال عدتها كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
تجود بالنفس اذ شح الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

٤ ﴿ فرسان العرب فى الجاهلية والاسلام ﴾

كان فارس العرب فى الجاهلية ، ربيعة بن مكدم من بني فراس بن غنم وكان بنو فراس أنجد العرب ، كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم ، وفيهم يقول علي بن ابى طالب لاهل الكوفة : من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب ، أبدلكم الله بى من هو شر لكم ، وابدلني بكم من هو خير منكم وددت والله أن لي بجمعكم وأنتم مائة الف ، ثلثمائة من بنى فراس بن غنم

ومن فرسان العرب فى الجاهلية عنترة الفوارس ، وعتيبة بن الحارث ابن شهاب ، وزيد الخيل ، وبسطام بن قيس ، والاحيمر السعدى ، وعامر ابن الطفيل ، وعمرو بن عبدود ، وعمر بن معد يكرب . وفى الاسلام عبدالله ابن خازم السلمي ، وعباد بن الحصين ، وقطرى بن الفجاءة صاحب الازارقة وشبيب الحزوري ، وعمير بن الحباب ، والحريش بن هلال السعدي .

بينا عبد الله بن خازم ، عند عبيد الله بن زياد ، إذ دخل جراد أبيض ، فعجب منه عبيد الله ، وقال : هل رأيت أباصالح أعجب من هذا ؟ ونظره فاذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ ، واصفر كأنه جرادة ذكر ، فقال عبيد الله : أبوصالح يعصى الرحمن ، ويتهاون بالسلطان ، ويقبض على

الثعبان ، ويمشي الي الليث ، ويلقي الرماح بنحره ، وقد اعتراه من جرادة ماترون ؟ أشهد أن الله على كل شيء قدير .

وكان شبيب الحروري: يصيح فى جنبات الجيش فلا يلوي أحد على أحد وفيه يقول الشاعر :

إن صاح يوما حسبت الصخر منحدرا والريح عاصفة والموج يلتطم

وأمر الحجاج بشق صدره بعد قتله ، فاذاله قلب كقلب الجمل شديد ، ورجال الانصار أشجع الناس ، قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ، ولا زحفت الزحوف ، ولا أقيمت الصفوف ، حتى أسلم ابناقيلة ، وهم الاوس والخزرج .

وقال على ابن أبى طالب رضي الله عنه : إذا رأي همدان وغناءها فى الحرب يوم صفين .

ناديت همدان والأبواب مطبقة ومثل همدان سنى فتحة الباب

كالهندواني لم تفلل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب

وقال ابن براقة الهمداني :

متي تجمع القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وكتب عمر بن الخطاب : الي النعمان بن مقرن ، وهو على الصائفة : أن استعن فى حربك بعمرو بن معد يكرب ، وطليحة الاسدى ، ولا توليهما من الأمر شيئاً : فان كل صانع أعلم بصناعته

٥ ﴿ المكيدة فى الحرب ﴾

قال النبي ﷺ : الحرب خدعة . وقال المهلب لبنيه : عليكم

بالمكيدة في الحرب ، فانها أبلغ من النجدة . وكان يقول : أناة فى عواقبها فوت ، خير من عجلة فى عواقبها درك . وفى كتاب للهند ، الحازم يحذر عدوه على كل حال ، يحذر المواثبة ان قرب ، والغارة ان بعد ، والكمين ان انكشف ، والاستطراد ان ولي . وكتب الحجاج الى المهلب يستعجله فى حرب الازارقة ، فكتب اليه المهلب : ان من البلية أن يكون الرأى فى يد من يملكه ، دون من يبصره . وكان بعض أهل التمرين يقول لاصحابه : شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم ، والجبناء من أولى الحزم ، فان الجبان لا يألوا برأيه ما يقى مهجكم ، والشجاع لا يعدو ما يشد بصائركم ، ثم خلصوا من بين الرأيين ، نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان ، وتهور الشجعان ، فتكون أنفذ من السهم الزالج ، والحسام الوالج . وذكروا أن ملكا من ملوك العجم كان معروفا ببعد الغور ، ويقظة الفطنة ، وحسن السياسة ، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه اليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته ، قبل أن يظهر محاربته ، فيكشف عن ثلاث خصال من حاله ، فكان يقول لعيونه : انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها ، أم يخدعه عنها المهدي ذلك اليه ، وانظروا الي الغنى فى أى صنف هو من رعيته ، أفيمن اشتد أنفه ، وقل شرهه ، أم فيمن قل أنفه ، واشتد شرهه ، وانظروا من أي صنف رعيته القوام بأمره ، أمن ينظر الي يومه وغده ، أم من شغله يومه عن غده ، فان قيل له لا يخدع عن أخباره ، والغنى فيمن قل شرهه ، واشتد أنفه ، والقوام بأمره ، من ينظر الى يومه وغده ، قال اشتغلوا عنه بغيره ، وان قيل له ضد ذلك ، قال نار كامنة تنتظر موقداً ، وأضغان مزملة تنتظر مخرجا ، أقصدوا له ، فلا حين أحين من سلامة مع تضييع ، ولا عدو أعدي من أمن

أدي الى اغترار ، وكان مالك بن عبدالله الخثعمي ، كلما أراد ان يغزو ، خطب فأثنى وحمد وقال : سنسير صباحا الى درب كذا ، فتتفرق الجواسيس بذلك ، فاذا أصبح سار في طريق غيره ، فكان يسمى الثعلب .

﴿ وصايا امراء الجيوش ﴾

لما وجه أبو بكر رضى الله عنه ، يزيد بن أبي سفيان الى الشام شيعه راجلا ، فقال له يزيد : اما أن تركب ، واما أن أنزل . فقال : ما أنت بنازل وما أنا براكب ، اني احتسب خطاي هذه في سبيل الله ، ثم قال : انك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له (يعنى الرهبان) وستجد قوما فحصوا عن اوساط رءوسهم ، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف ثم قال له : اني موصيك بعشر ، لا تغدر ، ولا تمثل ، ولا تقتل هرما ، ولا امرأة ، ولا وليداً ، ولا تعقرن شاة ، ولا بعيرا الا ما أكلتم ، ولا تحرقن نخلا ، ولا تخربن عامرا ، ولا تغل ، ولا تجبن . وقال أبو بكر لخالد بن الوليد : سر على بركة الله ، فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا عن الحملة ، فاني لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فان بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فان في العرب غرة ، واقلل من الكلام ، فانما لك ما وعي عنك ، واقبل من الناس على نيتهم وكلهم الى الله في سريرتهم ، واستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه .

وكتب عمر بن الخطاب : الى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الاجناد .

« أما بعد » فاني آمرك ومن معك من الاجناد ، بتقوى الله على كل

حال ، فان تقوي الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك ، أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش ، أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا في المعصية ، كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا ننصر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله ، وانتم في سبيل الله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله ، كفار المجوس ا « فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا » واسألوا الله العون على انفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم ، وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فانهم سائرون الي عدو مقيم ، حامي الانفس والكراع ، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة ، حتي تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وامتعتهم ، ونح منازلهم عن قري أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ، ولا يرزأ احدا من أهلها شيئا ، فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولا تستنصروا أهل الحرب بظلم اهل الصلح ، وإذا وطئت ارض العدو ، فاذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك امرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض

من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره ، وان صدقك في بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عينا لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو ، أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم ، وتنق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولا تخص بها أحدا بهوى ، فتضيع من رأيك وأمرك ، أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة ، أو ضيعة ونكاية ، فاذا عاينت العدو ، فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ، ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الارض كلها ، كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك ، كصنعه بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤتي بأسير ليس له عقد الا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولي النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

استعمل معاوية ، على الصائفة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهده ، قال : ما أنت صانع بعهدي ؟ قال : أتخذه اماما لا أعصيه ، قال : اردد الي عهدي ، ثم بعث الي سفيان بن عوف العامري ، فكتب له عهده ، ثم قال له : ما أنت صانع بعهدي ؟ قال : أتخذه اماما أمام الحزم ، فان خالفه خالفته ، فقال معاوية : هذا الذي لا يكفكف من عجلة ، ولا يدفع

فى ظهره من خور ، ولا يضرب على الامور ضرب الجمل الثفال .

٧ ﴿ المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير ﴾

قال عبد الملك بن مروان ، لجميل بن علقمة التغلبي: ما بلغ من عزكم؟ قال : لم يطمع فينا ولم نؤمن ، قال : فما مبلغ حفاظكم ؟ قال : يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه ، كدفاعه عن نفسه . قال عبد الملك : مثلك يصف قومه . وقال عبد الملك لابن مستطاع العنبري : أخبرنى عن مالك بن مسمع ؟ قال : لو غضب مالك ، لغضب معه مائة الف سيف ، لا يسألونه فى أى شيء غضب ، قال عبد الملك : هذا والله السؤدد . وقال مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة ويصف مفاخر بنى شيبان .

هم القوم إن قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل

نذر المسدى دم رجل من أهل الكوفة كان يسعي فى فساد سلطنته وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم ، فاستخفي الرجل حينا ، ثم ظهر ببغداد خائفا مترقبا ، فبينما هو يمشي ، اذ عرفه رجل من أهل الكوفة فتعلق به وصاح :هذا بغية أمير المؤمنين ، فبينما هو كذلك ، إذ أقبل موكب معن بن زائده

فقال الرجل : يا أبا الوليد أجرني أجارك الله ، فوقف ، وقال للرجل الذى تعلق به ما شأنك ؟ قال ، بغية أمير المؤمنين ، ولمن دل عليه مائة الف درهم ، فقال يا غلام :انزل عن دابتك واحمل أخانا.

فصاح الرجل : يا معشر الناس ، يحال بيني وبين بغية أمير المؤمنين ، فقال له معن: اذهب فاخبره أنه عندي ، فذهب الرجل وأخبر الخليفة فحبسه،

ووجه الى معن لخضر بعد أن أوصي أهل بيته ومواليه أن لا يسلموا فى الرجل ، ثم ركب ودخل علي المهدي ، فسلم عليه ، فلم يرد السلام ، وقال : يا معن اتجير علي ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ونعم أيضا ؟ واشتد غضبه، فقال معن : قتلت فى طاعتكم باليمن فى يوم واحد خمسة عشر الفا ، ولي أيام كثيرة ، كثر فيها بلائى وحسن عنائى ، فما رأيتمونى أهلا ان تهبوا لي رجلا واحدا استجار بي ؟

فأطرق المهدى ، وسرى عنه ، وقال : قد أجرنا من أجرت ، قال معن : إن رأى أمير المؤمنين أن يصله فيكون قد أحياه ،وأغناه فعل ،

قال : أمرنا له بخمسة آلاف ، قال معن : أن صلات الخلفاء علي قدر جريمة الرعية ، قال قد أمرنا له بمائة ألف ، فدعا له ثم سلمها الرجل وقال: الحق بأهلك ، واياك ومخالفة الخلفاء .

﴿ الجبن والفرار ﴾

قال عمرو بن معد يكرب : الفزعات ثلاث،فمن كانت فزعته فى رجليه فذلك الذى لا تقله رجلاه ، ومن كانت فزعته فى رأسه فذلك الذي يفر عن أبويه ، ومن كانت فزعته فى قلبه فذلك الذي يقاتل . وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خفقت الريح ، خفقت معها ، فأف للجبناء ، فأف للجبناء، وقال الشاعر:

يفر جبان القوم عن أم نفسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ويحرم معروف البخيل اقاربه

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ما اعتذر أحد من الفرارين بأحسن مما

اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
فقررت عنهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

فقيل: يامعشر العرب حسنتم كل شيء حتى الفرار.

ومما يحتج به الفارون ما قاله صاحب كليلة ودمنة: ان الحازم يكره القتال ماوجد منه بداً، لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة فى غيره من المال، ومن الفرارين عبد الرحمن بن الاشعث، فر من الازارقة وكان فى عشرة الآف، وقد بعث اليه المهلب، ياابن أخي خندق على نفسك واصحابك ولا تغتر بعدوك، فأجاب: أنا أعلم بهم منك، وهو اهون من ضرطة الجمل، فبيته قطرى صاحب الازارقة وقتل من اصحابه خمسمائة، ففر لا يلوى على شيء، فقال فيه الشاعر:

تركت ولدانا تدمي نحورهم وجئت منهزما ياضرطة الجمل

ومنهم أمية بن عبد الله بن خالد، فر يوم مرداء هجر، فسار من البحرين الى البصرة فى ثلاثه أيام، ورأى الحجاج خيلا لأمية كتب على افخاذها (عدة) فأمر أن يكتب تحتها (للفرار)

قيل لأعرابى: ألا تغزو العدو؟ قال: وكيف يكونون لى عدواً، وما أعرفهم ولا يعرفوننى. وقيل لآخر: ألا تغزوا العدو؟ فقال: والله انى لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أخب اليه ركضا. وليس يعاب الشجاع والبهمة البطل، بالفرة الواحدة تكون منه خاصة لاعامة، كما قال زفر بن الحارث، وفر يوم مرج راهط عن أخيه وأبيه:

أيذهب يوم واحد ان أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا
ولم ترمني زلة قبل هذه فراري وتركي صاحبي ورائيا

وقال عبد الله بن مطيع بن الاسود العدوى : وكان فر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما كان أيام حصار الحجاج بمكة ، لعبد الله بن الزبير ، جعل يقاتل أهل الشام ويقول:

أنا الذي فررت يوم الحره والشيخ لا يفر الا مره
فاليوم أجزي كرة بفره لا بأس بالكرة بعد الفره

ولم يزل يقاتل حتى قتل .

﴿ فضائل الخيل ﴾ ٩

قال النبي ﷺ فى الخيل : أعرافها أدفاؤها ، وأذنابها مذابها ، والخيل معقود فى نواصيها الخير الي يوم القيامة، وقال : بطونها كنز، وظهورها حرز وأصحابها معانون عليها .

١٠ ﴿ صفة جياد الخيل ﴾

كان رسول الله ﷺ يستحب من الخيل الشقر . ووصف اعرابي فرسا فقال : إذا تركته نعس ، وإذا حركته طار. سأل المهدى مطر بن دراج اى الخيل أفضل ؟ قال : الذى اذا استقبلته قلت نافر، واذا استدبرته قلت زاخر، واذا استعرضته قلت زاجر ، قال : فأى هذه أفضل ؟ قال : الذي طرفه امامه ، وسوطه عنانه . وقال ابو عبيدة : يستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله ، وأرنبته ، وسعة منخريه ، وعرى نواهقه ، ورقة حقويه ، وما ظهر من أعالي ذنبه ، ورقة سالفته ، واديمه ، وشعره ، وأبين من ذلك كله ،

لين شكيل ناصيته وعرفه . . .

وانشد شاعر فى فرس أبى دلف :

كم ذا تجرعه المنون ويسلم لو يستطيع شكى اليك الأدهم
فى كل منبت شعرة من جلده عن ينمقه الحسام المخذم
وكأنما عقد النجوم بطرفه وكأنه بعري المجرة ملجم
وكأنه بين البوارق لقوة شقراء كاسرة طوت ماتطعم
ماتدرك الارواح أدنى شدة لا بل يفوت الريح فهو مقدم
رجمته أطراف الاسنة أشقرا واللون أدهم حين ضرجه الدم

فأمر له بعشرة الآف

﴿ سوابق الخيل ﴾ ١١

كان هشام بن عبد الملك ، رجلا مسبقا ، لا يكاد يسبق ، فسبقت له فرس أنثى ، وصلت اختها ، ففرح لذلك فرحا شديدا ، وقال : على بالشعراء قال ابو النجم : فدعينا ، فقيل لنا : قولوا في هذه الفرس وأختها ، فسأل أصحاب النشيد النظرة حتى يقولوا ؛ قلت : هل لك فى رجل ينقدك اذا استنسؤك ؟ قال : هات فقلت من ساعتى :

أشاع للغراء فينا ذكرها قوائم عوج أطعن أمرها
وما نسينا بالطريق مهرها حتى نقيس قدره وقدرها
وصبره اذا عدا وصبرها والماء يعلو نحره ونحرها
ملمومة شد المليك أزرها أسفلها وبطنها وظهرها
قد كاد هاديها يكون شطرها

قال أبو النجم: فأمرلى بجائزة وانصرفت

ووصف الاصمعي فرسا للرشيد يسمي الربيذ وكان سبق فى الحلبة:

وأقب كالسرحان تم له ما بين هامته إلى النسر
رحبت نعامته ووفر فرخه وتمكن الصردان فى النحر
وأناف بالعصفور من سعف هام أشم موثق الجذر
وازدان بالديكين صلصله ونبت دجاجته عن الصدر
والناهضان أمر جلزهما فكأنما عثما على كسر
مسحنفر الجنبين ملتئم ما بين شيمته الي الغر
وصفت سماناه وحافره وأديمه ومنابت الشعر
وسما الغراب لموقعيه معا فابين بينهما على قدر
واكتن دون قبيحه خطافه ونأت سمامته على الصقر
وتقدمت عنه القطاة له فنأت بموقعها عن الحر
وسما على نقوية دون حداته خربان بينهما مدي الشبر
يدع الرضيم إذا جرى فلقا بتوائم كمواسم سمر
ركبن فى محض الشوي سبط كفت الوثوب مشدد الاسر

فامرله الرشيد بالف درهم.

وقال ابو النجم يصف الحلبة :

ثم سمعنا برهان نأمله قيد له من كل أفق جحفله
فقلت للسائس قده أعجله واغد لعنا فى الرهان نرسله
نعلو به الحزن ولا نسهله اذا علا الاخشب صاح جندله

ترنم النوح يبكي مشكله كان في الصوت الذي يفصله
زمار دف يتغني جلجله حتى وردنا المصر يطوى قنبله
طى التجار العصب اذ تنخله وقد رأينا فعلهم فنفعله
نطويه والطي الرقيق يجزله نضمر الشحم ولسنا نهزله
حتى اذا الليل تولي اثجله واتبع الايدي منه أرجله
قمنا على هول شديد وجله عد حبلا فوق خط نعدله
نقول قدم ذا وهذا ادخله وقام مشقوق القميص يعقله
فوق الخماسى قليلا يفضله ادرك عقلا والرهان عمله
حتي اذا أدرك خيلا موسله ثار عجاج مستطير قسطله
تنفش منه الخيل مالا تغزله مرا يغطيها ومرا تجمله
مر القطا انصب عليه اجدله وهو رخى البال سام وهله
قدامها ميلا لمن يمثله تطيره الجن وحينا ترجله
تسبح اخراه ويطفو أوله تري الغلام ساجيا ما يركله
يعطيه ما شاء وليس يسأله كأنه من زبد تسربله
في كرسف النداف لولا بلله تخال مسكا عله معلله
ثم تناولنا الكلام نبزله عن مفرع الكتفين حلو عطله
منتفخ الجوف عريض كلكله فوافت الخيل ونحن نشكله
والجن عكاف به تقبله

١٢ ﴿ في الحلبة والرهان ﴾

الحلبة مجمع الخيل ، وهو من قولك حلب بنو فلان ، علي بني فلان ، وأحلبوا

اذا اجتمعوا ، والحلب ،الخيل الذي يعدعند الارسال للقبض ،والمنصبة،الخيل حين تنصب للارسال ، وأصل الرهان من الرهن ، كان الرجل يراهن صاحبه في المسابقة ، يضع هذا رهنا ، وهذا رهنا ، فأيهما سبق فرسه، أخذ رهنه ، ورهن صاحبه ، وهذا كان من أمر الجاهلية ، وهو القمار المنهى عنه . فان كان الرهن من أحدهما بشيء مسمى ، على أنه إن سبق لم يكن له شيء ، وإن سبقه صاحبه أخذ الرهن . فهذا حلال ، لان الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهناً ، وأدخلا بينهما محللا ، وهو فرس ثالث ، يكون مع الاولين ، ويسمي أيضاً الدخيل،ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ، ثم يرسلون الأفراس الثلاثة ، فان سبق أحد الأولين ، أخذ رهنه ورهن صاحبه ، فكان له طيبا ، وان سبق الدخيل ، أخذ الرهنين جميعا وان سبق هو ، لم يكن عليه شيء ، ولا يكون الدخيل ، الا رائعا جوادا لا يأمنان أن يسبقهما ، والا فهذا قمار ، كأنهما لم يدخلا بينهما محللا .

قال الاصمعي : السابق من الخيل الأول ، والمصلي الثاني الذي يتلوه قال : وانما قيل له مصل ، لانه يكون عند صلوي السابق ، وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله ، ثم الثالث ، والرابع ، لا اسم لواحد منها الي العاشر ، فانه يسمى سكيتا وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق ، قال جرير :

إذا شئتموا أن تمسحوا وجه سابق   جواد فمدوا في الرهان عنانيا

١٣ ﴿ وصف السلاح ﴾

كانت درع على صدراً لا ظهر لها ، فقيل له في ذلك ، فقال : اذا استمكن

عدوى من ظهري، فلا يبق. بعث عمر بن الخطاب ،الى عمرو بن معدي كرب أن يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به اليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب اليه في ذلك ، فرد عليه « انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث بالساعد الذى يضرب به » وسأله عمر ابن الخطاب يوماً عن السلاح فقال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له ، قال ماتقول في الترس ؟ قال : هو المجن وعليه تدور الدوائر . قال : فما تقول في الرمح ؟ قال : اخوك وربما خانك فانقصف ، قال :فالنبل ؟ قال: منايا تخطىء وتصيب ، قال : فما تقول فى الدرع ؟ قال : مثقلة للراجل ، مشغلة للفارس وأنها لحصن حصين ، قال : فما تقول فى السيف قال : هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين ، فضربه عمر بالدرة وقال : بل لا أم لك ، قال : الحمى أضرعتني للنوم (مثل يضرب فى الذل عند الحاجة).

وجلس موسى الهادى ، وبين يديه سيف عمرو هذا وقال للشعراء أن يصفوه : فقال ابن انيس :

حاز صمصامة الزبيدي عمرو   من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا   خير ما أغمدت عليه الجفون
أخضر المتن بين حديه نور   من فرند تمتد فيه العيون
أوقدت فيه للصواعق نارا   ثم ساطت به الزعاف المنون
فاذا ماسللته بهر الشمـ   ـس ضياء فلم تكد تستبين
فكأن الفرند والرونق الجا   ري في صفحتيه ماء معين
وكأن المنون نيطت إليه   فهو من كل جانبيه منون

مايبالى من انتضاه لحرب أشمال سطت به أم يمين

فأمر له بجائزة .

وبلغ أبا الاغر ان أصحابه بالبادية ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الاغر وقال : يابني . كن يدا لاصحابك على من قاتلهم ، واياك والسيف ، فانه ظل الموت ، واتق الرمح ، فانه رشاء المنية ، ولا تقرب السهام ، فانها رسل لاتؤامر مرسلها ، قال : فبماذا أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

جلاميد يملأن الاكف كأنها رءوس رجال حلقت بالمواسم

ومن أحسن ماقيل فى السيف . قول حبيب :

ويهتز مثل السيف لولم تسله يدان لسلته ظباه من الغمد

وفى صفة الرماح :

مثقفات سلبن الروم زرقتها والعرب الوانها والعاهر القصفا

١٤ ﴿ النزع بالقوس ﴾

حدث العتبى عن بعض أشياخه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة ، فأتي بأعرابى كان معروفا بالسرقة ، فقال له : اخبرنى عن بعض عجائبك ؟ قال: عجائبي كثيرة ،ومن أعجبها انه كان لي بعير لايسبق ، وكانت لى خيل لاتلحق، فكنت اخرج فلا أرجع خائبا ، فخرجت فاحترشت ضبا ، فعلقته على قتبي، ثم مررت بخباء ليس فيه الا عجوز، فقلت يجب أن يكون لهذه رائحة من غنم وابل،فلما أمسيت إذا بابل،وإذا شيخ عظيم البطن،شثن الكفين ومعه عبد اسود ،فلما رآني رحب بي، ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولني العلبة فشربت مايشرب الرجل، فتناول الباقي فضرب بها جبهته ، ثم احتلب تسع

أينق ، فشرب ألبانهن ، ثم نحر حوارا فطبخه ، فأكلت شيئا ، وأكل الجميع حتى التي عظامه بيضاء ، وجثا على كومة وتوسدها ، ثم غط غطيط البكر ، فقلت : هذه والله الغنيمة ، ثم قمت الي فحل إبله فخطمته ، ثم قرنته ببعيري ، وصحت به فاتبعني ، واتبعته الابل إربا إربا فى قطار ، فصارت خلفى كانها حبل ممدود ، فمضيت ابادر ثنية ، بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع ، ولم أزل أضرب بعيري مرة بيدى ، ومرة برجلى ، حتي طلع الفجر ، فأبصرت الثنية ، واذا عليها سواد فلما دنوت منه ، إذا الشيخ قاعد وقوسه فى حجره فقال : أضيفنا ؟ قلت نعم قال : استخر نفسك عن هذه الابل

قلت : لا ، فأخرج سهما كانه لسان كلب ، ثم قال : انظره بين أذني الضب الملق فى القتب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، فقال لي : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأيي الاول ، قال : انظر هذا السهم الثاني فى فقرة ظهره الوسطي ، ثم رمى به فكانما قدره بيده ، ثم قال : رأيك فقلت : إني أحب ان أستثبت ، قال : انظر هذا السهم الثالث فى عكوة ذنبه ، والرابع والله فى بطنك ، ثم رماه فلم يخط العكوة ، قلت : أنزل آمنا ؟ قال : نعم ، فدفعت اليه خطام فحله ، وقلت : هذه إبلك لم تذهب منها وبرة ، وأنا أنظر متى يرميني بسهم يقصد به قلبي ، فلما تباعدت قال : أقبل ، فأقبلت والله فرقا من شره ، لا طمعا فى خيره ، فقال : ماأحسبك تجشمت الليلة ماتجشمت الا من حاجة ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك ، قلت : أما والله لا أمضى حتى أخبرك عن نفسك ، فلا والله مارأيت اعرابيا أشد ضرسا ، ولا أعدى رجلا ، ولا أرمي يداً ، ولا أكرم عفوا ، ولا أسخي نفسا منك ، فصرف وجهه عنى

حياء، وقال : خذ الابل برمتها، مباركا لك فيها .

وروي عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو قائم على المنبر : (وأعدوالهم ماستطعتم من قوة، ألا ان القوة الرمى، ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمى) وكان أرمي أصحاب رسول الله ﷺ سعد ابن أبي وقاص، لان رسول الله ﷺ دعاله فقال : (اللهم سدد رميته وأجب دعوته) فكان لا يرد له دعاء، ولا يخيب له سهم .

١٥ ﴿ مشارة المهدي لاهل بيته فى حرب خراسان ﴾

هذا ماتراجع فيه المهدى ووزراؤه، وما دار بينهم من تدبير الرأي فى حرب خراسان أيام تحامات عليهم العمال واعتسفت، فحملتهم الدالة، وماتقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم، ونقضوا موثقهم، وطردوا العمال، والتووا بما عليهم من الخراج . وحمل المهدي مايحب من مصلحتهم، ويكره من عنتهم، على ان أقال عثرتهم، واغتفر ذلتهم، واحتمل دالتهم تطولا بالفضل، واتساعا بالعفو، وأخذا بالحجة، ورفقا بالسياسة، ولذلك لم يزل مذ حمله الله أعباء الخلافة، وقلده أمور الرعية، رفيقا بمدار سلطانه، بصيرا بأهل زمانه، باسطا للمعدلة فى رعيته، تسكن الى كنفه، وتأنس بعفوه، وتثق بحلمه، فاذاوقعت الاقضية اللازمة، والحقوق الواجبة، فليس عنده هوادة ولا اغضاء . ولا مداهنة، أثرة للحق، وقيامابالعدل، وأخذا بالحزم، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه، والثقة بعفوه، أن كسروا الخراج، وطردوا العمال، وسألوا ماليس لهم من حق ثم خلطوا احتجاجا باعتذار، وخصومة بأقرار، وتنصلا باعتلال . فلما انتهي ذلك الى المهدى خرج الي مجلس خلائه، وبعث الى

نفر من لحمته ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعيه . ثم أمر الموالي بالابتداء . وقال للعباس بن محمد : أى عم تعقب قولنا ، وكن حكما بيننا . وارسل الي ولديه موسي وهرون فأحضرهما الامر ، وشاركهما فى الرأى ، وامر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، واثبات مقالتهم في كتاب .

فقال سلام صاحب المظالم : ايها المهدي ان في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعرفوا بها وعرفت بهم ، ولهذه الامور التي جعلتنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب ، وساسة الامور ، وقادة الجنود ، وفرسان الهزاهز ، وإخوان التجارب ، وأطفال الوقائع ، الذين وشحتهم سجالها ، وفيأتهم ظلالها ، وعفتهم شدائدها ، وقرمتهم نواجذها ، فلو عجمت ماقبلهم ، وكشفت ماعندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توفق نظرك واحاديث تقوي قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا ، وكثير منا ، أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلتنا به من إمضاء عدلك ، وانفاذ حكمك ، وإظهار حقك ، فأجابه المهدي :

إن فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبير ، يبطل الآخر الاول ، ونحن اعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا . قال : نعم أيها المهدى . أنت متسع الرأى ، وثيق العقدة ، قوي المنة ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدى إلى الخير ، إن هممت ففى عزمك مواقع الظن ، وإن أجمعت صدع فعلك

ملتبس الشك ، ، فاعزم يهد الله الي الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمة، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ .

فاجابه المهدي : ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لايهلك عليهما رأي ، ولا يتفيل معهما حزم ، فأشيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم ، فأني من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك القول. قال الربيع :

أيها المهدى . إن تصاريف وجوه الرأي كثيرة ، وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية الشقة ، متفاوتة السبيل ، فاذا ارتأيت من محكم التدبير ، ومبرم التقدير ، ولباب الصواب ، رأيا قد أحكمه نظرك ، وقلبه تدبيرك ، فليس وراءه مذهب لطاعن ، ولا دونه معلق لخصومة عائب ، ثم اجبت البرد به وانطوت الرسل عليه . كان بالحري أن لا يصل اليهم محكمه . وقد حدث منهم ماينقضه ، فالسر أن ترجع اليك الرسل ، وترد عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ، ومصادر أمورهم ، تحدث رأيا غيره ، وتبتدع تدبيرا سواه ، قد انفجرت الحلق ، وتحللت العقد ، واسترخي الحقان ، وامتد الزمان ، ثم لعلها موقع الآخرة ، كمصدر الاولي ، ولكن الرأي لك ايها المهدى ، وفقك الله ان تصرف اجالة النظر ، وتقليب الفكر ، فيما جمعتنا له ، واستشرتنا فيه ، من التدبير لحربهم ، والحيل في امرهم الي الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع واسع ، ليس موصوفا بهوي في سواك ، ولا متهما في إثرة عليك ، ولا ظنينا على دخلة مكروهة ، ولا منسوبا الي بدعة محذورة ، فيقدح في ملكك ويريض الامور لغيرك ، ثم تسند اليه امورهم .

وتفوض إليه حربهم ، وتأمره في عهدك ووصيتك إياه ، بلزوم أمرك بالزمه الحزم ، وخلاف نهيك إذا خالفه الرأى ، عن استحالة الامور ، واشتداد الاحوال ، التي ينقض امر الغائب عنها ، ويثبت راي الشاهد لها ، فانه إذا فعل ذلك فواتب امرهم من قريب ، وسقط عنه ماياتي من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، ونفذ العمل ، واحد النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس : ايها المهدي . ان ولي الامور ، وسائس الحروب ، ربما نحي جنوده ، وفرق امواله . في غير ماضيق امر حربه ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعد عند الحاجة إليها ، وبعد التفرقه لها ، عديما منها فاقدا لها لايثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الي ثقة ، فالرأي لك ايها المهدي وفقك الله ، أن تعفي خزائنك من الانفاق للاموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعة الخطار ، وتغرير القتال ولا تسرع للقوم في الاجابة الى مايطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم . وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وابرق لهم بالقول ، وارعد نحوهم بالفعل ، وابعث البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتائب ، واعقد الالوية ، وانصب الرايات ، وأظهر انك موجه اليهم الجيوش ، مع أحنق قوادك عليهم وأسوئهم أثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ، وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، وأغرس أشجار التنافس بينهم ، حتي تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فان مرام الظفر

بالقبيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناهبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف ، المدخل فى القلوب ، القوي الموقع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الاهواء ، ويستدعى المؤاتاة ، أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح ، كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، أحكم عملا ، وألطف منظرا ، وأحسن سياسة ، من الذي لا ينال ذلك الا بالقتال ، والاتلاف للأموال ، والتغرير والخطار ، وليعلم المهدى : أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصحهم كانوا عليه لا له ، قال المهدى :

هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوءه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم ، ثم نظر الي ابنه على . فقال : ماتقول ؟ قال على :

أيها المهدي . ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك أحدا يقدح فى تغيير ملكك ، ويريض الامور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر ، والحال أذل ، لان الله مع حقه الذى لا يخذله ، وعند موعده الذي لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم واليا ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقا ، وسألوا انصافا ، فان أجبت الى دعوتهم ، ونفست عنهم قبل أن

يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفأت ثائرة الحرب ، ووفرت خزائن المال ، وطرحت تقرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك ، واسجاح خليقتك ، ومعدلة نظرك ، ، فأمنت أن تنسب الي ضعفة ، وأن يكون ذلك فيما بقي ذرية ، وان منعتهم ما طلبوا ، ولم تجبهم الى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم فى ميدان الخطاب ، فما أرب المهدي أن يعمد الى طائفة من رعيته ، مقرين بملكته ، مذعنين بطاعته ، لايخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولايبرؤونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ، ومضمار المخاطرة ، أيريد المهدى وفقه الله الاموال ؟ فلعمري لاينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف مايدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت إليه ، اووضعت بخرائطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب ، وبه يعرف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه ، فان قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد فى اهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا ، فاما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود ، وانطقوا لسان الارجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم ان اجعلهم نكالا لغيرهم ، وعظة لسواهم ، فيعلم المهدي انه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مقرنين في الاصفاد ، ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ، ولاقالة عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما هم فيه من حربه ، او لمن بازائهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب انه أعظم الخلفاء

والملوك عفوا ، وأشدها وقعا ، وأصدقها صولة ، وانه لا يتعاظمه عفو ، ولا يتكاءده صفح ، وان عظم الذنب ، وجل الخطب . فالراي للمهدى وفقه الله تعالى ان يحلل عقدهم الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وان يذكر اولى حالاتهم ، وضيعة عيالاتهم ، برابهم ، وتوسعة لهم ، فانهم اخوان دولته ، وأركان دعوته ، واساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبحجتهم يقول ، وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانطووا فيه عن اجابته ، ومثله فى قلة ماغير ذلك من رأيه فيهم ، او نقل من حاله لهم ، او تغير من نعمته بهم ، كمثل رجلين اخوين ، متناصرين متوازرين اصاب احدهم خبل عارض ، ولهو حادث ، فنهض الي اخيه بالإذي ، وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد أخوه الارقة له ، ولطفا به واحتيالا لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفا عليه . وبرا به ومرحمة له .

فقال المهدى : اما علي فقد كوى سمت اللبان ، وفض القلوب فى اهل خرسان ولكل نبأ مستقر ، وما تري يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه . فقال موسي : أيها المهدى .

لا تسكن الى حلاوة ما يجرى من القول على ألسنتهم ، وأنت تري الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادى بمضمرة شر ، وخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترا ، واتخذوا العلل من دونها حجابا ، رجاء ان يدافعوا الايام بالتأخير ، والامور بالتطويل ، فيكسروا حبل المهدي فيهم ، ويفنوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم وتستمر الامور بهم ، والمهدي ، من قولهم فى حال غرة ، ولباس أمنه ، قد

فتر لها ، وأنس بها ، وسكن اليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم ، فى المناصبة بالقتال ، أو الاضمار للقراع عن واعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغب سكون الامور ، فليشدد المهدى وفقه الله أزره لهم ، ويكتب كتائبه نحوهم ، وليضع الامر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم ، إلا كانت دربة الى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية الى عودتهم ، وسببا لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين إن أقرهم وتلك العادة واجراهم على ذلك الادب ، لم يبرح فى فتق حادث ، وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وان طلب تغييره بغير استحكام العادة واستمرار الدربة ، لم يصل الي ذلك الا بالعقوبة المفرطة ، والمؤنة الشديدة والرأى للمهدي وفقه الله أن لا يقيل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحدق بهم الموت ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدي بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل عادة سوء لهم ، واحتمال المهدى فى مؤنة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

قال المهدي : قد قال فاحكم يا أبا الفضل

فقال عباس بن محمد : أيها المهدى . أما الموالى اخذوا بفروع الرأى ، وسلكوا جنبات الصواب . وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها ، انه لم تأت تجاربهم عليها .

واما الفضل . فاشار بالاموال أن لا تنفق ، وبالجنود لا تفرق ، وبان

لا يعطي القوم ماطلبوا ، ولا يبذل لهم ماسالوا، وجاء بامر بين ذلك استصغاراً لأمرهم ، واستهانة بحربهم ، وانما يهيج جسيمات الامور صغارها ، وأما على فاشار باللين ، وافرد بالرفق ، واذا جرد الوالى لمن غمط أمره ، وسفه حقه ، اللين بحتا ، والخير محضا ، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينه ، ولا بشر يحبسهم الي خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم ، ووسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم فان اجابوا دعوته ، وقبلوا لينه ، من غير خوف اضطرهم ولا شدة ، ونزوة في رؤسهم يستدعون بها البلاء الي انفسهم، ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم، وان لم يقبلوا دعوته . ويسرعوا لاجابته باللين المحض، والخير الصراح، فذلك ماعليه الظن بهم، والرأى فيهم، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم، لان الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم ، والملك الكبير، ما لا يخطر على قلب بشر، ولا تدركه الفكر، ولا تعلمه نفس ثم دعا الناس اليها، ورغبهم فيها فلولا انه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الي الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا وأما موسى. فاشار بان يعصبوا بشده لا لين فيها ، وان يرموا بشر لا خير معه ، واذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته ، وخالف جماعته ، الخوف منفردا والشر مجردا ، ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم ، اشتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم، الى احد أمرين . اما ان تدخلهم الحمية من الشدة . والأنفة من الذلة ، والامتعاض من القهر، فيدعوهم ذلك الي التمادى فى الخلاف والاستبسال فى القتال ، والاستسلام للموت ، واما ان ينقادوا بالكره . ويذعنوا بالقهر ، على بغضة لازمة ، وعداوة باقية ، تورث النفاق . وتعقب الشقاق ، فاذا أمكنتهم فرصة ، أو ثابت لهم قدرة ! أو قويت لهم حال ، عاد

أمرهم الى أصعب واغلظ وأشد مما كان،وقال فى قول أبي الفضل: أيها المهدي. أكفى دليل، وأوضح برهان ، وأبين خبر ، بان قد أجمع رأيه، وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع اعطائهم ما سألوا من الحق ، واجابتهم الى ماسألوه من العدل. قال المهدى: ذلك رأى

قال هرون : أيها المهدي . خلطت الشدة باللين ، وانتظم أمر الدنيا بالدين، فصارت الشدة أمر فطام لما تكره ، وعاد اللين أهدي قائد الى ماتحب. ولكن أري غير ذلك .

قال المهدى : لقد قلت قولا بديعا ، وخالفت به أهل بيتك جميعا ، والمرء مؤتمن بما قال ، وظنين بما ادعى ، حتى يأتي ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت .

قال هرون : أيها المهدي . ان الحرب خدعة ، والاعاجم قوم مكرة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الاهواء منهم ، فكان باطن ما يسرون به على ظاهر ما يعلنون ، وربما افترقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوي القلب على محجوبة تبطن ، واستسر بمدخولة لا تعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدم يده ، وموضع ميسمه ، لا يتعجل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدى وفقه الله ، أن يفر باطن أمرهم فر المسنة ، ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء ، بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالاة العيون ، حتي تهتك حجب عيونهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فأن انفرجت الحال ، وأفضت الامور به الى تغيير حال ، أو داعية ضلال ، اشتملت الاهواء عليه ، وانقاد الرجال اليه ، وامتدت

الأعناق نحوه بدين يعتقدونه ، وإثم يستحلونه ، عصبهم بشدة لا لين فيها ؛ ورماهم بعقوبة لا عفو معها ، وان انفرجت العيون ، واهتصرت السنور ؛ ورفعت الحجب ، والحال فيهم مربعة ، والامور بهم معتدلة ؛ في أرزاق يطلبونها ، وأعمال ينكرونها ، وظلامات يدعونها ، وحقوق يسألونها ، بماتة سابقتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأي للمهدي ، وفقه الله ، ان يتسع لهم عما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ما صدعوا ، ويرتق من فتقهم ما قطعوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوي بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم ، فانما المهدي وأمته ، وسواد أهل مملكته ، بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعي الجرب ، الذي يحتال لمرابض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبريء المريضة من داء علتها ، ويرد الصحيحة الي انس جماعتها ، ثم ان خراسان بخاصة الدين لهم دالة محمولة ؛ وماتة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لانهم أيدي دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذة لهم ، ولا التوعر بهم ، ولا المكافأة بإساءتهم ، لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الاصول ضئيلة قبل أن تغلظ ، أحزم في الرأى ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ؛ وتجتمع أطرافها الي جمهورها ، قال المهدي :

ما زال هرون يقع وقع الحيا ، حتي خرج خروج القدح من الماء . وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما سبق موسي فيه انه هو الرأى . وثنى بعده هرون ، ولكن من لأعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقادة

الناس ، أن أمعن بهم اللجاج ، وافرطت بهم الدالة ؟ قال صالح : لسنا نبلغ ايها المهدى بدوام البحث ، وطول الفكر ، ادني فراسة رايك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينقص عنك من بيوتات العرب ، ورجالات العجم ، ذو دين فاضل ، وراي كامل ، وتدبير قوي ، تقلده حربك ، وتستودعه جندك ممن يحتمل الامانة العظيمة ، ويضطلع بالاعباء الثقيلة ، وانت بحمد الله ميمون النقيبة ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، ليس يقع اختيارك ، ولا يقع نظرك علي احد توليه امرك ، وتسند اليه ثغرك ، الا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد ؛ قال المهدي :

انى لارجو ذلك لقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه ولكن احب الموافقة على الرأى ، والاعتبار للمشاورة فى الامر المهم . قال محمد ابن الليث :

أهل خراسان أيها المهدى . قوم ذوعزة ومنعة . وشياطين خدعة . زروع الحمية فيهم نابتة ، وملابس الانفة عليهم ظاهرة . فالروية عنهم عازبة والعجلة عنهم حاضرة . تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عذلهم . لانهم بين سفلة لا تعد ومبلغ عقولهم . ومنظر عيونهم . وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة . ولا يفطمون الا بالمر . وان ولي المهد عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء . وإن ولي أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء . وإن أخر المهدي امرهم . ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه . بنى عمه أو بني أبيه . ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له أملاؤهم ، بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا مصيبة تنفرهم ، تنفست الايام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل

بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، مالا يتلافاه صاحب هذه الصفة وإن وجد ، ولا يستصلحه وإن جهد ، الا بعد دهر طويل ، وشر كبير ، وليس المهدى وفقه الله فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا عدل فى ذلك بهما ، أحدهما لسان ناطق : موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، وصخرة لا تزعزع ، وبهيمة لا تثنى ، وبازل لا يفزعه صوت الجلجل ، نقى العرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمتة ، فجعل الغرض الاقصي لعينه نصبا ، والغرض الادنى لقدمه موطئا ، فليس يقبل عملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس مواليك ، وأنصح بني أبيك ، رجل قد غزى بلطيف كرامتك ، ونبت فى ظل دولتك ، ونشأ على قوائم أدبك ، فان قلدته أمرهم ، وحملته ثقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم ، كان قفلا فتحه أمرك ، وبابا أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والانصاف بينه وبينهم حاكما ، واذا أحكم المنصفة . وسلك المعدلة ، فاعطاهم مالهم ، وأخذ منهم ماعليهم ، غرس بالذى لك بين صدورهم ، وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، باسقة الفروع ، متماثلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريب الا نفوه ، ولا يلزمهم حق الا أدوه . وهذا أحدهما .

والآخر عود من غيضتك ، ونبعة من أرومتك ، فتي السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامه ، مأمون الخلاف ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيرة بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب مايستوجبون ، وهو فلان .

أيها المهدي : فسلطه أعزك الله عليهم، ووجهه بالجيوش اليهم، ولا تمنعك ضراعة سنه، وحداثة مولده، فان الحلم والثقة مع الحداثة، خير من الشك والجهل مع الكهولة، وانما احداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه، واختصكم به من مكارم الاخلاق، ومحامد الفعال، ومحاسن الامور، وصواب التدبير، وصرامة الانفس، كفراخ عتاق الطير المحكمة لاخذ الصيد بلا تدريب، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم، مزروع في قلوبكم مستحكم لكم، متكامل عندكم، بطبائع لازمة، وغرائز ثابتة.

قال معاوية بن عبد الله :

أفتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ماذكر، وأهل خراسان في حال عز على ماوصف، ولكن إن ولي المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود، ولا نبيه الصوت في الحروب، ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش، والهيبة في الاعداء، دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان، أحدهما : أن الاعداء يغتمزونها منه ويحتقرونها فيه، ويجترئون بها عليه في النهوض والمقارعة له، والخلاف عليه، قبل ماحين الاختبار لامره، والتكشف لحاله، والعلم بطباعه، والامر الآخر: ان الجنود التي يقود، والجيوش التي يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة، ولم يعرفوه بالصوت والهيبة، انكسرت شجاعتهم، وماتت نجدتهم، واستأخرت طاعتهم الي حين اختبارهم ووقوع معرفتهم، وربما وقع البوار قبل الاختبار، وبباب المهدي وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك حيث له نسب زاكٍ، وصوت عال، قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألف أهل خراسان، واجتمعوا

عليه بالمقة ، ووثقوا به كل الثقة ، فلو ولاه المهدى أمرهم ، لكفاه الله شرهم ، قال المهدي :

جانبت قصد الرميه ، وأبيت الاعصبية، إذ رأي الحدث من أهل بيتنا. كرأى عشرة حلماء من غيرنا ولكن أين تركتم ولى العهد ؟ قالوا : لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله ، بحيث يقصر القول عن أدني فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه ، وستر من دون عباده . علم ماتختلف به الايام ، ومعرفة ماتجري عليه المقادير ، من حوادث الامور ، وريب المنون ، المخترمة لخوالى القرون ومواضي الملوك ، فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ، ودار السلطان ، ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومستقر الجنود ، ومعدن الجود ، ومجمع الاموال ، التي جعلها الله قطبا لدار الملك ، ومصيدة لقلوب الناس ، ومثابة لاخوان الطمع ، وثوار الفتن ، ودواعى البدع ، وفرسان الضلال وأبناء الموت ، وقلنا : إن وجه المهدي ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يعقبهم بغيره ، إلا أن ينهد إليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد ، إن تنفست الأيام بمقامه ، واستدارت الحال بامامه ، حتي يقع عوض لا يستغني عنه ، أو يحدث أمر لا بد منه ، صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا ، له تبعا ، وبه متصلا ، قال المهدي :

الخطب أيسر مما تذهبون إليه ، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه ، نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور ، على سابق من العلم

وعتوم من الأمر ، قد أنبأت به الكتب ، وتنبأت عليه الرسل ، وقد تناهي ذلك بأجمه إلينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فبه ندبر ، وعلي الله تتوكل ، إنه لا بد لولي عهدى ، وعقبي من بعدى ، أن يقود الي خراسان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنود . أما الأول فانه يقدم اليهم رسله ، ويعمل فيهم حيله ، ثم يخرج نشطا اليهم ، حنقا عليهم ، يريد أن لا يدع أحدا من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفرسان الضلال ، الا توطأه بحد القتل ، والبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذل ، ولا أحدا من الذين عملوا فى قص جناح الفتنة ، وإخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، الا أجرى عليهم ديم فضله ، وجداول صلته ، فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه ، لم يسر قليلا حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكدحت كتبه ، ونفذت مكايده ، فهدأت نافرة القلوب ، ووقعت طائرة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظرا لهم ، وبرا بهم ، وتعطفا عليهم ، إلي عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ، وأما الآخر : فانه يوجه إليهم ، ثم تعقد له الحجة عليهم ، باعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحي بأعناقهم نحوه ، فأصغت اليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصد لأول ناحية نجعت بطاعتها ، وألقت بأزمتها ، فألبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حبائه ، ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فرقة قاصية ، الا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعته ، فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع

وضيعها ، وزاد رفيقها ، ماخلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الاهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطيء عن إجابته ، وتتثاقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث ، وأبطأ من يوجه ، فيصطلي عليها موجدة ، ويبتغي لها علة ، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم ، وأمر يجب عليهم ، فتستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحر بهم القتل ، ويحيط بهم الاسر ، ويفنيهم التتبع ، حتى يخرب البلاد ، ويؤتم الاولاد . وناحية لا يبسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ، ولا يجعل لهم ذمة ، لانهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا . ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب هرابهم ، في لجج البحار ، وقلل الجبال ، وخمل الاودية ، وبطون الارض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيامي ، وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ماقلنا تفسيرا ، واما موسى ولي عهدي ، فهذا اوان توجهه إلى خراسان ، وحلوله بجرجان ، وماقضي الله له من الشخوص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذأب مشرق نوره ، ويتقلل كثير ماهو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ، ويختار له من الناس؟ قال محمد بن الليث :

أيها المهدي إن ولي عهدك أصبح لامتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ، ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال ، غفل الامر ، واسع العذر ، فاما إذا انفرد بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار الي تدبيره ، فان من شأن العامة أن تتفقد مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ،

وتسأل عن حوادث أحواله ، فى بره ومرحمته ، وإقساطه ومعدلته ، وتدبيره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سبق إليهم أغلب الاشياء عليهم ، وأملك الامور بهم ، وألزمها لقلوبهم ، وأشدها استمالة لرأيهم ، وعطفا لاهوائهم ، فلا يعلم المهدي وفقه الله ناظرا له فيما يقوى عمد مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته ، بأمر هو أزين لحاله ، وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لامره ، وأجل موقعا فى قلوب رعيته ، وأحمد حالا فى نفوس أهل ملته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الاهواء له ، وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر من أثره ، ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدى وفقه الله من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر أقواما تسكن العامة اليهم إذا ذكروا ، وتأنس الرعيه بهم إذا وصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان ، وفتح باب المعروف ، كما قد فتح له ، وسهل عليه ، قال المهدى : صدقت ونصحت ، ثم بعث فى ابنه موسي . فقال :

أي بني إنك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا ، ولمثني اعطاف الرعية غاية ، فحسنتك شاملة ، واساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل بسخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك إيثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك إيثارك رضا من سواه .

ثم اعلم ان لله تعالي فى كل زمان فترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ، وخبايا لنصرة حقه ، يجدد حبل الاسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذ لاولياء دينه أنصارا ، وعلى إقامة عدله أعوانا ، يسدون

الخلل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الارض الفساد ، وأن أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا ، الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وندافع ريب الزمان بعزائمهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم ، فهم عماد الارض إذا أرجفت كنفها، وخوف الاعداء اذا أبرزت صفحتها ، وحصون الرعية إذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات، أخمدت نيران الفتن، وقصمت دواعي البدع ، وأذلت رقاب الجبارين ، ولم ينفكوا كذلك ماجروا مع ريح دولتنا ، وأقاموا فى ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذلتهم ، ورفع بها ضعتهم ، وجعلهم بها اربابا فى أقطار الارض ، وملوكا على رقاب العالمين ، بعد لباس الذل ، وقناع الخوف ، واطباق البلاء ، ومخالفة الاسي ، وجهد البأس والضر ، فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وانزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، وماتة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابة لمحسنهم ، والاقالة لمسيئهم ، أي بنى : ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتوثق به فى عين رعيتك ، واجعل عمال العذر ، وولاة الحجج ، مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تأمر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان أحسن حمدت ، وإن أساء عذرت ، هؤلاء عمال العذر ، وولاة الحجج فلا يسقطن عليك مافى ذلك إذا انتشر فى الآفاق ، وسبق الي الاسماع ،

من انقياد السنة المرجفين ، وكبت قلوب الحاسدين ، واطفاء نيران الحروب وسلامة عواقب الامور ، ولا ينفكن فى ظل كرامتك نازلا ، وبعري حبلك متعلقا . رجلان . أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب ، واعلام بيوتات الشرف . له أدب فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخر له دين غير مغمور ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام ، وتصريف الرأى ، وانحاء العرب ، ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب ، وتصاريف الخطوب ، يضع آدابا نافعة ، وآثارا باقية ، من محاسنك وتحسين أمرك ، وتحلية ذكرك ، فتستشيره في حربك ، وتدخله فى أمرك ، فرجل أصبته كذلك ، فهو يأوي الي محلتي ، ويرعى فى خضرة جناني ، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان ، وخيار الامصار ، أقوا مايكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر ، فسر على بركة الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدي الي الصواب قلبك . وهاديا ينطق بالخير لسانك ، وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد .

١٦ ﴿ مداراة العدو ﴾

في كتاب للهند : ان العدو الذى لا تقوى على رد بأسه فكن له واخضع كالنبات الذي يلين مع الريح العاصف فلا يضره ، وقال سابق البلوى:

وداهن إذا ماخفت يوما مسلطا عليك ولن يحتال من لا يداهن

١٧ ﴿ التحفظ من العدو وان أبدى لك المودة ﴾

قالت الحكماء : احذر الموتور ، ولا تطمئن اليه ، فالسلامة منه ، عند انقباضك عنه ، والثقة به ، تمكنه من مقاتلك ،

وقيل : ان احدث لك العدو صداقة لعلة ، فمع ذهاب العلة ، رجوع العداوة كالماء تسخنه ، فاذا تركت عنه ، رجع لاصله باردا ،

وشجرة الحنظل ، لو طليتها بالعسل ، لا تثمر الا مرا ، وقال الشاعر

ان الضغينة تلقاها وإن قدمت كالفر يكمن حينا ثم ينتشر

١٨ ﴿ أخبار الازارقة ﴾

أول الخوارج : حوثرة الاقطع ، فارسل اليه معاوية ، أباه وقال له اكفني ابنك ، فتقدم اليه بجيش عظيم فلم يقبل الرجوع ، وقال لما عاين أهل الكوفة

احمل على هذي الجموع حوثره فعن قريب ستنال المغفره

ثم قتله رجل من طي

وخرج مرداس أبو بلال : واجتمع اليه زهاء ثلاثين رجلا ونزل آسك ، فمر به مال لابن زياد ، فاخذ منه عطاءه وعطاء اصحابه ولم يزد ، فوجه اليهم ابن زياد اسلم بن زرعة الكلابي فى القين فنصحه مرداس ان يرجع ويتركهم منقطعين ، لا يقطعون سبيلا ، ولا ياخذون مالا ، فابي ، فشدوا عليه هو واصحابه وكانوا اربعين رجلا فهزموه وقتلوا اصحابه ، ثم وجه اليهم ابن زياد عباد نغدر بهم وقت صلاة الجمعة بعد ما أمنهم حتى يقضوا الصلاة وقتلهم عن آخرهم وبعد ذلك تتابعت الخوارج فى كل الازمان وشهر بينهم كثيرون بالشجاعة والديانة ، ومن مشاهيرهم ، نافع بن الازرق ، وابو بيهس هضيم بن جابر الضبعى ، وعبد الله بن اباض ، وقطرى بن الفجاءة ، وابن الصفار وصالح بن مخراق ، وعبيده بن هلال وسعد الطلائع وقريس بن مرة ، وزحاف الطائي ،

٣ الاجواد والاصفاد

قال ابن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الحروب ، وما يدخلها من النقص والكمال ، وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد ، والعدة والعدد ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، فى الاجواد ، والاصفاد ، إذ كان أشرف ملابس الدنيا ، وأزين لحللها ، وأدفعها لذم ، وأسترها لعيب ، كرم طبيعة ، يتحلى بها السمح السري ، والجواد السخي ، ولولم يكن فى الكرم الا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها ، فهو الكريم عز وجل ، ومن كان كريما من خلقه ، فقد تسمى باسمه ، واحتذى على صفته، قال النبي ﷺ : «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقال الحسن ، والحسين ، لعبد الله بن جعفر : انك قد أسرفت فى بذل المال ، قال : بأبي أنتما ، إن الله قدعودنى أن يتفضل علي ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة ، فيقطع عني .

١ ﴿ مدح الكرم وذم البخل ﴾

قال النبي ﷺ : اصطناع المعروف يقى مصارع السوء وقال ، ان الله يحب الجود ومكارم الاخلاق ، ويكره سفسافها . وقال اكثم بن صيفى : ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها الي المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ، ولا تعتادوا البخل فتتعجلوا الفقر . وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسناً فلينفق منه سراً وجهراً ، حتى يكون أسعد الناس فانما يترك ماترك لاحد رجلين ، اما لمصلح فلايقل عليه شيء ، واما لمفسد

فلا يبقى له شيء . وقال ابو ذر : ان لك في مالك شريكين الحدثان والوارث ، فان استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء فافعل

وقال الانصارى :

أوصيكم بالله اول وهلة واحسابكم والبر بالله اول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم وان كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن انتم أعوزتم فتعففوا وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا

وانشد لابن عباس رضي الله عنهما:

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى واعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني فى حاجة لم يجد لها سواى ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالى همه عن خناقه وزاوله الهم الطروق المساور
وكان له فضل عليَّ بظنه بي الخير انى للذى ظن شاكر

وقال ارسطاطاليس: من انتجعك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك ، والثقة بما عندك ،

٢ ﴿ الترغيب فى حسن الثناء واصطناع المعروف ﴾

قال النبي ﷺ : «اذا اردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء » وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهر ؟ قال: العلم به، قيل فما أحمد الاشياء؟ قال : ان تبقى للانسان أحدوثة حسنة . وقال الاحنف بن قيس: ما ادخرت الآباء للابناء ؛ ولا ابقت الموتي للاحياء ، شيئا افضل من اصطناع المعروف، عند ذوي الاحساب . وقال ابراهيم السندى : قلت لرجل من أهل الكوفة ومن وجوه أهلها ، كان لا يجف لبده ، ولا يستريح قلبه

ولا تسكن حركته ، فى طلب حوائج الرجال ، وادخال المرافق على الضعفاء اخبرني عن الحالة التي خففت عليك النصب ، وهونت عليك التعب في القيام بحوائج الناس ما هى ؟ قال : والله سمعت تغريد الطير بالاسحار ، في فروع الاشجار ، وسمعت خفق أوتار العيدان ، وترجيع اصوات القيان فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن ، بلسان حسن ، على رجل قد احسن ، ومن شكر حر لمنعم حر ، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر قال ابراهيم لله أبوك ، لقد حشيت كرما

٣ ﴿ الجود مع الاقلال ﴾

قال الله تبارك وتعالي فيما حكاه عن الانصار . (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون .) وقال عليه السلام . افضل العطية جهد المقل . وقال حبيب للحسن بن وهب الكاتب وقد أهدي اليه قلما :

قد بعثنا اليك اكرمك الله بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه الى جدا كفك الغمرا ولا نيلك الكثير الجزيل
واستجز قلة الهدية مني إن جهد المقل غير القليل

قال ابو هريرة : ما وددت ان احدا ولدتنى امه . الا جعفر بن أبي طالب تبعته وانا جائع ، فلما بلغ الباب التفت فرآني ، فقال ادخل فدخلت فبحث فى البيت فلم يجد الا نحيا كان فيه سمن ، فانزله من رف لهم فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما فيه وهو يقول .

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يدا الا بما تجد

وقال آخر واحسن

وما وجبت على زكاة مال … وهل تجب الزكاة على الجواد

﴿ العطية قبل السؤال ﴾

قال اكثم بن صيفي : كل سؤال وان قل ، اكثر من نوال وان جل وقال على ابن ابي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له الي منكم حاجة ، فليرفعها في كتاب ، لاصون وجوهكم عن المسئلة . وقالوا : السخي من كان مسروراً يبذله ، متبرعا بعطائه ، لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ، ويكون مثله فيما أعطي ، مثل الصائد يلقي الحب للطائر ، لا يريد نفعه ، ولكن نفع نفسه . قال بشار :

مالكى تنشق عن وجهه الحر … ب كما انشقت الدجى عن ضياء
لنقاخ السماء فيض يديه … لقريب ونازح الدار ناء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو … ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو … د ولكن طبائع الآباء

﴿ استنجاح الحوائج ﴾

قال النبي ﷺ : «استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود» . وقال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ، ولا تطلبوها من غير اهلها ، فان الحوائج تطلب بالرجاء ، وتدرك بالقضاء ، وقال : مفتاح نجح الحاجة الصبر على طول المدة ومغلاقها ، اعتراض الكسل دونها ، قال الشاعر :

لا تيأسن وإن طالت مطالبة … اذا تضايق امر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظي بحاجته ومدمن القرع للابواب إن يلجا

وقال شبيب ابن شيبه : إني لاعرف أمرا لا يتلاقي به إنسانان إلا وجب النجح بينهما . قيل له وماذاك ؟ قال : العقل ، فان العاقل لا يسأل مالا يمكن ، ولا يرد عما يمكن

وفى بعض الحديث : « اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه »

٦ ﴿ استنجاز المواعد ﴾

من أمثالهم ، أنجز حرما وعد . وقال ابن شهاب : حقيق على من أورق بوعد ، أن يثمر بفعل : وقال ابن أبي حاتم :

اذا قلت فى شيء نعم فأتمه فان نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها لئلا يقول الناس أنك كاذب

ولو لم يكن في خلف الوعد الا قوله عز وجل : (ياءيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) قال عبد الصمد ابن الفضل الرقاشي :

أخالد ان الري فدأ جحفت بنا وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييأس طامع ولا ماؤها يأتي فيروى عطاشها

وقال المهلب لبنيه : اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما ، فكفى بذلك تقاضيا

قال عمر بن الحارث : كانوا يفعلون ولا يقولون ، ثم صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم اصبحوا لا يقولون ولا يفعلون فزعم أنهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق . وقال فى ذلك الحسن بن هانيء

قال لي ترضى بوعد كاذب　　قلت إن لم يك شحم فنفس

٧ ﴿لطيف الاستمناح﴾

قالت الحكماء : لطيف الاستمناح ، سبب النجاح ، والانفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال ، وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل . كما قال الشاعر :

وجفوتني فقطعت عنك فوائدي　　كالدر يقطعه جفاء الحالب

وقال العتابى : ان طلبت حاجة الي ذي سلطان ، فأجمل فى الطلب اليه . وإياك والالحاح عليه ، فان الحاجة تكلم عرضك ، وتريق ماء وجهك ، فلا تأخذ منه عوضاً لما يأخذ منك ، ولعل الالحاح يجمع عليك إخلاق ماء الوجه ، وحرمان النجاح . فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب . وقال الحسن بن هانيء :

تأن مواعيد الكرام فربما　　حملت على الالحاح سمحا على بخل

قدم عبد الله بن زرارة الكلابي على أمير المؤمنين معاوية فقال : اني لم أزل أهز ذوائب الرحال فلم أجد معولا الا عليك ، امتطي الليل بعد النهار وأسم الجاهل بالآثار ، يقودني اليك امل ، وتسوقني بلوى ، واذا بلغتك فقطني . فقال : احطط عن رحلك . اتي رجل الى حاتم الطائي فقال : انه قد وقعت بيننا وبين قوم ديات . فاحتملتها فى مالي ، واملي ، فقدمت مالي ، وكنت املي ، فان تحملها فرب هم قد فرجته ، ودين قضيته ، وان حال دون ذلك حائل، لم أذم يومك ، ولم أيأس من غدك ، فحملها عنه . قال الاصمعي : كنت عند الرشيد اذ دخل عليه ابراهيم الموصلي فانشده :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى فليس الي ما تأمرين سبيل
فعالي فعال المكثرين تجملا ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف اخاف الفقر أو أحرم الغني ورأى امير المؤمنين جميل

فقال: لله ابيات تأتينا بها . ما أحسن أصولها ، وأبين فصولها ، وأقل فضولها ،يا غلام اعطه عشرين الفا . قال : والله لا أخذت منها درهما ، قال ولم ؟ قال: لان كلامك يا أمير المؤمنين ، خير من شعرى . قال : أعطوه أربعين الفا. قال الاصمعي : فعلمت انه أصيد لدراهم الملوك مني

وذكروا : ان جارا لابى دلف ببغداد لزمه دين حتي احتاج الى بيع داره فساوموه بها فقال: الفي دينار، فقالوا :ان دارك تساوى خمسمائة،قال:وجوارى أبي دلف بألف وخمسمائة ، فبلغه ذلك فقضى دينه ، وقال : لا تبع دارك ولا تنتقل من جوارنا .وقالت امرأة لقيس بن عبادة : أشكو اليك قلة الجرذان ، قال : ما أحسن هذه الكناية . املؤا لها بيتها خبزا ولحما وسمنا . ومن أعجب مايروي ، ماروره ابراهيم الشيبانى عن عبد الله بن على ابن سويد بن بلخوف قال : أعدم أبي بالبصرة ، فخرج الى خراسان ، فلم يصب بها طولا ، وعدا غلامه على بغلته وكسوته فذهب بها ، فأتى أباساسان حضين بن المنذر الرقاشي،فشكا اليه حاله ، فقال :والله ياابن أخى ماعمك ممن يحمل حاملك ، ولعلى أن أحتال لك ، فدعي بكسوة حسنة ، وبغلة فارهة وقال امض بنا ، فأتى باب والي خراسان ، فدخل وتركني بالباب ، فلم البث أن خرج الحاجب ودعاني، فدخلت على الوالي فاذا حضين على فراش بجانبه فسلمت على الوالي فرد على وجلست ، ثم أقبل عليه حضين فقال : اصلح الله

الامير : هذا على بن سويد بن منجوف سيد فتيان بكر بن وائل وابن سيد كهولها، وأكثر الناس مالا حاضرا بالبصرة، وفي كل موضع ملكت به بكر بن وائل مالا، وقد تحمل بي إلى الامير في حاجة . قال : هي مقضية . قال : فأنه يسألك أن تمد يدك من ماله ، ومراكبه ، وسلاحه ، إلى ماأحببت ، قال : لا والله لاأفعل ذلك به ، نحن أولى بزيادته ، قال : فقد أعفيناك من هذه إذ كرهتها فهو يسألك أن تحمله حوائجك ، قال : ان كانت حاجة فهو فيها ثقة ، ولكن اسألك أن تكلمه في قبول معاونة منا فانا نحب أن نرى على مثله من أثرنا فأقبل على فقال : يا أبا الحسن عزمت عليك أن لا ترد على عمك شيئا اكرمك به ، فسكت ، فأمر لي بمال وكسوة ورقيق ، ودواب ، فلما خرجت قال: أسكت ، فعمك أعلم بالناس منك ،

٨ ﴿الاخذ من الامراء﴾

قال ابو الخلال : سألت عثمان بن عفان ، عن جائزة السلطان ، فقال : لحم طرى ذكي . وكان النبي ﷺ ، يلبس خفين أسودين ، أهداهما اليه النجاشي ملك الحبشة . وقال رجل لابراهيم بن أدهم : يا ابا اسحاق كنت اريد أن تقبل مني هذه الجبه كسوة . قال : ان كنت غنيا قبلتها منك ، وان كنت فقيرا لم اقبلها منك ، قال : فاني غني ، قال : وكم مالك ؟ قال : الفا دينار، قال : فانت تود أنها أربعة آلاف ؟ قال نعم ، قال : فأنت فقير لا أقبلها منك

وقد فخرت العرب بأخذ جوائز الملوك ، فقال ذوالرمة :

وما كان مالى من تراث ورثته ولا دية كانت ولا كسب مأثم

ولكن عطاء الله من كل رحلة　　الي كل محجوب السرادق خضرم

٩ ﴿ تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء ﴾

قال عمر بن الخطاب وقد أعطي رجلا من الفقراء ألف دينار : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (اذا أعطيت فأغن)

١٠ ﴿ شكر النعمة ﴾

قالوا : كفر النعمة يوجب زولها ، وشكرها يوجب المزيد فيها ، وجاء فى الحديث «من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره» وقال ابن عباس : لو أن فرعون مصر أسدى الي يداً صالحة لشكرته عليها . وقالوا إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر . وسمع النبي ﷺ عائشة تنشد أبيات زهير بن جناب :

ارفع ضعيفك لايحربك ضعفه　　يوما فتدركه عواقب ماجنى
يجزيك أويثنى عليك فان من　　أثني عليك بما فعلت فقد جزي

فقال النبي ﷺ : « صدق ياعائشة ، لاشكر الله من لم يشكر الناس »
وقال الشاعر :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتى　　أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغني عن صديقه　　ولا مظهر الشكوي إذا النعل زلت

١١ ﴿ قلة الكرام ﴾

قال النبي ﷺ : «الناس كأبل مائة لاتكادتجدفيها راحلة» وقال الشاعر :

تعيرنا انا قليل عديدنا　　فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا　　عزيز وجار الاكثرين ذليل

وقال دعبل :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... والله يعلم أني لم أقل فندا
إني لأغلق عيني ثم افتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

١٢ ﴿ من جاد أولا وضن آخراً ﴾

كان يزيد بن منصور ، يجرى على بشار وظيفة في كل شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد ما زلت سابح غمرة ... صغيرا فلماشبت خيمت بالشاطي
جريت زمانا سابقا ثم لم تزل ... تأخر حتى جئت تقطو مع القاطي
كسنور عبد الله بيع بدرهم ... صغيرا فلما شب بيع بقيراط

١٣ ﴿ من ضن أولا ثم جاد آخرا ﴾

قدم الحارث بن خالد المخزومي على عبد الملك ، فلم يصله ، فرجع ، وقال فيه:

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة ... فلما أنجلت قطعت نفسي اذيمها
حبست عليك النفس حتى كانما ... بكفيك يجرى بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك ، فارسل اليه فرده ، وقال : أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي ؟ قال : لا ، ولكني اشتقت الى أهلي ووطني ، ووجدت فضلا من القول فقلت ، وعلى دين لزمني ، قال : وكم دينك ؟ قال : ثلاثون الفا ، فولاه مكة .

وقال الحطيئة :

سئلت فلم تبخل ولم تعط نائلا ... فسيان لاذم عليك ولا حمد
وانت امرؤ لا الجود منك سجية ... فتعطي وقد يعدى على النائل الوجد

١٤ ﴿من مدح أميراً فخيبه﴾

قال سعيد بن سلم : مدحني اعرابي فابلغ ، فقال:

الا قل لساري الليل لا تخش ضلة   سعيد بن سلم نور كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد   جواد حثا فى وجه كل جواد

قال فتأخرت عنه قليلا ، فهجاني فابلغ ، فقال :

لكل أخي مدح ثواب علمته   وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت سعيدا والمديح مهزة   فكان كصفوان عليه تراب

وقال آخر فى هذا المعني:

لئن أخطأت فى مدحيـ   ـك ما اخطأت فى منعى
لقد أنزلت حاجاتي   بواد غير ذي زرع

ومدح ربيعة الرقي، يزيد بن حاتم الازدي، وهو والي مصر، فاستبطأه ربيعة فشخص عنه من مصر، وقال:

أراني ولا كفران لله راجعا   بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم ، فارسل فى طلبه ، فرد اليه ، فلما دخل عليه قال أنت القائل : أراني ولا كفران لله راجعا ؟ قال : نعم ، قال : فهل قلت غير هذا ، قال : لا؟ قال : فوالله لترجعن بخفي حنين مملوءتين مالا ، فأمره بخلع نعليه وملئتا مالا ، فقال فيه لما عزل عن مصر وولي يزيد بن حاتم السلمى مكانه

لشتان مابين اليزيدين فى الندي   يزيد سليم والاغر ابن حاتم
فهم الفتي الازدي إنفاق ماله   وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أني هجوته   ولكنني فضلت أهل المكارم

١٥ ﴿ اجواد أهل الجاهلية ﴾

الذين انتهى اليهم الجود فى الجاهلية ، ثلاثة نفر ، حاتم بن عبد الله الطائي وهرم بن سنان المري ، وكعب بن مامة الايادي ، ولكن المضروب به المثل ، حاتم وحده ، وهو القائل لغلامه يسار ، وكان اذا اشتد البرد ، وكلب الشتاء ، أمر غلامه فأوقد ناراً فى يفاع من الارض ، لينظر اليها من أضل الطريق فيصمد نحوه ، فقال فى ذلك:

أوقد فان الليل ليل قر ... والريح ياواقد ريح صر
على يرى نارك من يمر ... إن جلبت ضيفا فأنت حر

ولحاتم بن عبد الله أيضا :

أماوي قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنا فى طلابكم العذر
أماوي إن المال غاد ورائح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوي اما مانع فمبين ... وإما عطاء لاينهنهه الزجر
أماوى إنى لا أقول لسائل ... إذا جاء يوما حل فى مالي النذر
أماوي مايغني الثراء عن الفتي ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى أن يصبح صداي بقفرة ... من الارض لاماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني ... وأن يدي مما بخلت به صفر
اذا أنا دلاني الذين يلونني ... بمظلمة زلخ جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم ... يقولون قد أدمي أظافرنا الحفر
أماوى إن المال اما بذلته ... فأوله شكر وآخره ذكر
وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر

فاني وجدى رب واحد أمه | أجرت فلا قتل عليه ولا أسر
ولا أظلم ابن العم إن كان اخوتي | شهودا وقد اودى باخوته الدهر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى | وكل سقانا بكأسيهما الدهر
فما زادنا بأوا على ذى قرابة | غنانا ولا أردي بأحلامنا الفقر

وأما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه :

ان تلق يوما على علاته هرما | تلق السماحة منه والندى خلقا

وفي بني سنان يقول زهير :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم | طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم | قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا ، إنس اذا أمنوا | مرزءون بهاليل إذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعم | لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

وأما كعب بن مامة ، فلم يأت عنه الا ما ذكر من إيثاره رفيقه السعدى بالماء ، حتى مات عطشا ، ونجا السعدي ، وهذا أكثر من كل ما أتي لغيره وفيه يقول حبيب :

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها | والجود بالنفس أقصى غاية الجود

١٦ ﴿أجواد أهل الاسلام﴾

أما أجواد أهل الاسلام فاحد عشر رجلا فى عصر واحد، ثلاثة فى الحجاز، عبيدالله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص ، وخمسة فى البصرة، عبد الله بن عامر بن كريز ، وعبيدالله بن أبي بكرة ، ومسلم بن زياد ، وعبيدالله بن معمر القرشي ، وطلحة الطلحات ، وثلاثة فى الكوفة ،

عتاب بن ورقاء الرياحي ، واسماء بن خارجة الفزارى ، وعكرمة بن ربعى العماصى . وسنذكر من بعض أخبارهم ، لمعة تدل على باقيهم .

فمن جود عبيدالله ، أنه أول من فطر جيرانه ، وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من حيا على طعامه ، وأول من أنهبه . وفيه يقول شاعر المدينة :

وفى السنة الشهباء أطعمت جامضا وحلوا ولحما تامكا وممزعا
وأنت ربيع لليتامي وعصمة إذا المحل من جو السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذى كان رحمة وغوثا ونورا للخلائق أجمعا

ومن جوده أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدق ، فاني نبئت أن عبيدالله بن عباس أعطي سائلا الف درهم واعتذر اليه ، فقال له : واين أنا من عبيدالله ؟ قال : أين أنت منه فى الحسب ، أم كثرة المال ؟ قال : فيهما ، قال : أما الحسب فى الرجل فمروءته وفعله ، وإذا شئت فعلت ، واذا فعلت كنت حسيبا ، فأعطاه ألفى درهم ، واعتذر اليه من ضيق الحال ، فقال له السائل : إن لم تكن عبيد الله بن عباس ، فأنت خير منه ، وان كنت هو ، فانت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه الفا أخرى ، فقال السائل : هذه هزة كريم حسيب والله لقد نقرت حبة قلبي فأفرغتها فى قلبك ، فما أخطأت الا باعتراض الشد من جوانحي .

ومن جوده أنه شاطر الحسين بن على ماله حين حبس عنه معاوية صلاته ، وارسل اليه ان أعجبه ذلك ، والا حمل اليه الباقى .

ومن جود عبد الله بن جعفر ، أنه أعطى امرأة سألته مالا عظيما ، فقيل

له: انها لاتعرفك ، وكان يرضيها اليسير،قال : إن كان يرضيها اليسير ، فاني لاأرضى الا بالكثير ، وان كانت لاتعرفني فانى أعرف نفسي.

ومن جود سعيد بن العاص ، أن معاوية كان يديل بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة ، فكان مروان يقارضه ، فلما دخل على معاوية ، قال له : كيف تركت أبا عبد الملك ؟ يعنى مروان ، قال : تركته منفذاً لامرك ، مصلحا لعملك ، قال معاوية : انه كصاحب الخبزة ، كفي إنضاجها فأكلها ، قال : كلا ياأمير المؤمنين إنه من قوم لايأكلون الا ماحصدوا ، ولايحصدون الا مازرعوا ، قال : فما الذى باعد بينك وبينه ؟ قال خفته على شرفي ، وخافني على مثله ، قال : فأي شيء كان له عندك. قال أسوأه حاضراً ،وأسره غائبا ، قال : ياأبا عثمان تركتنا في هذه الحروب، قال حملت الثقل ، وكفيت الحزم قال : فما أبطأ بك ؟ قال غناك عني أبطأ بى عنك وكنت قريبا، لو دعوت لأجبناك ، ولو أمرت لأطعناك ، قال: ذلك ظننا بك ، فأقبل معاوية على أهل الشام ، فقال : يا أهل الشام ، هؤلاء قومى ، وهذا كلامهم . ثم قال : أخبرني عن مالك ، فقد نبئت أنك تتحرى فيه ، قال : ياأمير المؤمنين لنا مال يخرج لنا منه فضل، فاذا كان مايخرج قليلا أنفقناه علي قلته ، وإن كان كثيراً فكذلك ، غير أنا لاندخر منه شيئاً عن معسر ، ولاطالب ، ولامستحمل ، ولانستأثر منه بفلذة لحم ، ولامزعة شحم ،قال: فكم يدوم لك هذا ؟قال :من السنة نصفها، قال:فما تصنع في باقيها؟ قال : نجد من يسلفنا ، ويسارع الي معاملتنا ، قال : ماأخذ أحوج الي أن يصلح من شأنه منك ، قال : ان شأننا لصالح ياأمير المؤمنين ، ولو زدته

فى مالي مثله ، ما كنت الا بمثل هذه الحال ، فامر له معاوية بخمسين الف درهم وقال : اشتر بها ضيعة تعينك على مروءتك ، فقال سعيد : بل اشتري بها حمداً وذكراً باقيا ، أطعم بها الجائع ، وأزوج بها الايم ، وافك بها العاني ، وأواسي بها الصديق ، وأصلح بها حال الجار ، فلم تأت عليه ثلاثة أشهر ، وعنده منها درهم ، فقال معاوية : ما فضيلة بعد الايمان بالله ، هى أرفع فى الذكر ، ولا أنبه فى الشرف ، من الجود ، وحسبك ان الله تبارك وتعالي جعل الجود آخر صفاته .

ومن جود عبيد الله بن أبي بكرة ـ انه وصل رجلا بمائة الف درهم لحرمة له عنده ، فقال له : ما وصلني بها أحد قط ولولا أنت لم تبق للدنيا بهجة

ومن جود عبيد الله بن معمر ـ أنه اشترى جارية بعشرة آلاف درهم فلما قبض صاحبها المال ودعها وقال :

أبوح بحزن من فراقك موجع أقاسى به ليلا يطيل تفكري
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوي الموت فاعذري
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فقال عبيد الله بن معمر : ـ قد شئت ، فخذ جاريتك وبارك الله لك فى المال ، وتأتي بعدهم طبقة أخري من الاجواد عرفوا بالكرم وشهروا بالجود وسنذكر منهم ما أمكننا .

(فمن) الطبقة الثانية من الاجواد ، الحكم بن حنطب . قال العتبى أخبرنى رجل من أهل منبج قال : قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق ، فاغنانا ، قال له : كيف اغناكم وهو مملق ؟ قال علمنا المكارم ، فعاد غنيناعلى

فقيرنا . (ومنهم) معن بن زائدة ، قال العتبي : لما قدم معن بن زائدة البصرة ، واجتمع اليه الناس ، أتاه مروان بن أبي حفصة ، فاخذ بعضادتي الباب ، فانشده شعره الذى قال فيه :

فما أحجم الاعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما أبي الله الي أن يضر وينفعا

(ومنهم) يزيد بن المهلب . قال الاصمعي : قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة ، فقال رجل منهم :

والله ما ندري اذا ما فاتنا طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك الي المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التى عودتنا أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار ، فلما كان العام المقبل ، وفد عليه فقال :

مالي أري أبوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الاسواق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندي بيديك فاجتمعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

فامر له بعشرة آلاف درهم ، وهو القائل لمن قال له لم لم تبن لك داراً ؟ انما منزلى دار الامارة أو السجن .

(ومنهم) يزيد بن حاتم . كتب اليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث اليه ثلاثين الف درهم ، وكتب اليه : أما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين الفا ، لا أكثرها إمتناعا ، ولا أقللها تجبراً ، ولا استثيبك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام . وخرج اليه رجل من الشعراء يمدحه ، فلما بلغ مصر وجده قد مات فقال :

لئن مصر فاتتني بما كنت أرتجي وأخلفني منها الذي كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ولا كل ما يرجو الفتي هو نائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى الا ليال قلائل

(ومنهم) أبو دلف واسمه القاسم بن اسماعيل ، وفيه يقول على بن جبلة :

انما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

(ومنهم) خالد بن عبد الله القسرى قدم اليه اعرابي فقال :

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال اذا كثروا
أناخ دهر القى بكلكله فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال : أرسلوك وانتظروا ، والله لا تنزل حتي تنصرف بما يسرهم ، وأمر له بجائزة عظيمة ، وكسوة ومتاع .

ومنهم عدى بن حاتم ـ أعطى شاعراً الف شاة والف درهم ، وثلاثة أعبد وثلاث إماء ، على مدحه ، وكان ذلك كل ما يملك أحد .

٢٩ ﴿ اصفاد الملوك على المدح ﴾

دخل اعشي ربيعة ، علي عبد الملك بن مروان ، وعن يمينه الوليد ، وعن يساره سليمان ، فقال له عبد الملك: ما الذى بقي يا أبا المغيرة ؟ فأنشأ يقول :

وما انا في حق ولا فى خصومتى بمهتضم حقى ولا قارع سنى

ولا مسلم مولاى من سوء ما جنى ولا خائف مولاى من سوء ما أجني
وفضلى فى الأقوام والشعر انني أقول الذى أعني وأعرف ما أعنى
وان فؤادى بين جنبي عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
واني وان فضلت مروان وابنه على الناس قد فضلت خير أب وابن

فضحك عبد الملك وقال للوليد وسليمان : أتلومانني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف .

سعيد بن سلم الباهلى ، قال : قدم على الرشيد أعرابي من باهلة ، وعليه جبه حبرة ، ورداء يمان ، قد شده على وسطه ، ثم ثناه على عاتقه ، وعمامته قد عصبها على فوديه ، وأرخى لها عذبة من خلفه ، فمثل بين يدي الرشيد ، فقال سعيد : ياأعرابى ، خذ فى شرف أمير المؤمنين ، فاندفع فى شعره ، فقال الرشيد : ياأعرابى أسمعك مستحسنا ، وأنكرك متهما ، فقل لنا بيتين فى هذين ، يعنى محمداً الامين ، وعبد الله المأمون ، ابنيه وهما حفافاه ، فقال: ياأمير المؤمنين ، حملتنى على الوعر القردد ، وأزعجتني على السهل الجدرد ، روعة الخلافة ، وبهر الدرجة ، ونفور القوافى على البديهة ، فأرودني ، تتألف لى نوافرها ، ويسكن روعى ، قال : قد فعلت ، وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك ، قال : ياأمير المؤمنين ، نفست الخناق ، وسهلت ميدان السباق وأنشأ يقول

بنيت لعبد الله ثم محمد ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد : وأنت يا أعرابي ، بارك الله فيك ، فسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك ، قال : الهنيدة ياأمير المؤمنين ، فأمر له بمائة ناقة ، وسبع خلع

وقف رجل من الشعراء الى عبد الله بن طاهر فأنشده :

اذا قيل أى فتى تعلمون أهش الى البأس والنائل
وأضرب للهام يوم الوغى وأطعم فى الزمن الماحل
أشار اليك جميع الانام اشارة غرقي الى الساحل

فأمر له بخمسين الف درهم .

الربيع حاجب المنصور ، قال : قلت يوماللمنصور : ان الشعراء ببابك ، وهم كثيرون ، طالت أيامهم ، ونفذت نفقاتهم ، فقال : اخرج اليهم ، فاقرأ عليهم السلام ، وقل لهم : من مدحني منكم ، فلا يصفني بالاسد ، فانما هو كلب من الكلاب ، ولا بالحية فانما هى دويبة منتنة تأكل التراب ، ولا بالجبل فانما هو حجر أصم ، ولا بالبحر فانما هو عطائط لجب ، ومن ليس فى شعره هذا ، فليدخل ، ومن كان في شعره فلينصرف ، فأنصرفوا كلهم ، الا ابراهيم بن هرمة فانه قال له : أنا له ياربيع ، فأدخلني ، فأدخله ، فلما مثل بين يديه قال المنصور : ياربيع قد علمت أنه لايجيبك أحد غيره ، هات ياأبن هرمة فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عذاب ونائل
له طينة بيضاء من آل هاشم اذا اسود من كوم التراب القبائل
إذا ماأتي شيئا مضي كالذى أتي وان قال إني فاعل فهو فاعل

فقال : حسبك ههنا بلغت : هذا عين الشعر ، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم فقمت اليه ، وقبلت رأسه ، واطرافه ، ثم خرجت فلما كدت أخفى على عينيه ، سمعته يقول : ياإبرهيم : فاقبلت إليه فزعا ، فقلت : لبيك

فداك أبي وأمي ، قال : احتفظ بها ، فليس لك عندنا غيرها فقلت : بأبي وأمي أنت ، أحفظها حتي أوافيك بها علي الصراط ، بخاتم الجهبذ.

٤ من كتاب الوفود

قال ابن عبد ربه : قد مضي قولنا فى الاجواد والاصفاد ، على مراتبهم ، ومنازلهم ، وما جزوا عليه ، وماندبوا إليه ، من الأخلاق الجميلة ، والأفعال الجزيلة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، فى الوفود الذين وفدوا على الخلفاء ، والملوك ، فانها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، ويستعذب الالفاظ ، وتستجزل المعاني ، ولا بد للوافد عن قومه ، أن يكون عميدهم ، وزعيمهم ، الذى عن قوسه ينزعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن السنة ، وما ظنك بوافد قوم ، يتكلم بين يدى النبي ﷺ ، أو خليفته ، أو بين يدى ملك جبار ، فى رغبة ، أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ من أمامه أخرى ، أتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة إلا وهو عندهم فى غاية الحذلقة واللسانة ، ومجمع الشعر والخطابة ، ألا ترى ان قيس بن عاصم المنقرى ، لما وفد على النبي ﷺ ، بسط له رداءه ، وقال : هذا سيد الوبر ، ولما توفى قيس بن عاصم ، قال فيه الشاعر :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ماشاء ان يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

١ ﴿ وفود الاحنف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

المدائني قال : قدم الاحنف بن قيس التميمى ، على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده فى أنفسهم ، وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الاحنف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان مفاتيح الخير بيدي الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وأن اخواننا من اهل الكوفة والشام ومصر ، نزلوا منازل الامم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسري وقيصر ، وبنى الاصفر ، فهم من المياه العذبة ، والجنان المختلفه ، فى مثل حولاء السلي ، وحدقة البعير ، تأتيهم ثمارهم غضة لم تخضر ، وانا نزلنا أرض نشاشة ، طرف فى فلاة ، وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة ، لا يجف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها فى مثل مرى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ، ترنق ولدها ترنق العنز ، تخاف عليه العدو والسبع فالا ترفع خسيستنا وتنعش ركيستنا ، وتجبر فاقتنا ، وتزد فى عيالنا عيالا ، وفى رجالنا رجالا ، وتصغر درهمنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر ، نستعذب به الماء هلكنا ، قال عمر : هذا والله السيد ، هذا والله السيد ، قال الاحنف : فما زلت أسمعها بعدها ، فأراد زيد بن جبلة ، أن يضع منه ، فقال يا أمير المؤمنين : أنه ليس هناك ، وأمه باهلية ، قال عمر : هو خير منك ان كان صادقا ، يريد ان كان له نية ، فقال الاحنف :

أنا ابن الباهلية أرضعتني بثدي لا أجد ولا وخيم

أغض على القذى أجفان عينى الى شر السفيه الي الحليم

قال فرجع الوفد ، واحتبس الاحنف عنده حولا وأشهراً ، ثم قال : أن رسول الله ﷺ ، حذرنا كل منافق ، صنع اللسان ، واني خفتك فاحتبستك ، فلم يبلغني عنك الا خير ، رأيت لك جولا ، ومعقولا ، فارجع الي منزلك ، واتقى الله ربك ، وكُتب الي أبي موسى الاشعرى أن يحتفر لهم نهراً

٢ ﴿ وفود عمرو بن معديكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

لما فتحت القادسية ، على يدي سعد بن أبى وقاص ، أبلى فيها عمرو بن معد يكرب ، بلاء حسنا ، فأوفده سعد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكتب اليه معه بالفتح ، وأثني فى الكتاب على عمرو ، فلما قدم علي عمر بن الخطاب ، سأله عن سعد ، فقال : إعرابي فى طمرته ، أسد في نمورته ، نبطى فى حبوته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية ، وينفل فى السرية ، وينقل الينا حقنا نقل الذرة ، فقال عمر : لشد ماتقارضتما الثناء ، وكان عمر قد كتب الى سعد يوم القادسية ، ان يعطى الناس على قدر مامعهم من القرآن فقال سعد لعمرو بن معد يكرب : مامعك من القرآن ؟ قال : مامعى شىء ، قال : إن أمير المؤمنين ، كتب الي أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن ، فقال عمرو :

إذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ ولا سوية إذ نعطي الدنانير

قال . فكتب سعد بأبياته الي عمر ، فكتب اليه أن يعطي على مقامته فى الحرب .

٣ ﴿ وفود عمرو بن معد يكرب على مجاشع بن مسعود ﴾

وفد عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، على مجاشع بن مسعود السلمي ، وكانت بين عمرو ، وبين سليم ، حروب في الجاهلية ، فقدم عليه البصرة يسأله الصلة ، فقال له : اذ كر حاجتك ، فقال له : حاجتي صلة مثلي ، فاعطاه عشرة آلاف درهم ، وفرسا من بنات الغبراء ، وسيفا جرازا ، ودرعا حصينة وغلاما خبازا ، فلما خرج من عنده ، قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك ؟ قال : لله بنو سليم ، ما أشد في الهيجاء لقاؤها ، وا كرم في اللأواء عطاؤها : واثبت في المكرمات بناؤها ، والله يا بني سليم ، لقد قاتلنا كم فما أجبنا كم ، ولقد هاجينا كم ، فما افحمنا كم ، ولقد سألنا كم ، فما أبخلنا كم ،

فالله مسئولا نوالا ونائلا وصاحب هيج يوم هيج مجاشع

٤ ﴿ وفود الحجاج بابراهيم بن طلحة على عبد الملك بن مروان ﴾

عمر بن عبد العزيز قال : لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين ، بعد قتله ابن الزبير ، استخلص ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فقربه ، وعظم منزلته فلم تزل تلك حاله عنده ، حتى خرج الى عبد الملك بن مروان ، فخرج معه معادلا ، لا يقصر له في بر واعظام ، حتي حضر به عبد الملك ، فلما دخل عليه ، لم يبدأ بشيء بعد السلام ، الا ان قال له : قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز ، لم أدع له بها نظيرا في الفضل والادب ، والمروءة وحسن المذهب ، من قرابة الرحم ، ووجوب الحق ، وعظم قدر الابوة ، وما بلوت منه في الطاعة ، والنصيحة ، وحسن المؤازرة ، وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة

وقد أحضرته بابك ، ليسهل عليه اذنك ، وتعرف له ما عرفتك ، فقال : أذكرتنا رحما قريبة ،وحقا واجبا ، يا غلام ائذن لابراهيم بن محمد بن طلحة فلما دخل عليه ، أدناه عبد الملك حتي اجلسه على فراشه ، ثم قال له : يا ابن طلحة،ان ابا محمد ذكرنا مالم نزل نعرفك به فى الفضل ، والادب،والمروءة وجسن المذهب ، مع قرابة الرحم ، ووجوب الحق ، وعظم قدر الابوة ، وبلاءه منك فى الطاعة، والنصيحة ، وحسن الموازرة ، فلا تدعن حاجة فى خاصة نفسك ، وعامتك ، الا ذكرتها ، فقال . يا أمير المؤمنين ان أول الحوائج ، واحق ما قدم بين يدى الامور ما كان لله فيه رضاء،ولحق نبيه ﷺ أداء ، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وعندى نصيحة ، لا أجد يدا من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك الا وانا خال ، فاخلني يا أمير المؤمنين ، ترد عليك نصيحتى ، قال : دون أبى محمد ؟ قال : نعم دون أبي محمد ، قال : عبد الملك للحجاج : قم ، فلما خطرف الستر ، اقبل غليه ، فقال: يا ابن طلحة قل نصيحتك،فقال : تالله ياأمير المؤمنين،لقد عمدت الى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه ، وبعده من الحق ،وقربه من الباطل ، فوليته الحرمين ، وهما ما هما ، وبهما من بهما ، من المهاجرين ، والانصار ، والموالي الأخيار يطؤهم ويسومهم الخسف ، ويحكم فيهم بغير السنة ، بعد الذي كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمتهم، ثم ظننت ان ذلك فيما بينك وبين الله زاهق ،وفيما بينك وبين نبيك غدا اذا جاثاك للخصومة بين يدي الله فى امته ، أما والله لا تنجو هنالك ، الا بحجة ، فاربع على نفسك أودع ، فقال له عبد الملك : كذبت ، ومنت ، وظن بك الحجاج ما لم يجده فيك ، وقد يظن الخير بغير

أهله ، ثم ، فانت الكاذب ، المائن ، قال : فقمت ، وما أعرف طريقا ، فلما خطرف الستر ، لحقني لاحق ، فقال : احبسوا هذا : وقال للحجاج : ادخل فدخل ، فمكث مليا من النهار ، لا أشك انهما في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : ادخل يابن طلحة ، فلما كشف لي الستر ، لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل ، فاعتنقني ، وقبل مابين عيني ، وقال : اماإذا جزي الله المتواخين خيراً ، بفضل تواصلهم ، فجزاك الله عني أفضل الجزاء ، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك ، ولأعلين كعبك ، ولأتبعن الرجال غبرة قدميك ، قال : فقلت يهزأ بي وحق الكعبة ، فلما وصلت الى عبد الملك ، ادناني ، حتى ادناني الي مجلسي الاول ، ثم قال : يا ابن طلحة ، لعل احدا شاركك في نصيحتك هذه ، قلت : والله ياأمير المؤمنين ، ما أعلم احداً أنصع عندى يداً ، ولا أعظم معروفا ، من الحجاج ، ولو كنت محابيا احدا ، لغرض دنيا لحابيته ، ولكني آثرت الله ورسوله ، وآثرتك والمؤمنين عليه ، قال : قد علمت أنك لم ترد الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك في الحجاج ، ولكن أردت الله ، والدار الآخرة ، وقدعزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما ، واعلمته أنك استنزلتني له عنهما ، استقلالا لهما ، ووليته العراقين ، وما هنا لك من الامور التي لا يدحضها الامثله ، وأعلمته انك استدعيتني الي ولايته عليهما استزادة له لألزمه بذلك من حقك ، ما يؤدى اليك عني نصيحتك ، فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته .

٥ ﴿ وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة ﴾

أبو الحسن المدائني، قال: لما هزم المهلب بن أبي صفرة، قطري بن الفجاءة صاحب الازارقة، بعث الى مالك بن بشير، فقال له: إني موفدك الى الحجاج، فسر، فانما هو رجل مثلك، وبعث اليه بجائزة فردها، وقال: انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه، فلما دخل على الحجاج: قال له: ما اسمك؟ قال: مالك بن بشير، قال: ملك وبشارة، كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ما أمل، وأمن ما خاف، قال: كيف هو بجنده؟ قال: والد رءوف، قال: فكيف جنده له؟ قال: أولاد بررة، قال: كيف رضاهم عنه؟ قال: وسعهم بالفضل، وأقنعهم بالعدل، قال: فكيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم؟ قال: نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم، ويلقوننا بجدهم فيطمعون فينا، قال: كذلك الجد اذا لقي الجد، قال: فما حال قطرى؟ قال: كادنا ببعض ما كدناه، قال: فما منعكم من اتباعه؟ قال: رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه، قال: فأخبرني عن ولد المهلب؟ قال: أعباء القتال بالليل، حماة السرح بالنهار، قال: أيهم أفضل؟ قال: ذلك الى أبيهم، قال: لتقولن، قال: هم كحلقة مضروبة، لا يعرف طرفاها، قال: أقسمت عليك، هل روأت في هذا الكلام؟ قال: ما أطلع الله على غيبه أحداً فقال الحجاج لجلسائه: هذا والله الكلام المطبوع، لا الكلام المصنوع.

٦ ﴿ وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ﴾

قدم جرير بن الخطفى، على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، عن أهل الحجاز، فاستأذنه في الشعر، فقال: مالي وللشعر يا جرير، إني لفي شغل عنه.

فقال : ياأمير المؤمنين ، انها رسالة عن أهل الحجاز ، قال : فهاتها اذاً ،فقال:

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ماملكت يمينه فناه الجهد والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة قامت تنادى بأعلى الصوت ياعمر

٧ ﴿ وفود كثير والاحوص على عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ﴾

حماد الراوية ، قال : قال لي كثير عزة : ألا أخبرك عما دعاني الى ترك الشعر ؟ قلت : نعم ، قال : شخصت انا والاحوص ونصيب الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكل واحد منا يدل عليه بسابقة ، واخاء قديم ، ونحن لانشك انه سيشركنا فى خلافته ، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة ، لقينا مسلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العرب ، فسلمنا فرد ، ثم قال : أما بلغكم أن امامكم لا يقبل الشعر ؟ قلنا : ماتوضح الينا خبر حتي انتهينا اليك ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا ، فقال : ان يك ذو دين بنى مروان قد ولي ، وخشيتم حرمانه ، فان ذادنياها قد بقي ، ولكم عندى ماتحبون ، وما ألبث حتي أرجع اليكم ، وأمنحكم ما أنتم أهله ، فلما قدم ، كانت رحالنا عنده بأكرم منزل ، وأكرم منزول عليه ، فأقمنا عنده أربعة أشهر ، يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا ، الى أن قلت فى جمعة من تلك الجمع : لو اني دنوت من عمر ، فسمعت كلامه ، فحفظته ، كان ذلك رأيا ،ففعلت فكان مما حفظت من كلامه ، لكل سفر زاد لامحالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا الي الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه

فترغبوا وترهبوا . ولا يطولن عليكم الامد . فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم . فى كلام كثير ، لا أحفظه ، ثم قال: أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي ، فتخسر صفقتي ، وتظهر عيلتي ، وتبدو مسكنتي، في يوم لا ينفع فيه الا الحق والصدق، ثم بكى حتى ظننت انه قاض نحبه، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء وانصرفت الي صاحبي ، فقلت لهما : خذا فى شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه ، فان الرجل آخرى ، وليس بدنيوى، الي أن استأذن لنا مسلمة فى يوم جمعة ، بعد ما أذن للعامة ، فلما دخلت سلمت، ثم قلت : ياأمير المؤمنين طال الثواء ، وقلت الفائدة وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب ، قال : يا كثير ، انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، أفي واحد من هؤلاء أنت ؟ قلت : بلى ، ابن سبيل منقطع به ، وأنا صاحبك . قال : ألست صاحب أبي سعيد ؟ قلت : بلي ، قال : ماأرى ضيف أبي سعيد منقطعا به ، قلت . ياأمير المؤمنين ، أتاذن لى فى الانشاد ؟ قال : نعم ، ولا تقل الا حقا ، فقلت :

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ... بريا ولم تقبل اشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي ... أتيت فأمسى راضياً كل مسلم
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغه ... من الاود الباقي ثقاف المقوم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها ... تراءي لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحيانا بعين مريضة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما ... سقتك مدوفا من سمام وعلقم

وقد كنت من أجبالها فى ممنع ومن بحرها فى مزبد الموج مفعم
ومازلت تواقا الى كل غاية بلغت بهـا أعلى البناء المقوم
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن لطالب دنيا بعده من تقدم
ومالك إذ كنت الخليفة مانع سوى الله من مال رعيت ودرهم
تركت الذي يفني وإن كان رونقا وآثرت مايبقى برأي مصمم
وأضررت بالفاني وشمرت للذي أمامك فى يوم من الشر مظلم
سمالك هم فى الفؤاد مؤرق بلغت به أعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتنى لاخذ لدينار ولا أخذ درهم
ولا بسط كف لامرىء غير مجرم ولا السفك منه ظالما ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسموا لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فأربح بها من صفقة لمبايع وأعظم بها، أعظم بها، ثم أعظم

قال فقبل علىَّ وقال: انك مسئول عما قلت، ثم تقدم الاحوص، فاستأذنه فى الانشاد، فقال: قل ولا تقل الا حقا، فقال:

وما الشعر الا حكمة من مؤلف لمنطق حق أو لمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذي وافق الرضا ولا ترجعنا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنـة ولا شأمة فعل الظلوم المخاتل
ولـكن أخذت الحق جهدك كله وتقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يرد الحق من قول قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه على فوقه اذ غار من نزع نائل

ولولا الذي قد عودتنا خلائف غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما وخدت شهرا برحلي شملة تقد متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به حبينا زمانا من ذويك الاوائل
فان لم يكن للشعر عندك موضع وان كان مثل الدر في نظم قائل
وكان مصيباً صادقاً لاتعيبه سوى أنه يبني بناء المنازل
فان لنا قربى ومحض مودة وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم وارسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ما أعطي هنيدة جلة على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المستضاء بنوره عليه سلام بالضحي والاصائل

فقال: انك مسئول عما قلت، ثم تقدم نصيب، فاستأذنه في الانشاد، فلم يأذن له، وامره باللحاق بدابق، فخرج اليها وهو محموم، وأمر لي بثلثمائة، وللاحوص بمثلها، ولنصيب بمائه وخمسين.

٨ ﴿ وفود نابغة بني جعدة على ابن الزبير رحمه الله تعالي ﴾

الزبير بن بكار، قاضي الحرمين، قال: أقحمت السنة نابغة بني جعدة، فوفد الي ابن الزبير، فدخل عليه في المسجد الحرام، ثم أنشده:

حكيت لنا الصديق لما وليتنا وعثمان والفاروق فارتاح معدم
وسويت بين الناس في الحق فاستووا فعاد صباحا حالك اللون مظلم
اتاك أبو ليلى تجوب به الدجا دجى الليل جواب الفلاة عثمثم
لتجبر منه جانبا زعزعت به صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير: هون عليك أبا ليلى، فالشعر أدنى وسائلك عندنا،

أما صفوة مالنا فلآل الزبير ، واما عفوته فان بني أسد وتيما تشغلها عنك « ولـكن لك فى مال الله سهمان ، سهم برؤيتك رسول الله ﷺ وسهم بشركتك فى فيئهم ، ثم اخذ بيده، وذخل به دار النعم ، فاعطاه قلائص سبعا ، وجملا رحيلا ، وأوقر له الركاب براً وتمراً ، فجعل النابغة يستعجل فيا كل الحب ضرفا ، فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلى لقد بلغ به الجهد ؛ قال النابغة : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : ماوليت قريش فعدلت ، ، واسترحمت فرحمت ، وحدثت فصدقت ، ووعدت فانجزت ، فانا والنبيون فراط القاصفين . قال الزبير بن بكار : الفارط الذي يتقدم الي الماء يصلح الرشاء والدلاء ، والقاصف الذي يتقدم لشراء الطعام .

٩ ﴿ وفود سودة ابنة عمارة على معاوية ﴾

عامر الشعبي قال : وفدت، سودة ابنة عمارة بن الاشتر الهمدانية ، على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه ، فاذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها : كيف انت ياابنة الاشتر ؟ قالت: بخير ياأمير المومنين ، قال لها : انت القائلة لابيك

شمر كفعل ابيك يابن عمارة   يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر علياً والحسين ورهطه   واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد   علم الهدي ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه   قدما بأبيض صارم وسنان

قالت : ياأمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ماقد نسي ، قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك نسي ، قالت : صدقت والله

يا امير المؤمنين ، ما كان أخي خفي المقام. ذليل المكان . ولكن كما قالت الخنساء :

وأن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين ، اعفائى مما استعفيته ، قال : قد فعلت . فقولى حاجتك ، قالت : يا أمير المؤمنين ، انك للناس سيد ، ولأمورهم مقلد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة ، هذا ابن ارطاة ، قدم بلادى ، وقتل رجالي ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فاما عزلته فشكرناك ، واما الا فعرفناك ، فقال معاوية : إياي تهددين بقومك ؟ والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب أشرس ، فينفذ حكمه فيك ، فسكتت ، ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغى به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبى طالب رحمه الله تعالى ، قال : لا أرى عليك منه أثرا ، قالت : بلى ، أتيته يوما فى رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه مابين الغث والسمين ، فوجدته قائما يصلى ، فانفتل من الصلاة ، ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه الي السماء فقال : اللهم انى لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس

أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين، بقية الله خير لكم أن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) إذا أتاك كتابي هذا ، فاحتفظ بما في يديك، حتى يأتي من يقبضه منك والسلام ، فمز له ياأمير المؤمنين ،ماخزمه بخزام، ولا ختمه بختام ، فقال معاوية : اكتبوا لها بالانصاف لها ، والعدل عليها ، فقالت: الى خاصة ، أم لقومي عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ! قالت : هي والله اذا الفحشاء واللؤم ، ان كان عدلا شاملا ، والا يسعني مايسع قومي ، قال :هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة ، اكتبوا لها بحاجتها.

١٠ ﴿ وفود ام سنان بنت جشمة على معاوية رحمه الله تعالى ﴾

سعيد بن أبي حذافة قال : حبس مروان وهو والي المدينة ، غلاما من بني ليث ، في جناية جناها ، فأتته جدة الغلام ، وهي أم سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية ، فكلمته في الغلام ، فأغلظ مروان ، فخرجت الى معاوية فدخلت عليه ، فانتسبت ،فعرفها ، فقال لها : مرحبا يابنة جشمة ، ماأقدمك أرضنا ؟ وقد عهدتك تشتميننا ، وتحضين علينا عدونا ، قالت : ان لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأحلاما وافرة ،لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو، وان أولي الناس باتباع ماسن اباؤه لأنت قال : صدقت نحن كذلك ، فكيف قولك ؟

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لامقام فشمروا ... ان العدو لآل احمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب اسعد
خير الخلائق وابن عم محمد ... ان يهدكم بالنور منه تهتدوا

مازال مذ شهر الحروب مظفراً والنصر فوق لوائه مايفقد

قالت : كان ذلك ياأمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا فقال رجل من جلسائه : كيف ياأمير المؤمنين وهى القائلة :

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هاديا مهديا

فاذهب عليك صلاة ربك مادعت فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفا كما أوصى اليك بنا فكنت وفيا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان صدق ، وقول نطق ، ولئن تحقق ما ظننا فحظك الاوفر ، والله ما ورثك الشنآن فى قلوب المسلمين ، الا هؤلاء فادحض مقالتهم ، وأبعد منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك ، تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا ، قال: وانك لتقولين ذلك ؟ قالت : سبحان الله ، والله ما مثلك مدح بباطل ، ولا اعتذر اليك بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا ، كان والله على احب الينا منك ،وانت احب الينا من غيرك قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاصى ، قال : وبما استحقت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوك ، قال : فانهما يطمعان فى ذلك ؟ قالت : هما والله من الرأى على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى ، قال . والله لقد قاربت ، فما حاجتك ؟قالت : يا أمير المؤمنين ، ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ، ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابنى فأتيته ، فقال : كنت وكنت ، فاسمعته اخشن من الحجر والقمته أمر من الصاب ، ثم رجعت الي نفسي باللائمة ، وقلت: لم لا أصرفه

ذلك الي من هو أولي بالعفو منه ، فاتيتك ياأمير المؤمنين ، لتكون فى أمري ناظرا ، وعليه معربا ، قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقه ، قالت : يا أمير المؤمنين ، واني لى بالرجعة ؟ وقد نفذ زادي ، وكلت راحلتى ، فامر لها براحلة ، وخمسة آلاف .

٥ ﴿مخاطبة الملوك﴾

قال ابن عبد ربه : قد مضي قولنا فى الوفود والوافدات ، ومقاماتهم بين يدي الخلفاء والملوك ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، وتأييده وتسديده فى مخاطبة الملوك ، والتزلف اليهم بسحر البيان ، الذي يمازج الروح لطافة ويجرى مع النفس رقة ، والكلام الرقيق ، مصايد القلوب ، وان منه لما يستعطف المستشيط غيظا ، والمندمل حقدا ، حتى يطفىء جمرة غيظه ويسهل دقائق حقده ، وان منه لما يستميل قلب اللئيم ، ويأخذ بسمع الكريم وبصره وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة ، وشافعا مقبولا ، قال تبارك وتعالى ، (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وسنذكر فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى . من تخلص من انشوطة الهلاك وتفلت من حبائل المنية ، بحسن التنصل ، ولطيف التوصل ، ولين الجواب ورقيق الاستعتاب ، حتي عادت سيئاته حسنات ، وعيض بالثواب بدلا من العقاب ، وحفظ هذا الباب ، أوجب على الانسان من حفظ عرضه . وألزم له من قوام بدنه .

١ ﴿البيان﴾

كل شيء كشف لك قناع المعني الخفي . حتي يتأدي الي الفهم ، ويتقبله

العقل ، فذلك البيان الذي ذكره الله في كتابه ، ومن به على عباده ، فقال تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وسئل النبي ﷺ . فيم الجمال ؟ فقال في اللسان ، يريد البيان ، وقال ﷺ : ان من البيان لسحراً . وقالت العرب : انفذ من الرمية ، كلمة خفية .

٢ ﴿ تبجيل الملوك وتعظيمهم ﴾

قال النبي ﷺ : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقالت العلماء : لا يؤم ذو سلطان في سلطانه ، ولا يجلس على تكرمته الا باذنه ، وقال زياد : لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين . وقال يحي بن خالد ابن برمك : مسألة الملوك عن حالها من تحية النوكي ، فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير ، فقل صبح الله الامير بالنعمة والكرامة ، وإذا كان عليلا فاردت أن تسأله عن حاله ، فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة ، فان الملوك لا تسال ، ولا تشمت ، ولا تكيف .

اعتل الفضل بن يحي ، فكان اسماعيل بن صبيح الكاتب إذ أتاه عائداً ، لم يزد على السلام عليه ، والدعاء له ، يخفف في الجلوس ، ثم يلقى حاجبه فيساله عن حاله ، ومأكله ، ومشربه ، ونومه . وكان غيره يطيل الجلوس ، فلما أفاق من علته ، قال : ماعادني في علتي هذه الا اسماعيل بن صبيح .

ودخل الشعبي على الحجاج فقال له : كم عطاءك ؟ قال : الفين ، قال : ويحك كم عطاؤك ؟ قال : ألفان ، قال : فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك ؟ قال : لحن الامير فلحنت ، وأعرب الامير فاعربت . ولم أكن ليلحن الامير فاعرب أنا عليه ، فأكون كالمقرع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول

قبله ، فاعجبه ذلك منه ووهبه مالا .

٣ ﴿ قبلة اليد ﴾

عبد الرحمن بن ابي ليلى ، عن عبد الله بن عمر ، قال : كنا نقبل يد النبي ﷺ . ومن حديث وكيع ، عن سفيان ، قال : قال قبل أبو عبيده يد عمر بن الخطاب . ومن حديث الشعبي . قال : لقي النبي ﷺ . جعفر بن أبي طالب ، فالتزمه ، وقبله مابين عينيه .

٤ ﴿ من كره من الملوك تقبيل اليد ﴾

العتبي قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك ، فقبل يده ، فقال : أف له ، ان العرب ماقبلت الايدي الا هلوعا ، ولا فعلته العجم الا خضوعا .

٥ ﴿ حسن التوقيع في مخاطبه الملوك ﴾

قال هرون الرشيد ، لمعن بن زائدة : كيف زمانك يامعن ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، أنت الزمان ، فان صلحت صلح الزمان ، وان فسدت فسد الزمان ، وهذا نظير قول سعيد بن سلم ، وقد قال له أمير المؤمنين الرشيد من بيت قيس في الجاهلية ؟ قال ياأمير المؤمنين بنو فزارة ، قال : فمن بيتهم في الاسلام ؟ قال ياأمير المؤمنين : الشريف من شرفتموه ، قال : صدقت أنت وقومك .

ودخل معن بن زائدة ، على أبي جعفر ، فقال له : كبرت يامعن ، قال في طاعتك ياأمير المؤمنين ، قال : وانك لتتجلد . قال : على اعدائك ياأمير المؤمنين . قال . وان فيك لبقية . قال : هي لك ياأمير المؤمنين . قال . أى الدولتين أحب اليك أو أبغض دولتنا أو دولة بني أمية ؟ قال : ذلك اليك

أمير المؤمنين . ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الي . وان زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب الي . قال : صدقت

وقال ابو جعفر المنصور : لجرير بن يزيد ، اني أردتك لامر ، قال : ياأمير المؤمنين ، قد أعد الله لك مني قلبا معقودا بطاعتك . ورأيا موصولا بنصيحتك ، وسيفا مشهورا على عدوك ، فاذا شئت فقل .

قال هرون لعبد الملك بن صالح : صف لي منبجا ، قال : رقيقة الهواء ، لينة الوطاء ، قال : فصف لي منزلك بها ، قال : دون منازل أهلي ، وفوق منازل أهلها ، قال : ولم ؟ وقدرك فوق أقدارهم ، قال : ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسي به ، وأقفوا أثره ، واحذو مثاله .

ودخل المأمون يوما بيت الديوان ، فرأي غلاما جميلا ، على اذنه قلم ، فقال : من أنت ياغلام ؟ قال : انا الناشيء في دولتك ، والمتقلب في نعمتك ، والمؤمل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ، قال المأمون : بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .

وقال عبد العزيز بن مروان : لنصيب بن رباح ، وكان أسود ، هل لك فيما يثمر المحادثة ؟ يريد المنادمة ، فقال : أصلح الله الامير ، اللون مرمد ، والشعر مفلفل ، ولم أقعد اليك بكريم عنصر ، ولا بحسن منظر ، وانما هو عقلي ولساني ، فان رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل . ولما ودع المأمون ، الحسن بن سهل ، عند خروجه من مدينة السلام ، قال له : ياأبا محمد ، ألك حاجة تعهد الى فيها ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، أن تحفظ على من قلبك ، مالا أستعين على حفظه الا بك . وقال سعيد بن سلم بن قتيبة : للمأمون ، لو لم أشكر

الله إلا على حسن ماأبلاني فى أمير المؤمنين من قصده الي بحديثه ، واشارته الي بطرفه ، لكان ذلك من أعظم ماتوجبه النعمة ، وتفرضه الصنيعة ، قال المأمون: ذلك والله لان أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت، وحسن الفهم اذا حدثت ، ما لا يجده عند غيرك ،

٦ ﴿مدح الملوك والتزلف اليهم﴾

فى سيرة العجم ، أن أزدشير بن يزدجرد لما استوثق له أمره ، جمع الناس فخطبهم خطبة ، حضهم فيها على الالفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصنف الناس أربعة ، فخروا له سجدا ، وتكلم متكلمهم فقال . لازلت أيها الملك محبوا من الله بعز النصر ، ودرك الامل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولا زلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات حتي تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها، ولا تنقطع زهوتها فى دار القرار ، التى اعدها الله لنظرائك ، من أهل الزلفى عنده ، والحظوة لديه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة البحور والانهار ، حتى تستوى اقطار الارض كلها فى علوك عليها ، بانفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ، ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل الينا من عظيم رأفتك ، ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم ، فاصبحت قد جمع الله بك الايادي بعد افتراقها، والف بين القلوب بعد تباغضها، وأذهب عنا الاحن بعد توقد نيرانها بفضلك الذي لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنعت ، فقال ازدشير : طوبي للممدوح اذ كان للمدح مستحقا ، وللداعي اذا كان للاجابة أهلا .

ابن أبي طاهر قال : دخل المأمون بغداد . فتلقاه وجوه اهلها ، فقال له رجل منهم: ياامير المؤمنين، بارك الله لك في مقدمك، وزاد في نعمتك، وشكرك عن رعيتك ، تقدمت من قبلك ،وأتعبت من بعدك ، وآيست أن يعاين مثلك ، أما فيما مضي فلا نعرفه، واما فيما بقي فلا نرجوه،فنحن جميعا ندعو لك ونثني عليك ، خصب لنا جنابك ، وعذب ثوابك ،وحسنت نظرتك ، وكرمت مقدرتك ، جبرت الفقير ، وفككت الاسير ، فانك يا أمير المؤمنين كما قال الاول :

ما زلت في البذل والنوال واطـ ـلاق لعان بجرمه غلق
حتي تمنى البراء انهم عندك اسرى في القيد والحلق

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال : قريع المنطق، جزل الالفاظ ، عربي اللسان ، قليل الحركات ، حسن الاشارات ، حلو الشمائل ، كثير الطلاوة ، صموتا ، قوولا ، يهنأ الجرب ، ويداوي الدبر ، ويقل الحز ، ويطبق المفصل ، لم يكن بالبرم في مروءته ، ولا بالهذر في منطقه ، متبوعا غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار . دخل سهل بن هرون على الرشيد ، فوجده يضاحك ابنه المأمون ، فقال: اللهم زده من الخيرات ، وابسط له في البركات ، حتي يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه ، مقصراً عن غده ، فقال له الرشيد : ياسهل ، من روي من الشعر أحسنه وأجوده ، ومن الحديث أصحه وأبلغه ، ومن البيان أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول ، لم يعجزه . قال سهل: يا أمير المؤمنين ، ما ظننت أحداً تقدمني الى هذا المعني ، فقال : بل أعشى همدان، حيث يقول :

وجدتك أمس خير بني لؤي … وانت اليوم خير منك امس
وأنت غداً تزيد الخير ضعفا … كذاك تزيد سادة عبد شمس

وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمر العتكي ، فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : ياأمير المؤمنين ، ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج أحد أخف ولا أحب اليه منه .

الشيباني قال : أقام المنصور صالحا ابنه ، فتكلم في أمر فأحسن ، فقال شبيب ابن شبة : تالله ما رأيت كاليوم أبين بيانا ، ولا أعرب لسانا ، ولا أربط جاشا ، ولا أبل ريقا ، ولا أحسن طريقا ، وحق لمن كان المنصور أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

هو الجواد فان يلحق بشأوهما … على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل … فمثل ماقدما من صالح سبقا

ودخل رجل على المنصور ، فقال له : تكلم بحاجتك ، فقال : يبقيك الله ياأمير المؤمنين ، قال : تكلم بحاجتك ، فانك لا تقدر على هذا المقام كل حين ، قال : والله ياأمير المؤمنين ، ماأستقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك ، وان عطاءك لشرف ، وان سؤالك لزين ، ومالامرىء بذل وجهه اليك نقص ولاشين ، قال : فاحسن جائزته وأكرمه .

العتبي ، عن سفيان بن عيينة ، قال : قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر الى شاب منهم يتجوس للكلام ، فقال : أكبروا ، أكبروا ، فقال : ياأمير المؤمنين ، انه ليس بالسن ، ولو كان الامر كله بالسن

لكان فى المسلمين من هو أسن منك . فقال عمر: صدقت رحمك الله، تكلم. فقال : ياأمير المؤمنين ، انا لم نأتك رغبة ، ولا رهبة أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ، وأما الرهبة ، فقد أمننا الله بعدلك من جورك .قال : فما أنتم ؟ قال : وفد الشكر . قال : فنظر محمد بن كعب القرظى وجه عمر يتهلل فقال : ياأمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك . فان ناسا خدعهم الثناء ، وغرهم شكر الناس فهلكوا ، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم . فالقى عمر رأسه على صدره .

٧ ﴿ التنصل والاعتذار ﴾

قال ﷺ : (الاعتراف يهدم الاقتراف) وقال الشاعر:

اذا ما أمرؤ من ذنبه جاء تائبا — اليك فلم تغفر له فلك الذنب

واعتذر رجل الى ابراهيم بن المهدى ، فقال : قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب .

وقال رجل لبعض الملوك : أنا من لا يحاجك عن نفسه ، ولا يغالطك في جرمه يلتمس رضاك الا من جهة عفوك ، ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ، ولا يستميلك الا بالاعتراف بالذلة ، وقال الحسن بن وهب :

ماأحسن العفو من القادر — لاسيما عن غير ذي ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى — فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود الذي بيننا — ان يفسد الاول بالآخر

وقالت الحكماء :ليس من العدل ، سرعة العذل . وقال الاحنف بن قيس : رب ملوم لا ذنب له . وقال الشاعر:

فهبني مسيئاً كالذى قلت ظالماً فعفو جميل كي يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عندك للذى أتيت به أهلا فأنت له أهل

ومن الناس من لا يرى الاعتذار، ويقول: اياك وما يعتذر منه. وقالوا ما اعتذر مذنب الا ازداد ذنباً. وقال الشاعر محمود الوراق:

اذا كان وجه العذر ليس ببين فان اطراح العذر خير من العذر

وأتي موسى الهادى برجل، فجعل يقرعه بذنوبه، فقال: يا أمير المؤمنين ان اعتذاري مما تقرعني به رد عليك، واقرارى به يلزمني ذنباً لم أجنه. ولكن أقول:

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

محمد بن القاسم الهاشمي. ابو العيناء، قال: قال لى أبو عبد الله احمد بن أبي دؤاد، دخلت على الواثق، فقال لي: ما زال قوم فى ثلبك ونقصك، فقلت: يا أمير المؤمنين. لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم، والله ولي جزاءه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه وما ذل من كنت ناصره، ولا ضاع من كنت حافظه، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت أبا عبد الله:

وسعي الى بعيب عزة معشر جعل الاله خدودهن نعالها

قال أبو العيناء: قلت لاحمد بن ابي دؤاد، ان قوماً تظاهروا على، قال: يد الله فوق أيديهم، قلت: انهم عدد وأنا واحد، قال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، قلت ان للقوم مكرا، قال: ولا يحيق المكر السيء الا

بأهله ، قال أبو العيناء : فحدثت بهذا الحديث احمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يرى بن أبي دؤاد الا ان القرآن انزل عليه .

يحي بن أكثم ، قال : اني عند المأمون يوما ، حتي أتى برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه ، قال له المأمون : كفرت نعمتى ولم تشكر معروفى قال يا أمير المؤمنين : وأين يقع شكرى في جنب ماأنعم الله بك على؟ فنظر الى وقال متمثلا :

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لكثرة مال أو علو مكان
لما ندب الله العباد لشكره ... فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثم التفت الي الرجل فقال له : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد :

رشحت حمدى حتي انى رجل ... كلي بكل ثناء فيك مشتغل
خولت شكري ماخولت من نعم ... فحر شكرى لما خولتنى خول

٨ ﴿ الاستعطاف والاعتراف ﴾

لما سخط المهدي على يعقوب بن داود ، قال له : يايعقوب ، قال : لبيك ياأمير المؤمنين ، تلبية مكروب لموجدتك ، قال : ألم أرفع من قدرك اذ كنت وضيعا ؟ وأبعد من ذكرك اذ كنت خاملا ؟ والبسك من نعمتى مالم أجد لك بها يدين من الشكر ؟ فكيف رأيت الله أظهر عليك ؟ قال : ان كان ذلك يعلمك ياأمير المؤمنين ، فتصديق معترف منيب ، وان كان مما استخرجته دفائن الباغين ، فعائذ بفضلك ، فقال : والله لولا الحنث فى دمك بما تقدم لك ، لألبستك منه قيصا لاتشد عليه زرا ، ثم أمر به الى الحبس ، فتولي وهو يقول : الوفاء ياأمير المؤمنين كرم ، والمودة رحم ، وأنت بهما جدير .

ولما رضي الرشيد عن يزيد بن مزيد، أذن له بالدخول عليه، فلما مثل بين يديه، قال: الحمد لله الذي سهل لي سبيل الكرامة بلقائك، ورد على النعمة بوجه الرضا منك، وجزاك الله ياأمير المؤمنين فى حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين، وفى حال رضاك، جزاء المنعمين المتطولين، فقد جعلك الله وله الحمد، تثبت تحرجا عند الغضب، وتمتن تطولا بالنعم، وتستبقى المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو.

العتبي قال: أمر عبد الملك بن مروان، بقطع أرزاق آل أبي سفيان وجوائزهم، لموجدة وجدها على خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل عليه عمرو ابن عتبة، فقال ياأمير المؤمنين: ان أدنى حقك متعب، وبعضه فادح لنا، ولنا مع حقك علينا، حق عليك، باكرام سلفنا لسلفك، فانظر الينا بالعين التي نظروا بها اليهم، وضعنا بحيث وضعتنا الرحم منك. قال عبد الملك: انما يستحق عطيتى من استعطاها، فاما من ظن أنه يكتفي بنفسه، فسنكله الى نفسه، ثم أمر له بعطية، وبلغ ذلك خالداً فقال: أبالحرمان يهددني؟ يد الله فوق يده باسطة، وعطاء الله دونه مبذول، فأما عمرو فقد أعطي من نفسه، اكثر مما أخذ لها.

العتبي قال: حدثنا طارق بن المبارك، عن عمرو بن عتبة، قال جاءت دولة المسودة، وأنا حديث السن، كثير العيال، متفرق المال، فجعلت لا أنزل قبيلة من قبائل العرب، الا شهرت فيها، فلما رأيت أمري لا يكتم، أتيت سليمان ابن على، فاستأذنت عليه قرب المغرب، فأذن لي وهو لا يعرفني، فلما صرت اليه قلت: أصلحك الله، لفظتني البلاد اليك، ودلني فضلك عليك، فأما قبلتني غانما

، واماارددتني سالما . قال : ومن انت ؟ فانتسبت له فرفعني ، وقال : مرحبا ، اقعد فتكلم غانما سالما ، قلت : اصلحك الله ، ان الحرم التي أنت أقرب الناس اليهن معنا ، واولي الناس بهن بعدنا ، قدخفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه قال : فاعتمد سليمان على يديه ، وسالت دموعه على خديه ، ثم قال : يابن أخي يحقن الله دمك ، ويستر حرمك ، ويسلم مالك ان شاء الله تعالى ، ولو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت ، فلم أزل في جوار سليمان آمنا . وكتب سليمان الى أبي العباس أمير المؤمنين : أما بعد ياأمير المؤمنين ، فانا انما حاربنا بني أمية على عقوقهم ، ولم نحاربهم على أرحامهم ، وقد دفت الي منهم دافة ، لم يشهروا سلاحاً ، ولم يكثروا جمعاً ، وقد أحسن الله اليك فأحسن ، فان رأي أمير المؤمنين ، أن يكتب لهم امانا ، ويأمر بانفاذه الي ، فليفعل. فكتب لهم كتابا منشوراً ، وأنفذه الى سليمان بن على في كل من لجأ اليه من بني أمية ، فكان يسميه ابو مسلم ، كهف الاباق .

ابراهيم بن السندي قال : كنت اساير سعيد بن سلم حتى قيل له أن أمير المؤمنين قد غضب على رجاء بن ابي الضحاك وأمر بأخذ ماله ، فارتاع بذلك وجزع ، فقيل له : مايروعك منه ؟ فوالله ماجعل الله بينكما نسبا ولا سببا . فقال : بلى ، النعمة نسب بين اهلها ، والطاعة سبب مؤكد بين الاولياء

وبعث بعض الملوك الى رجل وجد عليه ، فقال لما مثل بين يديه : أيها الامير ان الغضب شيطان فاستعذ بالله منه ، وانما خلق العفو للمذنب ، والتجاوز للمسيء ، فلا تضق عما وسع عليه من حلمك وعفوك ، فعفا عنه ، واطلق سبيله .

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك ، حين وجد عليه : يا أمير المؤمنين ، ان القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجل عن العقوبة ، ونحن مقرون بالذنب ، فان تعف عني فأهل ذلك أنت ، وان تعاقبني فأهل ذلك انا .

أمر معاوية ابن ابي سفيان . بعقوبة روح بن زنباغ فقال : انشدك الله يا أمير المؤمنين ، ان تضع مني خسيسة انت رفعتها ، او تنقض مني مريرة انت ابرمتها ، وتشمت بي عدوا أنت وقمته ، الا أتى حلمك وصفحك علي خطئي وجهلي . فقال معاوية : خليا عنه ، اذا أراد الله أمراً يسره .

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة ، على أبي جعفر المنصور ، بعدما كتب أمانه . فقال : ياأمير المؤمنين ، ان أمارتكم بكر ، ودولتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنبوهم مرارتها . تخف علي قلوبهم طاعتكم ، وتسرع الي أنفسهم محبتكم ، وما زلت مستبطئا لهذه الدعوة . فلما قام قال ابو جعفر : عجبا من كل من يأمر بقتل هذا ، ثم قتله بعد ذلك غدراً .

قال احمد بن ابي داود : ما رأينا رجلا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا اذهله ، عما كان يجب أن يفعله ، الا تميم بن جميل ، فانه كان تغلب علي شاطيء الفرات ، وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب ، حين يجلس للعامة ، ودخل عليه فلما مثل بين يديه ، دعا بالنطع والسيف فأحضرا ، فجعل تميم بن جميل ينظر اليهما ولا يقول شيئاً وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه ، وكان جسيما وسيما ، ورأي أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره ، فقال ياتميم : ان كان لك عذر فأت به ، أو حجة فأدل بها ، فقال : أما اذ قد اذن لي أمير المؤمنين

فاني اقول : الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، يا أمير المؤمنين ، ان الذنوب تخرس الالسنة ، وتصدع الافئدة ، ولقدعظمت الجريرة ، وكبر الذنب. وساء الظن ، ولم يبق الا عفوك ، أو انتقامك ، وأرجوا ان يكون أقربهما منك ، وأسرعهما اليك أولاهما بامتنانك ، واشبههما بخلافتك ، ثم أنشأ يقول:

أري الموت بين السيف والنطع كامنا يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلي واى امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلى بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف يسل على السيف فيه وأسكت
وماجزعي من أن أموت وانني لاأعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتت
كاني أراهم حين أنعى اليهم وقدخمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة أذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لايبعد الله روحه وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فتبسم المعتصم وقال : كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل ، اذهب فقد غفرت لك الصبوة ، وتركتك للصبية .

عتب المأمون على رجل من خاصته فقال : ياأمير المؤمنين ، ان قديم الحرمة ، وحديث التوبة . يمحوان ما بينهما من الاساءة . فقال : صدقت ورضي عنه .

وقال النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

أتاني أبيت اللعن انك لمتني   وتلك التي تستك منها المسامع
فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع
وكلفتني ذنب امرىء وتركته   كذي العر يكوى غيره وهو راتع
فانك كالليل الذي هو مدركي   وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال فيه أيضا :

ولست بمستبق أخا لا تلمه   على شعث أي الرجال المهذب
فان أك مظلوما فعبد ظلمته   وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة   لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ألم تر أن الله أعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب   إذ طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال ابن الطثرية :

فهبني امرءا إما بريئا علمته   وإما مسيئا تاب عنه وأعتبا
وكنت كذى داء تبغى لدائه   طبيبا فلما لم يجده تطببا

ودخل أبو دلف على المأمون ، فقال : أنت الذى يقول فيك جبلة

انما الدنيا أبو دلف   بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف   ولت الدنيا على أثره

فقال : يا أمير المؤمنين شهادة زور ، وكذب شاعر ، وملق مستجد ، ولكني الذى يقول فيه ابن أخيه :

ذريني أجوب الارض فى طلب الغنى   فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

الكرخ منزل أبي دلف وكان اسمه قاسم بن عبدالله.

وقال المنصور لمعن بن زائدة : ما أظن ماقيل عنك من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم الا حقا ؟ قال : كيف ياأمير المؤمنين ؟ قال : بلغني عنك انك أعطيت شاعراً لبيت قاله الف دينار ، فأنشده البيت وهو .

معن بن زائدة الذي زيدت به فخراً الي فخر بنو شيبان

قال : نعم ياأمير المؤمنين قد أعطيته الف دينار لكن على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقائه من وقع كل مهند وسنان

قال فاستحيا المنصور ، وجعل ينكت بالمخصرة ، ثم رفع رأسه وقال : اجلس ابا الوليد.

٩ ﴿ تذكير الملوك بذمام متقدم ﴾

قال ثمامة بن أشرس للمأمون لما صارت اليه الخلافة : كان لي أملان امل لك ، وأمل بك ، فأما أملي لك فقد بلغته ، واما أملي بك فلا أدري ما يكون منك فيه ، قال : يكون أفضل ما رجوت وأملت ، فجعله من سماره وخاصته . وقال حبيب الشاعر :

وان أولي الموالي أن تواسيه عند السرور لمن واساك فى الحزن

إن الكرام اذ ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى الموطن الخشن

١٠ ﴿ حسن التخلص من السلطان ﴾

أبو الحسن المدائني ، قال : كان العباس بن سهل ، والى المدينة لعبد الله بن الزبير ، فلما بايع الناس عبد الملك بن مروان ، ولي عثمان بن حيان

المري وأمره بالغلظة ، على اهل الظنة ، فعرض يوما بذكر الفتنة واهلها فقال له قائل : هذا عباس بن سهل على ما فيه ، كان مع ابن الزبير ، وعمل له ، فقال عثمان بن حيان : ويلى ، والله لاقتلنه ، قال العباس : فبلغني ذلك ، فتغيبت حتى اضربى التغيب، فانيت ناسا من جلسائه، فقلت لهم : مالي أخاف وقد أمنني عبد الملك بن مروان ، فقالوا : والله ما يذكرك ،الا تغيظ عليك وقلما كلم على طعامه فى ذنب الا انبسط ، فلو تنكرت وحضرت عشاءه ، وكلمته . قال : ففعلت . وقلت على طعامه ، وقد أتي بجفنة ضخمة ، ذات ثريد ولحم .والله لكأني انظر الي جفنة حيان بن معبد ، والناس يتكاوسون عليها . وهو يطوف فى حاشيته يتفقد مصالحها ، يسحب أردية الخز ، حتي أن الحسك ليتعلق به فما يميطه ، ثم يؤتي بجفنة ، تهادى بين أربعة ، ما يستقلون بها الا بمشقة وعناء ، وهذا بعد مايفرغ الناس من الطعام،ويتنحون عنه . فيأتي الحاضر من أهله ، والطارىء من أشرف قومه، وما با كثرهم من حاجة الي الطعام ، وما هو الا الفخر بالدنو من مائدته ، والمشاركة ليده قال : هيه ءأنت رأيت ذلك؟ قلت . اجل والله ، قال لى : ومن أنت قلت وأنا آمن ؟ قال :نعم ، قلت : العباس بن سهل بن سعد الانصارى ، قال : مرحبا واهلا، أهل الشرف والحق ، قال : فلقد رأيتنى بعد ذلك ومابالمدينة أوجه منى عنده ، فقيل له بعد ذلك : انت رأيت حيان ابن معبد ، يسحب أردية الخز ، ويتكاوس الناس على مائدته ؟ فقال : والله لقد رأيته ونزلنا الماء ، وغشينا وعليه عباءة ذكوانية ، فلقد جعلنا نذوده عن رحلنا مخافة أن يسرقه .

كان معن بن زائدة ، قد أمر بقتل جماعة من الاسرى ، فقام اليه أصغر القوم ، وقال له : يامعن أتقتل الاسرى عطاشا؟ فأمر لهم بالماء ، فلما سقوا ، قال يا معن : اتقتل ضيفانك ؟ فامر معن باطلاقهم؟

لما أتي عمر بن الخطاب بالهرمزان أسيراً دعاه الى الاسلام . فأبى عليه فأمر بقتله ، فلما عرض عليه السيف ، قال : لو أمرت لي يا أمير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلى على الظمأ ، فأمر له بها ، فلما صار الاناء بيده قال : انا آمن حتي أشرب ؟ قال : نعم فالقى الاناء من يده ، وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج .

قال : لك التوقف ، حتي أنظر فى أمرك . ارفعا عنه السيف . فلما رفع عنه قال : الآن أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له . وأنه محمدا عبده ورسوله ، فقال له عمر ويحك ، أسلمت خير اسلام فما أخرك؟ قال : خشيت ياأمير المؤمنين ان يقال ان اسلامي انما كان جزعا من الموت ، فقال عمر : ان لفارس حلوما بها استحقت ما كانت فيه من الملك ثم كان عمر يشاوره بعد ذلك فى خراج الجيوش الي أرض فارس ويعمل برأيه

أمر مصعب بن الزبير برجل من اصحاب المختار ، ان تضرب عنقه فقال : أيها الامير ما أقبح بك أن اقوم يوم القيامة الي صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذي يستضاء به ، فأتعلق بأطرافك ، واقول : أى رب ، سل هذا فيم قتلني ؟ قال : أطلقوه ، واني جاعل ما وهبت له من حياته فى خفض ، اعطوه مائة ألف ، قال الاسير : بأبي أنت وأمى ، أشهد أن لقيس الرقيات منها خمسين ألفا ، قال : ولم؟ قال : لقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

واتى الحجاج باسري فامر بقتلهم ، فقال له رجل منهم : لاجزاك الله يا حجاج عن السنة خيرا ، فان الله تعالي يقول : (فاذ لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فأما منا بعد واما فداء) فهذا قول الله فى كتابه ، وقد قال شاعركم ، فيما وصف به قومه ، من مكارم الاخلاق :

وما نقتل الاسري ولكن نفكهم اذا اثقل الاعناق حمل المغارم

فقال الحجاج : ويحكم عجزتم ان تخبروني بما اخبرنى هذا المنافق وامسك عمن بقى

ابو بكر ابن أبى شيبة قال : دخل عبدالرحمن بن ابي ليلى على الحجاج فقال لجلسائه : ان اردتم ان تنظروا الى رجل يسب امير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم ، يعنى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن : معاذ الله ايها الامير ان أكون اسب أمير المؤمنين انه ليحجزني عن ذلك ثلاث آيات فى كتاب الله تعالي ، قال الله تعالي (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) فكان عثمان منهم ، ثم قال : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) الآيه فكان ابى منهم ، ثم قال : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) الآية فكنت أنا منهم ، فقال : صدقت .

لما أتي الحجاج بأسري الجماجم ، اتى فيهم بعامر الشعبي ، ومطرف بن عبد

الله بن الشخير، وسعيد بن جبير. وكان الشعبي ومطرف يريان التقية ، وكان سعيد ابن جبير لا يراها، وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ، في أسرى الجماجم، أن يعرضهم على السيف ، فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا ، فيخلى سبيله، ومن زعم انه مؤمن، فيضرب عنقه . فقال الحجاج للشعبي . وأنت ممن ألب علينا مع ابن الاشعث ، اشهد على نفسك بالكفر، فقال: أصلح الله الامير ، نبا بنا المنزل، واحزن بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف، وا كتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة ، لم نكن فيها اتقياء بررة ، ولا اقوياء فجرة، قال: لله ابوك لقد صدقت ، ما بررتم بخروجكم علينا ، ولا قويتم ، خلوا سبيل الشيخ ، ثم قال لمطرف . لتقر على نفسك بالكفر ! قال: اصلح الله الامير، ان من شق العصا، وسفك الدماء ، ونكث البيعة، وفارق الجماعة ، واخاف المسلمين، لجدير بالكفر فخلى سبيله ، ثم قال لسعيد بن جبير : اتقر على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرت منذ آمنت بالله ، فضرب عنقه ، ثم استعرض الاسرى ، فمن اقر بالكفر ، خلى سبيله ، ومن أبي قتله ، حتي اتي بشيخ وشاب فقال للشاب أكافر انت ؟ قال نعم قال: ولكن الشيخ لا يرضى بالكفر فقال له الشيخ اعن نفسى تخادعنى يا حجاج . والله لو علمت اعظم من الكفر لقلته فضحك الحجاج وخلى سبيله

العتبي قال : دخل جامع المحاربي على الحجاج ، وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريئا على السلطان ، وهو الذي قال للحجاج : اذ بني مدينة واسط بنيتها في غير بلدك ، وتورثها غير ولدك : فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم ، فقال له جامع : أما انهم لو أحبوك

لا طاعوك على أنهم ما شنؤوك لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، فدع عنك مايبعدهم منك ، الا مايقربهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك ، قال الحجاج : ما أري الا أن أردهم الي طاعتي الا بالسيف ، قال : ايها الامير ، ان السيف اذا لاقي السيف ، ذهب الخيار ، قال الحجاج : الخيار يومئذ لله ، قال : أجل ولكنك لا تدري لمن يجعله الله ، فغضب ، وقال ، يا هناه ، انك من محارب ، فقال جامع ،

وللحرب سمينا وكنا محاربا إذا ما القنا أمسى من الطعن احمر

فقال الحجاج : والله لقد هممت بأن أخلع لسانك ، فأضرب به وجهك قال جامع : ان صدقناك اغضبناك ،وان غششناك اغضبنا الله ، فغضب الأمير ، اهون علينا من غضب الله ، قال: أجل وسكن ، وشغل الحجاج ببعض الامر ، فانسل جامع ، فمر بين الصفوف من أهل الشام ، حتي جاوزها الى صفوف العراق ، فابصر كبكبة ، فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس العراق ، وتميم العراق ، وازداد العراق ، فلما رأوه اشرأبوا اليه ، وقالوا له : ماعندك ؟ دفع الله عنك ، قال: ويحكم عموه بالخلع ، كما يعمكم بالعداوة ، ودعو التعاذى ماعادا كم ، فاذا ظفرتم تراجعتم . وتعافيتم ، أيها التميمي هو أعدي لك من الازدي ، وأيها القيسي هو اعدى لك من التغلبي ، وهل ظفر بمن ناوأه منكم ، الا بمن بقي معه منكم ، وهرب جامع من فوره ذلك الي الشام ، واستجار بزفر بن الحارث فأجاره ،

العتبي قال : لما أتي بابن هبيرة ، الى خالد بن عبد الله القسري ، وهو والي

— ٨ —

العراق أتي به مغلولا ، مقيدا في مدرعة، فلما صار بين يدي خالد، القته الرجال الي الارض، فقال: ايها الامير، ان القوم الذين انعموا عليك بهذه النعمة، قد انعموا بها على من قبلك، فانشدك الله ان تستن في بسنة ، يستن بها فيك من بعدك، فامر به الي الحبس، فامر ابن هبيرة غلمانه ، فحفروا له تحت الارض سردابا، حتي خرج الحفر تحت سريره ، ثم خرج منه ليلا، وقد أعدت له افراس يداولها، حتي أتى مسلمة بن عبد الملك، فاستجار به، فاجاره، واستوهبه هشام بن عبد الملك. فوهبه اياه فلما قدم خالد بن عبد الله القسرى على هشام ، وجد عنده ابن هبيرة ، فقال له : أباق العبد ابقت ؟ قال له حين نمت نومة الامة فقال الفرزدق في ذلك

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها فلم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعد ما ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فاصبحت تحت الارض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا
خرجت ولم تمنن عليك طلاقة سوي حثك التقريب من آل أعوجا

ودخل الناس على ابن هبيرة ، بعد ما أمنه هشام بن عبد الملك، يهنونه، ويحمدون له رأيه ، فقال متمثلا

من يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ثم قال لهم : ما كان قولكم ، لو عرض لى ، أو أدركت فى طريق ؟ ومثل هذا قول القطامى

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

١١ ﴿ فضيلة العفو والترغيب ﴾

كان للمأمون خادم ، وهو صاحب وضوئه ، فبينا هو يصب الماء على يديه ، إذ سقط الاناء من يده ، فاغتاظ المأمون عليه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، ان الله يقول (والكاظمين الغيظ) قال : قد كظمت غيظي عنك ، قال : (والعافين عن الناس) قال : قد عفوت عنك ، قال : (والله يحب المحسنين) قال : اذهب فأنت حر . أمر عمر بن عبد العزيز ، بعقوبة رجل ، فقال له رجاء ابن حيوة : ياأمير المؤمنين إن الله قد فعل ماتحب من الظفر ، فافعل مايحبه من العفو . الاصمعي قال : عزم عبد الله بن على ، علي قتل بني أمية بالحجاز ، فقال عبد الله بن حسين بن حسن بن على بن أبى طالب ، رضي الله عنهم : إذا شرعت بالقتل فى اكفائك ، فمن تباهي بسلطانك ؟ فاعف يعف الله عنك . دخل بن خريم على المهدي ، وقد غتب على بعض أهل الشأم ، وأراد أن يغزيهم جيشا ، فقال : ياأمير المؤمنين عليك بالعفو عن المذنب ، والتجاوز عن المسيء ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة ، خير لك من أن تطيعك طاعة خوف . وقال الاحنف بن قيس : أحق الناس بالعفو ، وأقدرهم على العقوبة . وقال النبى ﷺ « أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب » وتقول العرب فى أمثالها ، ملكت فأسجح ، وارحم ترحم ، وكما تدين تدان ، ومن بر يوما بر به ،

١٢ ﴿ بعد الهمة وشرف النفس ﴾

قال زياد بن ظبيان ، لابنه عبيد الله : ألا أوصى بك الامير زيادا ؟ قال : ياأبت ، إذا لم يكن للحى الا وصية الميت ، فالحي هو الميت . وقال معاوية ،

لعمرو بن سعيد : الي من أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصي الي ، ولم يوص بي ، قال : و بم أوصى اليك ؟ قال : أن لا يفقد إخوانه منه إلا وجهه. ومن أشرف الناس همة ، عقيل بن علفة المرى ، وكان اعرابيا يسكن البادية ، وكان تصهر اليه الخلفاء ، وخطب اليه عبد الملك بن مروان ، ابنته لاحد أولاده ، فقال له : جنبني هجناء ولدك . ودخل الفرزدق ، علي سليمان بن عبد الملك ، فقال له : من أنت ؟ وتجهم له ، كأنه لا يعرفه ، فقال له الفرزدق ، وماتعرفني ياامير المؤمنين ؟ قال : لا قال : أنا من قوم منهم أوفى العرب ، وأسود العرب ، وأجود العرب ، وأحلم العرب ، وأفرس العرب ، وأشعر العرب ، قال : والله لتبينن ماقلت ، أولأوجعن ظهرك ، ولأهدمن دارك قال : نعم ياأمير المؤمنين ، اما أوفي العرب ، فحاجب بن زرارة ، الذى رهن قوسه عن جميع العرب ، فوفى بها ،

وأما أسود العرب ، فقيس بن عاصم ، الذي وفد على رسول الله ﷺ ، فبسط له رداءه ، وقال هذا سيد الوبر ، وأما احلم العرب ، فعتاب بن ورقاء الرياحي ، وأما أفرس العرب ، فالحريش بن عبد الله السعدى ، وأما أشعر العرب ، فهأنذا بين يديك يا أمير المؤمنين ، فاغتم سليمان مما سمع من فخره ، ولم ينكره ، وقال ارجع على عقبيك ، فما لك عندنا شيء من خير ، فرجع الفرزدق ، وقال ،

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا اليك ولا من قلة فى مجاشع

وقال الاحوص فى الفخر وهو أفخر بيت قالته العرب

مامن العصيبة نكبة أرمي بها الا تشرفني وترفع شأني

واذا سألت عن الكرام وحدتني كالشمس لا تخفي بكل مكان

وممن شرفت نفسه ،وبعدت همته ،طاهر ابن الحسين الخرساني، وذلك انه لما قتل محمد بن زيدة ، وخاف المأمون أن يغدر به ،امتنع عليه بخراسان، ولم يظهر خلفه وقال

أيسومني المأمون خطة عاجز أو مارأى بالامس رأس محمد
يوفى على رأس الخلائق مثل ما توفى الجبال على رءوس القدفد
إني من القوم الذين هم هم قتلوا أخاك وأقعدوك بمرصد

وهو القائل

غضبت على الدنيا فانهبت ماحوت وأعقبتها مني باحدى المتالف
قتلت أمير المؤمنين وإنما بقيت فناء بعده للخلائف
وقد بقيت فى أم رأسي فتكة فاما لرشد أو لرأي مخالف

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة : وكان من أعز أصحابه ، وآثرهم عنده

عتبت على الدنيا فلا كنت راضياً فلا أعقبت الا باحدي المتالف
فمن أنت أو ما أنت يافقع قرقد اذا أبت منا لم تعلق بكاتف
ستعلم ماتجني عليك وما جنت يداك فلا تفخر بقتل الخلائف

٦ كتاب العلم والادب

قال ابن عبد ربه : قد مضي قولنا فى مخاطبة الملوك ومقاماتهم ، وما تفننوا فيه من بديع حكمهم ، والتزلف اليهم بحسن التوصل ، ولطيف المعانى، وبارع منطقهم ، واختلاف مذاهبهم ، ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه ، فى

العلم والادب ،فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا ، وفرق ما بين الانسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملكية ، والطبيعة البهيمية ،وهو مادة العقل ،وسراج البدن، ونور القلب،وعماد الروح ، وقد جعل الله بلطيف قدرته ، وعظيم سلطانه ، بعض الاشياء عمدا لبعض ، ومتوالدا من بعض ، فاجالة الوهم فيما تدوكه الحواس ، تبعث خواطر الذكر ، وخواطر الذكر ، تنبه روية الفكر ، وروية الفكر ، تثير مكامن الارادة ، والارادة تحكم أسباب العمل ،فكل شيء يقوم في العقل ، ويمثل في الوهم ، يكون ذكراً ، ثم فكراً ، ثم ارادة ،ثم عملا ، والعقل متقبل للعلم ، لا يعمل فى غير ذلك شيئاً ، والعلم علمان ، علم حمل ، وعلم استعمل، فما حمل منه ضر، وما استعمل نفع ، والدليل على ان العقل انما يعمل فى تقبل العلوم ، كالبصر في تقبل الالوان ، والسمع فى تقبل الاصوات ، ان العاقل اذا لم يعلم شيئاً ، كان كمن لا عقل له، والطفل الصغير لو لم تعرفه ادبا،وتلقنه كتابا، كان كابله البهائم ، واضل الدواب فان زعم زاعم فقال: انا نجد عاقلا قليل العلم،فهو يستعمل عقله فى قلة علمه،فيكون اشد رايا ، وانبه فطنة ،واحسن موارد ومصادر، من الكثير العلم،مع قلة العقل فان حجتنا عليه ، ما قد ذكرنا ،من حمل العلم واستعماله ، فقليل العلم يستعمله العقل ، خير من كثيره يحفظ القلب

﴿فنون العلم﴾

١

قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من أراد ان يكون عالما ، فيطلب فنا واحداً ،ومن أراد أن يكون أديبا ،فليتفنن فى العلوم . وقال ابن سيرين : العلم اكثر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء احسنه، وقال الشافعي : العلم

علمان ، علم الابدان ، وعلم الاديان، وقال الاصمعي : وصلت بالملح ، ونلت بالغريب .

٢ ﴿ الحض على طلب العلم ﴾

قال النبي ﷺ « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل » . وقيل لابى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ ان يتعلم ؟ قال : ان كان يحسن به أن يعيش ، فانه يحسن به ان يتعلم . وقال عروة بن الزبير : يا بني اطلبوا العلم ، فان تكونوا صغارا لا يحتاج اليكم ، فعسي أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغني عنكم . وقال رؤبة بن العجاج : قال لي النسابة البكري : يا رؤبة لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني ، وان حدثتهم لم يفهموني ، قلت : اني أرجو ان لا أكون كذلك ، قال : فما آفة العلم ونكرته ، وهجنته ؟ قلت: تخبرني ، قال : آفة النسيان،ونكرته الكذب وهجنته نشره عند غير أهله . وقال بعض الحكماء : اقصد من أصناف العلم الي ما هو أشهي لنفسك ، وأخف على قلبك ، فان نفاذك فيه ، على حسب شهوتك له ، وسهولته عليك ، قال الشاعر

نعم الانيس اذا خلوت كتاب تلهو به ان خانك الاحباب
لا مفشيا سرا إذا استودعته وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمي عن قلب صاحبه كما يجلى سواد الظلمة القمر

٣ ﴿ فضيلة العلم ﴾

قال ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف القائلين وانتحال المبطلين » وقال أبو الاسود الدؤلى الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك . وقال سفيان بن عيينة : انما العالم مثل السراج ، من جاء اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئا ، كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئا ،

٤ ﴿ضبط العلم والتثبيت فيه ﴾

قيل لمصقلة : ما اكثر شكك ؟ قال : محاماة على اليقين . وقال أيوب : إن من أصحابى من ارتجى بركة دعائه ، ولا أقبل حديثه. وقالت الحكماء: علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فاذا فعلت ذلك . حفظت ما علمت وعلمت ما جهلت . وقال الخليل بن احمد : انك لا تعرف خطأ معلمك، حتى تجلس عند غيره ، وقال مالك : اذا ترك العالم لا أدرى احييت مقاتله ،

٥ ﴿ انتحال العلم ﴾

قال بعض العلماء : لا ينبغى لاحد أن ينتحل العلم ، فان الله عز وجل يقول« وما اوتيتم من العلم الا قليلا » . وقال قتادة : حفظت مالم يحفظ احد وأنسيت مالم ينس أحد، حفظت القرآن في سبعة أشهر ،وقبضت علي لحيتي وانا أريد قطع ما تحت يدى ، فقطعت ما فوقها ، وقال : ما حفظت شيئا قط فنسيته ، ثم قال : يا غلام هات نعلى ، فقال هما فى رجليك . ففضحه الله

وقال ابن العلاء في المعنى: من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

٦ ﴿ شرائط العلم ﴾

قالوا: لا يكون العالم عالما، حتى تكون فيه ثلاث خصال، لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ على العلم ثمنا، وقالوا: ماقرن شيء الى شيء، أفضل من حلم الي علم، ومن عفو الى قدرة، وقالوا: من تمام آلة العالم، أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس، وقورا، صموتا، بطيء الالتفات، قليل الاشارات، ساكن الحركات، لا يصخب، ولا يغضب، ولا يبهم فى كلامه. وقال عبد الله ابن المبارك، فى مالك بن أنس

يأبى الجواب فما يراجع هيبة والسائلون نواكس الادقان
هدى الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان

ودخل رجل علي عبد الملك بن مروان، وكان لا يسأله عن شيء، الا وجد عنده منه علما، فقال: أني لك هذا؟ فقال: لم أمنع قط ياأمير المؤمنين علما أفيده، ولم أحتقر علما أستفيده، وكنت إذا لقيت الرجل، أخذت منه، وأعطيته.

٧ ﴿ حفظ العلم واستعماله ﴾

قال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلب، كما يزل الماء عن الصفاء. وقالوا: الكلمة إذا خرجت من القلب، وقعت فى القلب، وإذا خرجت من اللسان، لم تجاوز الآذان. وروي زياد، عن مالك قال: كن عالما، أو متعلما، وإياك والثالثة، فانها مهلكة، ولا تكون عالما، حتى تكون عاملا، ولا تكون مؤمنا، حتى تكون تقيا

٨ ﴿ تحامل الجاهل على العالم ﴾

قال النبي ﷺ « ويل لعالم أمر من جاهله » وقالوا : اذا أردت أن تفحم عالما ، فأحضره جاهلا . وقالوا لا تناظر جاهلا ، ولا لجوجا ، فانه يجعل المناظرة ، ذريعة الى التعلم ، بغير شكر ،

٩ ﴿ تبجيل العلماء وتعظيمهم ﴾

قال على بن أبي طالب : من حق العالم عليك إذا أتيته ، أن تسلم عليه خاصة ، وعلى القوم عامة ، وتجلس قدامه ، ولا تشر بيدك ، ولا تغمز بعينيك ، ولا تقل قال فلان خلاف قولك ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه في السؤال ، فانما هو بمنزلة النخلة المرطبة ، لا يزال يسقط منها شيء ،

١٠ ﴿ أخبار العلماء والأدباء ﴾

قال مالك بن دينار : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ، ومن طلب العلم للناس فحوائج الناس كثيرة . دخل عروة بن الزبير ، بستانا لعبد الملك بن مروان ، فقال عروة : ما أحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك : أنت والله احسن منه ، هذا يؤتي أكله كل عام وأنت تؤتي أكلك كل يوم وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء فيكم ؟ فقالوا : كان والله مثل العافية ، لا يعرف فضلها حتى تفقد . وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فقيها شاعرا ، وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة ، لقيه سعيد بن المسيب ، فقال له : أنت الفقيه الشاعر ؟ قال : لا بد للمصدور أن ينفث . كان الحسن فى جنازة فيها نوائح ، ومعه سعيد بن جبير فهم سعيد بالانصراف ، فقال له الحسن : ان كنت كلما رأيت قبيحا ، تركت له حسنا ، أسرع ذلك فى دينك . أمر الحجاج ان لا يؤم بالكوفة

الاعربي ، وكان يحيي بن وثاب يؤم قومه بني أسد ،وهو مولى لهم، فقالوا له : اعتزل ، فقال : ليس عن مثلي نهي ، انا لاحق بالعرب ، فابوا،فأتي الحجاج خفرأ ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : يحيي بن وثاب ، قال: ماله ؟ . قال أمرت أن لا يؤم بالكوفة الاعربي ، فنحاه قومه ،فقال : ليس عن مثل هذا نهيت، يصلي بهم ، قال : فصلي بهم الفجر،والظهر،والعصر،والمغرب،والعشاء،ثم قال: اطلبوا اماما غيري ، انما أردت أن لا تستذلوني ،فاما اذا صار الامر لي، فانا لا أؤمكم ولا كرامة . وذكر عبدالملك بن مروان ، روح بن زنباع ، فقال: ماأعطى احد ماأعطي ابو زرعة ،اعطى فقه اهل الحجاز ، ودهاء اهل العراق ،وطاعة اهل الشام كان يجلس الي سفيان ، فتي كثير الفكرة، طويل الاطراق،فاراد سفيان ان يحركه ، ليسمع كلامه ، فقال: يافتى ان من قبلنا مروا على خيل عتاق وبقينا على حمير دبرة ، فقال ياأباعبدالله ،ان كنا على الطريق، فماأسرع لحوقنا بالقوم . وكان ابراهيم النخعي في طريق ، فلقية الاعمش، فانصرف معه ،فقال له يا ابراهيم ، ان الناس اذا راونا ، قالوا اعمش واعور ، قال . وما عليك ان يأثموا ونؤجر، قال. وما عليك ان يسلموا ونسلم . قيل لابي نواس: قد بعثوا في طلب أبي عبيدة، والاصمعي ، ليجمعوا بينهما ، قال : اما ابوعبيدة ، فان مكنوه من سفره ، قرأ عليهم أساطير الاولين ، واما الاصمعي فبلبل في قفص ، يطربهم بصفيرة ، وقال المأمون : من أراد لهوا بلا حرج ، فليسمع كلام الحسن الطالبي ،

١١ ﴿قولهم فى حملة القرآن﴾

قال رجل لابراهيم النخعي : أني أختم القرآن كل ثلاث ، قال: ليتك

تختمه كل ثلاثين ، وتدرى أى شيء تقرأ . وقالت عائشة رضي الله عنها : كانت تنزل علينا الآية فى عهد رسول الله ﷺ ، فنحفظ حلالها ، وحرامها. وأمرها، وزجرها، ولا نحفظها. وقال ﷺ. سيكون فى أمتى قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة »

١٢ ﴿ العقل ﴾

قال سحبان وائل : العقل بالتجارب ، لان عقل الغريزة ، سلم الى عقل التجربة، ولذلك قال على بن أبى طالب: رأي الشيخ، خير من جلد الشاب، وعلى العاقل ان يكون عالما بأهل زمانه ، مقبلا على شانه. وقال الحسن البصرى : لسانه العاقل وراء قلبه، فاذا أراد الكلام تفكر ، فان كان له قاله ، وان كان عليه سكت ، وقلب الاحمق من وراء لسانه، فاذا أراد أن يقول قال. دخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فتكلم بكلام أعجب منه سليمان، فاراد أن يختبره لينظر عقله على قدر كلامه أم لا فوجده مضعوفا ، فقال : فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق على العقل هجنة ، وخير الامور ماصدق بعضه بعضا. وسئل المغيرة بن شعبة ، عن عمر ، فقال. كان والله أفضل من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع . وقال زياد : ليس العاقل الذى إذا وقع فى الامر احتال له ، ولكن العاقل يحتال للامر حتي لا يقع فيه . وقيل لعمرو بن العاص: ما العقل؟ فقال : الاصابة بالظن ، ومعرفة ما يكون بما قد كان . قال محمد بن مناذر

وترى الناس كثيرا فاذا ... عد أهل العقل قلوا فى العدد
لا يقل المرء في القصد ولا ... يعدم القلة من لم يقتصد
لا تعد شراً وعد خيراً ولا ... تخلف الوعد وعجل ما تعد

لا تقل شعرا ولا تهمم به وإذا ما قلت شعرا فاجد

وكان هوذة بن علي الحنفي ، يجيز لطيمة كسري في كل عام (واللطيمة عير تحمل الطيب والبز) فوفد على كسري،فسأله عن بنيه،فسمي له عددا فقال : ايهم احب اليك؟قال الصغير حتى يكبر،والغائب حتى يرجع والمريض حتى يفيق فقال له : ما غذاؤك في بلدك ؟ قال:الخبز ، فقال كسرى لجلسائه هـذا عقل الخبز ، يفضله على عقول أهل البوادي ، الذين غذائهم اللبن والتمر

وقال الاحنف بن قيس : انا للعاقل المدبر ، أرجي مني للاحمق المقبل

وقال الحسن البصري : لو كان الناس كلهم عقول خربت الدنيا

١٣ ﴿ الحكمة ﴾

قال ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن ياخذها ممن سمعها ولا يبالي في أي وعاء خرجت » . قيل لقس بن ساعدة: ماأفضل المعرفة ؟ قال:معرفة الرجل نفسه ، قيل له : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه ، قيل له :فما أفضل المروءة ؟ قال استبقاء الرجل ماء وجهه . وقالوا : ثلاثة لا بقاء لها ، ظل الغمام ، وصحبة الاشرار ، والثناء الكاذب ، وقالوا: ثلاثة لا تعرف الا في ثلاثة ، ذوالبأس لا يعرف الا عند اللقاء ، وذوالامانة لا يعرف الا عند الاخذ والعطاء ، والاخوان لا يعرفون الا عند النوائب . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أخوف ما أخاف عليكم ، شح مطاع ، وهوي متبع واعجاب المرء بنفسه ،وقالوا : اذا قدمت المصيبة ، تركت التعزية، واذا قدم الاخاء ، سمج الثناء . قال أزدشير بن بابك : ان للآذان مجة ،وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين ، يكن ذلك استجماما . وقال الحسن:التقدير نصف

الـكسب ، والتودد نصف العقل ،وحسن طلب الحاجة نصف العلم ، وقالوا لا عقل كالتدبير،ولا حسب كحسن الخلق ، ولا غنى كرضي عن الله،وقالوا التفكر نور ، والغفلة ظلمة . والجهالة ضلالة والعلم حياة ، والسعيد من وعظ بغيره وقيل انعم الناس عيشا ، من تحلى بالعفاف ، ورضى بالـكفاف وتجاوز ما يخاف ، الى مالا يخاف ،

١٤ ﴿ البلاغة وصفتها ﴾

قيل لرجل ، ما البلاغة ؟ فقال : إيجاز الـكلام . وحـذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال: ان لا يؤتي بالقائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل، وسمع خالد بن صفوان رجلا يتكلم ويكثر ، فقال : اعلم رحمك الله ، ان البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهـذيان ، ولـكنها باصابة المعنى ، والقصد الى الحجة . وقال رجل للعتابى: ما البلاغة ؟فقال: كل من بلغك حاجته ، وافهمك معناه، بلا اعادة،ولا حبسة ، ولا استعانة ، فهـو بليغ: وقال ربيعة الرأي : إني لاسمع الحـديث عطلا فاشنفه ، واقرطه ، فيحسن ، وما زدت فيه شيئاً ، ولا غيرت فيه معنى

١٥ ﴿فصول من البلاغة﴾

قيل لابن السماك الاسدى ، أيام معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال: تركتهم بين مظلوم لا ينتصف ، وظالم لا ينتهى . ولقى الحسـين بن على ، الفرزدق ، فى مسيره الي العراق ، فسأله عن الناس ، فقال : القلوب معك والسيوف عليك،والنصر فى السماء.وشكا قوم الى المسيح عليه السلام،ذنوبهم فقال اتركوها تغفر لـكم . مر عمر بن عبيد ، بسارق يقطع ، فقال . سارق

السريرة ، قطع سارق العلانية . وقيل للخليل بن احمد : مالك تروي الشعر ولا تقوله ؟ قال : لاني كالمسن ، أسحذ ولا أقطع . وذكر سبيب بن شبة خالد ابن صفوان ، فقال : ليس له صديق في السر ، ولا عدو فى العلانية . وقال المنصور ، لعمرو بن عبيد ، أعني بأصحابك ، فقال : ارفع علم الحق ، يتبعك أهله

١٦ ﴿ الحلم ودفع السيئة بالحسنة ﴾

قال الله تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) شتم رجل ابا ذر فقال : ياهـذا ولا تغرق ، ودع للصلح موضعا ، فأنا لا نكافىء من عصي الله فينا ، بأكثر من أن نطيع الله فيه . ومر المسيح عليه السلام بقوم ، فقالوا له شرا ، فقال خيرا ، فقيل له : انهم يقولون شراً وتقول لهم خيراً ، فقال : كل واحد ينفق مما عنده . وقال الشاعر

وذى رحم قلمت أظفار جهله ... بحلمى عنه حين ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامنى ... قطعتها تلك السفاهة والاثم
فداويته بالحلم والمرء قادر ... على سهمه ما كان فى كفه السهم

قيل للاحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ، رأيته قاعدا بفناء داره ، محتبيا بحائل سيفه ، يحدث قومه ، حتي أتي برجل مكتوف ، ورجل مقتول ، فقيل له هذا ابن أخيك ، قتل ابنك فو الله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت الي ابن اخيه . وقال له يا ابن أخى ، اثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك . وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر : قم يابنى ، فوار أخاك ، وحل كتاف بن عمك ، وسق

الي امه مائة ناقة دية ابنها ، فانها غريبة ، ثم انشأ يقول

اني امرؤ لا يطبي حسبي دنس يهجنه ولا افن
من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جوارهم فطن

وقيل للاحنف بن قيس: من أحلم أنت أم معاوية ؟ فقال: تالله ما رأيت جهل منكم ، ان معاوية يقدر فيحلم ، وأنا أحلم ولا اقدر ، فكيف اقاس عليه ، او أدانيه . وقال معاوية ، اني لاستحي من ربى ، أن يكون ذنب أعظم من عفوي أو جهل أكبر من حلمى ، أو عورة لا أواريها بستري . وقال على بن أبي طالب : من لانت كلمته ، وجبت محبته . وقال : رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه . ومن أحسن بيت فى الحلم قول كعب بن زهير

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليما أو أصابك جاهل

وقال آخر

ليست الاحلام فى حين الرضا انما الاحلام فى حين الغضب

وقال يزيد بن أبي حبيب : انما غضبي فى نعلى . فاذا سمعت سمعت ا كره

١٧ ﴿ السودد ﴾

قيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك ؟ فقال بكف الاذي ، وبذل الندي ، ونصر المولي . قدم اوس بن حارثة ، وحاتم بن عبد الله الطائيان على النعمان بن المنذر ، فقال النعمان ، لإياس بن قبيصة الطائى: أيهما افضل ؟ فقال أبيت اللعن أيها الملك ، اني من أحدهما ، ولكن سلهما عن أنفسهما فانهما

بخبزانك ،فدخل عليه أوس فقال له : أنت افضل أم حاتم ؟ فقال أبيت اللعن إن أدنى ولد حاتم أفضل مني ، ولو كنت أنا ، وولدي ، ومالي لحاتم لوهبنا في غداة واحدة . ثم دخل عليه حاتم فقال له : أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن ، ان ادنى ولد أوس أفضل مني ، فقال النعمان: هذا والله السودد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل . ونظر رجل الي معاوية وهو صغير فقال : إني أظن هذا الغلام سيسود قومه ، فسمعته أمه هند فقالت : ثكلته إن لم يسد غير قومه . ودخل ضمرة بن أبي ضمرة على النعمان ، وكانت به دمامة شديدة ، فالتفت النعمان الى أصحابه وقال : تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال : أيها الملك ، انما المرء باصغريه ، قلبه ، ولسانه ، فان قال قال ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان ، قال : صدقت ، وبحق سودك قومك . قال قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة : احفظوا عني ، فلا أحد أنصح لكم مني ، اذا أنامت ، فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم ، فيحقر الناس كباركم .

وكان عمر بن الخطاب ، يفرش له فراش في بيته وقت خلافته ، فلا يجلس عليه أحد الا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن حرب .

١٨ ﴿سودد الرجل بنفسه﴾

قال النبي ﷺ « من أسرع به عمله لم يبطيء به نسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وقال عبد الله بن معاوية:

لسنا وان أحسابنا كرمت يوما علي الآباء نتكل

تبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال عامر بن الطفيل العامري .

واني وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور فى كل موكب
فما سودتنى عامر عن وراثة أبي الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمي حماها وأتقى أذاها وأرمى من رماها بمنكبي

١٩ ﴿ المروءة ﴾

قال ﷺ : «لا دين الا بمروءة» وقال عمر بن الخطاب: المروءة مروءتان مروءة ظاهرة ، ومروءة باطنة ، فالمروءة الظاهرة الرياش ، والمروءة الباطنة العفاف . وقدم وفد على معاوية فقال لهم : ما تعدون المروءة فيكم ؟ فقالوا العفاف ، واصلاح المعيشة . وقال الاحنف: لا مروءة لكذوب . ولا سودد لبخيل ، ولا ورع لسيء الخلق . وقال العتبي ، عن ابيه : لا تتم مروءة الرجل الا بخمس ، أن يكون عالما ، صادقا ، عاقلا ، ذا بيان ، مستغنيا عن الناس . وقيل لعبد الملك بن مروان: أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلا ؟ فقال لو علم مصعب ان الماء يفسد لمروءته ماشربه . وقيل للأحنف ما المروءة ؟ قال: العفة ، والحرفة .

٢٠ ﴿ طبقات الرجال ﴾

قال الحسن: الرجال ثلاثة، فرجل كالغذاء لا يستغني عنه ، ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حينا بعد حين ، ورجل كالداء لا يحتاج اليه ابدا . وقالت الحكماء : الاخوان ثلاثة ، فاخ يخلص لك وده، ويبذل لك رفده ويستفرغ فى مهمتك جهده ، واخ ذو نية، يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته،

واخ يتملق لك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وأيمانه.

٢١ ﴿ الغوغاء ﴾

ذكر الغوغاء عند ابن عباس، فقال : مااجتمعوا الا ضروا ، ولا افترقوا الا نفعوا ، قيل له : قد علمنا ضرر اجتماعهم ، فما نفع افتراقهم ؟ قال : يذهب الحجام إلي دكانه ، والحداد إلي أكياره ، وكل صانع الى صناعته .

ونظر عمر الي قوم يتبعون رجلا اخذ فى ريبة فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا ترى الا فى كل شر .

٢٢ ﴿ الثقلاء ﴾

كان الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل يقول :

فما الفيل تحمله ميتا   باثقل من بعض جلاسنا

ونقش رجل على خاتمه ، ابرمت قم ، فكان اذا جلس اليه ثقيل ناوله اياه ، وقال : اقرأ هذا ، ولابن هانيء فى الرقاشي:

رأيت الرقاشى فى موضع   وكان الي بغيضا مقيتا
فقال اقترح بعض ما تشتهي   فقلت اقترحت عليك السكوتا

٢٣ ﴿ التفاؤل بالاسماء ﴾

كتب رسول الله ﷺ ، الى امرائه ، « لا تبردوا الي بريدا الا حسن الوجه، حسن الاسم» ولما فرغ المهلب بن أبى صفرة، من حرب الازارقة، وجه بالفتح الي الحجاج ، رجلا يقال له مالك ابن بشير ، فلما دخل على الحجاج، قال له: مااسمك ؟ قال: مالك بن بشير قال: ملك وبشارة . وقال الشاعر

واذا تكون كريهة فرجتها   أدعو بأسلم مرة ورباح

يريد التطير باسلم ورباح للسلامة والربح. الرياشي ، عن الاصمعي ،قال: لما قدم رسول الله ﷺ ، المدينة ، نزل على رجل من الانصار، فصاح الرجل بغلاميه ، ياسالم ، ويايسار ، فقال رسول الله ﷺ :« سلمت لنا الدار في يسر»

وانما تطيرت العرب من الغراب ، للغربة ، اذ كان اسمه مشتقا منها ،

وقال ابو الشيص :

أشاقك والليل ملقى الجران غراب ينوح على غصن بان
وفى نعيات الغراب اغتراب وفى البان بين بعيد التداني

ولآخر فى السفرجل

أهدي اليه سفرجلا فتطيرا منه فظل مفكرا مستعبرا
خوف الفراق لان شطر هجائه سفر وحق له بأن يتطيرا

ولآخر فى السوسن

ياذا الذي أهدي لنا السوسنا ما كنت فى اهدائه محسنا
شطر اسمه سوء فقد سؤتني ياليتاني لم أر السوسنا

ولآخر فى الاترج

أهدي اليه حبيبه أترجة فبكي وأشفق من عيافة زاجر
خاف التبدل والتلون أنها لونان باطنها خلاف الظاهر

وقال الطائي فى الحمام:

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

٢٤ الطيرة

قال النبي ﷺ « ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد

قيل : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « إذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » . وقال أبو حاتم : السانح ماولاك ميامنه والبارح ماولاك مياسره ، والحائد مااستقلك من تجاهك ، وقد كانت العرب تتطير ، ويأتي ذلك فى اشعارهم ، وقال بعضهم :

وما صدقتك الطير يوم لقيتنا   وما كان من دلاك فينا بخابر

وقال الشيبانى : لما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان ، قام خطيبا ، فسقطت المخصرة من يده ، فتطير به أهل خراسان ، فقال : أيها الناس ، ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر :

فالقت عصاها واستقر بها النوي   كما قر عينا بالاياب المسافر

٢٥ ﴿ اتخاذ الاخوان وما يجب لهم ﴾

روي الاوزاعي ، عن يحي بن أبي كثير ، ان داود قال لابنه سليمان عليهما السلام : يابنى ، لا تستقل عدواً واحداً ، ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل بأخ قديم ، أخا مستحدثا مااستقام لك . وقال شبيب بن شبة : إخوان الصفاء ، خير من مكاسب الدنيا ، هم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ومعونة على الاعداء ، وانشد ابن الاعرابى :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة   ولكن إخوان الصفاء الذخائر

وقال الاحنف بن قيس : خير الاخوان ، من إن استغنيت عنه لم يزدك فى المودة ، وان احتجت اليه لم ينقصك منها ، وان كوثرت عضدك ، وان استرفدت رفدك ، وانشد :

أخوك الذي ان تدعه لملمة   يجبك وان تغضب الي السيف يغضب

ومما يجب للصديق على الصديق ، النصيحة جهده ، فقد قالوا : صديق الرجل مرآته ، يريه حسناته وسيآته . وقالوا : الصديق من صدقك وده وبذل لك رفده - وقالوا :خير الاخوان ، من أقبل عليك ، اذا ادبر الزمان عنك ، وقال الشاعر :

فان أولى الموالي ان تواليه عند السرور لمن واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما أسهلو ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

انشد محمد بن يزيد المبرد:لعبد الصمد بن المعذل،فى ابراهيم بن الحسن

يامن فدت نفسه نفسي ومن جعلت له وقاء لما يخشى وأخشاه
أبلغ اخاك وان شط المزار به اني وان كنت لا ألقاه القاه
وان طرفى موصول برؤيته وان تباعد عن مثواي مثواه
الله يعلم اني لست اذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفني مكارمه والقطر يحصي ولا تحصي عطاياه

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟قال : لا أدري ، الدنيامقبلة علي والناس كلهم اصدقائي ، وانما أعرف ذلك اذا ادبرت عني .

٢٦ ﴿ معاتبة الصديق واستبقاء مودته ﴾

قالت الحكماء : مما يجب للصديق على الصديق ، الاغضاء عن زلاته والتجاوز عن سيئاته ، فان رجع واعتب ، والا عاتبته بلا اكثار ، فان كثرة العتاب ، مدرجة للقطيعة . وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه : لا تقطع أخاك عن ارتياب ، ولا تهجره دون استعتاب . وقال ابو الدرداء : من لك

باخيك كله . وقالوا : اى الرجال المهذب . وقال بشار العقيلي :

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقالوا : معاتبة الاخ ، خير من فقده . وقال الشاعر

اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقى العتاب

ولاحمد بن أبان :

اذا انا لم أصبر علي الذنب من أخ وكنت اجازيه فأين التفاضل
ولكن أداويه فان صح سرني وان هو أعيا كان فيه تحامل

وقال الاحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا ، ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة ، لعبد الله بن معاوية :

ولست ببادى صاحبي بقطيعة ولست بمفش سره حين يغضب
عليك باخوان الثقات فانهم قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الا من صفا لك وده ومن هو ذو نصح وانت مغيب

٢٧ ﴿ فضل الصداقة على القرابة ﴾

قيل لبزرجمهر : من أحب اليك ؟ أخوك ، أو صديقك ، فقال : ما احب أخى ، الا إذا كان لي صديقا . وقال أكثم بن صيفي : القرابة تحتاج الي مودة ، والمودة لا تحتاج الى قرابة . وقال عبد الله بن عباس : القرابة تقطع ، والمعروف يكفر ، وما رأيت كتقارب القلوب . وقالوا : اياكم ومن تكرهه قلوبكم ، فان القلوب تجازى القلوب . وقال عبد الله بن طاهر الخراساني :

أميل مع الرفاق على ابن أمى وأحمل للصديق على الشقيق
وإن ألفيتني ملكا مطاعا فانك واجدى عبد الصديق

أفرق بين معروفى وبيني وأجمع بين مالى والحقوق

وقال حبيب الطائي:

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم ووصفت ماوصفوا من الأسباب

فاذا القرابة لاتقرب قاطعا واذا المودة أقرب الانساب

وللمبرد:

ماالقرب إلا لمن صحت مودته ولم يخنك وليس القرب للنسب

كم من قريب دوى الصدر مضطغن ومن بعيد سليم غير مقترب

وقال آخر:

فصل حبال البعيد إن وصل الا حبل وأقص القريب إن قطعه

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

فارض من الدهر ما أتاك به من قر عينا بعيشه نفعه

٢٨ ﴿ التحبب الي الناس ﴾

فى الحديث المرفوع « أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا إلي الناس » وفيه أيضا « اذا أحب الله عبدا حببه إلى الناس » . ومن قولنا فى هذا المعني

وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجرى مع الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده ألقى عليه محبة للناس

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الي سعد بن أبي وقاص ، إن الله اذا أحب عبداً ، حببه الى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الله ، بمنزلتك من الناس، واعلم ان مالك عند الله ، مثل ما للناس عندك .وقال أبو دهمان، لسعيد بن مسلم، ووقف الى بابه فحجبه حينا ، ثم أذن له فمثل بين يديه ، وقال ; إن هذا الامر

الذي صار اليك ، وفى يديك ، قد كان فى يدي غيرك ،فأمسي والله حديثاه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فتحبب الي عباد الله بحسن البشر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ، فان حب عباد الله ، موصول بحب الله ،وبغضهم، موصول ببغض الله ،لانهم شهداء الله على خلقه ،ورقباؤه على من اعوج عن سبيله.

٢٩ مواصلتك لمن كان يواصل أباك

من حديث ابن أبي شيبة ، عن النبي ﷺ « لا تقطع من كان يواصل أباك تطفىء بذلك نوره فان ودك ود أبيك» . وقال أبو بكر :الحب والبغض يتوارثان . واجتمع عند ملك من ملوك العرب ، تميم بن مرة ، وبكر بن وائل ، فوقعت بينهما منازعة ،ومفاخرة، فقالا :أيها الملك ، اعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك ، حتى تعلم أينا أجلد ، فأمر الملك، فنحت لهما سيفان من عود فاعطاهما ، فجعلا يضطربان مليا من النهار، فقال بكر بن وائل :

لو كان سيفانا حديداً قطعا

قال تميم ابن مرة:

أو نحتا من جندل تصدعا

وحال الملك بينهما فقال تميم بن مرة لبكر بن وائل :

اساجلك العداوة ما بقينا

فقال له بكر:

وان متنا نورثها البنينا

فيقال ان عداوة بكر وتميم ، من اجل ذلك الي اليوم

٣٠ ﴿الحسد﴾

قال على رضي الله عنه : لا راحة لحسود ، ولا اخاء لملول ، ولا محب لسيء الخلق . وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينفد . وقال معاوية: كل الناس اقدر ان أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ، وقال الشاعر:

كل العداوة قد ترجي اماتتها ... الاعداوة من عاداك من حسد

وقال عبد الله بن مسعود : لا تعادوا نعم الله، قيل له : ومن يعادي نعم الله ؟ قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، يقول الله في بعض الكتب ، الحسود عدو نعمتي ، متسخط لقضائي ، غير راض بقسمتي ولأبي العتاهية:

فيا رب ان الناس لا ينصفوني ... وكيف ولو انصفتهم ظلموني
وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه ... وإن جئت أبغي منهم منعوني
وان نالهم بذلي فلا شكر عندهم ... وان أنا لم أبذل لهم شتموني
وان طرقتني نقمة فرحوا بها ... وإن صحبتني نعمة حسدوني
سأمنع قلبي ان يحن اليهم ... وأحجب عنهم ناظري وجفوني

ابو عبيدة معمر بن المثنى ، قال : مر قيس بن زهير ، ببلاد غطفان فرأى ثروة وعددا ، فكره ذلك ، فقيل له : أيسوءك ما يسر الناس ؟ قال انك لا تدرى ، ان مع النعمة والثروة ، التحاسد والتخاذل ، وان مع القلة التحاشد والتناصر . سئل بعض الحكماء ، اى أعدائك تريد أن يعود لك صديقا ؟ قال: الحاسد الذي لا يرده الا زوال نعمتي . صلى الاحنف بن قيس

على حارثة بن قدامة السعدي ، فقال : رحمك الله ، كنت لا تحسد غنيا ، ولا تحقر فقيراً. وكان يقال: لا يوجد الحر حريصا ، ولا الكريم حسودا.

لرجل من قريش

حسدوا النعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلم
وإذ ما الله أسدى نعمة لم يضرها قول أعداء النعم

وكانت عائشة رضى الله عنها تتمثل بهذين البيتين :

إذا ما الدهر جر على أناس حوادثه اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ولبعضهم

اياك والحسد الذي هو آفة فتوقه وتوق غرة من حسد
إن الحسود اذا أراك مودة بالقول فهو لك العدو المجتهد

وقال بعض الحكماء : ما أمحق للايمان ، ولا أهتك للستر ، من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله ، باغ على عباده ، عات على ربه ، يعتد نعم الله نقما ، ومزيده غيرا ، وعدل قضائه حيفا ، للناس حال ، وله حال، ليس يهدأ ليله ، ولا ينام جشعه ، ولا ينفعه عيشه ، محتقر لنعم الله عليه، متسخط ما جرت به أقداره ، ولا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله ، ان سالمته وترك ، وان واصلته قطعك ، وان صرمته سبقك . ذكر حاسد عند بعض الحكماء، فقال : ياعجباه لرجل أسلكه الشيطان مهاوى الضلالة ، وأورده قحم الهلكة، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد ، ان أنالها من أحب من عباده ، أشعر قلبه الاسف على مالم يقدر له ، وأغاره الكلف بما لم يكن لينالة . وقال المنصور ، لسليمان بن

معاوية المهلبي : ماأسرع الناس الي قومك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين

إن العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

وقال آخر :

إن يحسدونى فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابى وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر :

ان الغراب وكان يمشي مشية فيما مضي من سالف الاحوال
حسد القطاة فرام يمشي مشيها فأصابه ضرب من العقال

وقال حبيب الطائى :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتمال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

٣١ ﴿ محاسدة الاقارب ﴾

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الى أبى موسي الاشعرى : مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ، ولا يتجاوروا . وقالوا : أزهد الناس فى عالم أهله . وقال يحي بن سعيد : من أراد أن يبين عمله ، ويظهر علمه ، فليجلس في غير مجلس رهطه . وقال ذو الاصبع العدواني :

لي ابن عم على ما كان من خلق محاسد لى أقليه ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا فخالني دونه أو خلته دوني
ياعمرو الا تدع شتمى ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني
ماذا على وان كنتم دوى رحمي أن لا احبكم ان لم تحبوني

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم   ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني

وقال آخر :

مهلا بني عمنا مهلا موالينا   لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم   وأن نكف الاذي عنكم وتؤذونا

الله يعلم أنا لا نحبكم   ولا نلومكم إن لم تحبونا

وقال أيضا :

ذو الود مني وذو القربى بمنزلة   وإخوتي أسوة عندي وإخواني

عصابة جاورت آدابهم أدبي   فهم وان فرقوا في الارض جيراني

وقال عليه الصلاة والسلام : « امتحنوا الناس باخوانهم »

وقال آخر :

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم   ولا تصحب الاردي فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال آخر :

إصحب ذوي الفضل وأهل الدين   فالمرء منسوب الى القرين

﴿ السعاية والبغي ﴾

قال الله تعالي ذكره: (يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) . وقال المأمون يوما لبعض ولده : إياك أن تصغى لاستماع قول السعاة ، فانه ماسعي رجل برجل ، إلا انحط من قدره عندي مالا يتلافاه أبداً . وسأل رجل عبد الملك الخلوة ، فقال لأصحابه : اذا شئتم فقوموا ، فلما تهيأ الرجل للكلام ، قال له: إياك أن تمدحني فانا أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني فانه لا رأي لكذوب،

أو تسعى الي بأحد ، وإن شئت أقلتك ، قال : أقلني .ودخل رجل على الوليد ابن عبد الملك ، وهو والي دمشق لابيه ،فقال : للأمير عندي نصيحة، فقال: إن كانت لنا فاذكرها ،وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها، قال: جارلى عصي، وفر من بعثه ، قال : اما أنت فتخبر أنك جارسوء ،وان شئت أرسلنا معك، فان كنت صادقا أقصيناك ، وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت تاركناك، قال : تاركني . وفى سير العجم أن رجلا وشى برجل الى الاسكندر ، فقال: أتحب ان نقبل منه عليك ؟ ومنك عليه ؟ قال : لا ، قال :فكف الشر يكف عنك الشر . وعاتب مصعب بن الزبير ، الاحنف فى شيء فأنكره ، فقال : أخبرنى الثقة ، قال : كلا ان الثقة لا يبلغ . وقد جعل الله السامع شريك القائل، فقال:(سماعون للكذب أكالون للسحت) . وقيل حسبك من شر سماعه، وقال الشاعر :

لعمرك ماسب الأمير عدوه ولكنما سب الامير المبلغ

٣٣ ﴿ الغيبة ﴾

قال النبي ﷺ « اذا قلت فى الرجل مافيه فقد اغتبته ، وإذاقلت ماليس فيه فقد بهته » . اغتاب رجل رجلا ، عند قتيبة بن مسلم ، فقال له : امسك عليك ايها الرجل ، فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام . وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة : بلغنى انك تقع فى ؟ قال : أنت اذا علي أكرم من نفسى . وعاب رجل رجلا عند بعض الاشراف ، فقال له : قد استدللت علي كثرة عيوبك ، بماتكثر من عيوب الناس ، لان طالب العيوب، إنما يطلبها بقدر مافيه منها ، أما سمعت قول الشاعر :

لا تهتكن من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقيل لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك ايوب السختياني حتى رحمناك ، قال : إياه فارحموا . وقال ابن عباس: أذكر اخاك اذا غاب عنك ، بما تحب أن تذكر به ، ودع منه ما تحب أن يدع منك .

وقال الحسن البصري : لا غيبة فى ثلاثة ، فاسق مجاهر ، وامام جائر ، وصاحب بدعة لم يدع بدعته .

٣٤ ﴿ مدارة أهل الشر ﴾

قال النبي عليه الصلاة والسلام : « شر الناس من اتقاه الناس لشره »
وأنشد العتبي :

لى صديق يري حقوقي عليه ... نافلات وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولا اليه ... ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأي ما فعلت غير كثير ... واشتهى ان يزيد فى الارض أرضا

وقال صالح بن عبد القدوس:

تجنب صديق السوء واصرم حباله ... وإن لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله ... يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة ... ولكنها محفوفة بالمكاره

عرض على ابي مسلم صاحب الدعوة ، فرس جواد ، فقال لقواده : لماذا يصلح مثل هذا الفرس ؟ قالوا : ا ان نغزوا عليه العدو ، قال : لا ، ولكن يركبه الرجل ، فيهرب عليه من جار السوء .

٣٥ ﴿ ذم الزمان ﴾

قالت الحكماء : جبل الناس على ذم زمانهم ، وقلة الرضا عن اهل عصرهم فمنه قولهم : رضا الناس غاية لا تدرك . وقولهم لا سبيل الى السلامة ، من السنة العامة . وقولهم . الناس يعيرون ولا يغفرون ، والله يغفر ولا يعير دخل مسلم بن يزيد بن وهب ، على عبد الملك بن هارون ، فقال عبد الملك أي زمان ادركت أفضل ؟ واي الملوك أكمل ؟ قال اما الملوك ، فلم أر الا حامدا أو ذاما ، اما الزمان ، فيرفع اقواما ، ويضع اقواما ، وكلهم يذم زمانه لانه يبلي جديدهم ، ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم . ابو جعفر الشيباني قال : أتانا يوما أبو مياس الشاعر ، ونحن في جماعة ، فقال : ما أنتم وما تتذاكرن ؟ قلنا : نذكر الزمان وفساده ، قال : كلا ، انما الزمان وعاء وما ألقي فيه من خير أو شر كان علي حاله ، ثم أنشأ يقول:

أرى حللا تصان على أناس وأخلاقا تداس فما تصان
يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال حبيب الطائي:

لم أبك في زمن لم أرض خلته الا بكيت عليه حين ينصرم

٣٦ ﴿ فساد الاخوان ﴾

قال ابو الدرداء : كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فصاروا شوكا لا ورق فيه . وقيل لعروة بن الزبير : الا تنتقل الى المدينة ؟ قال : ما بقى بالمدينة الا حاسد على النعمة ، أو شامت بمصيبة . الحسنى انشدني الرياشي:

إذا ذهب التكرم والوفاء وباد رجاله وبقى الغثاء

واسلمني الزمان الي رجال كامثال الذئاب لهـا عـواء
صديق كلما استغنيت عنهم وأعـداء اذا جهـد البـلاء
اذا ما جئتهم يتـدافعوني كأني أجرب أعداه داء
أقـول ولا ألام على مقـال على الاخـوان كلهم العفـاء

وقالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودةمن لا وفاء له ، واصطناع من لا شكر عنده ، والـكريم يود الـكريم عن لقية واحـدة ، واللئيم لا يصل أحدا الا عن رغبة أو رهبة . وفي كتاب للهند ، أن رجل السوء لا يتغير عن طبعه كما ان الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مراً . وقال ابو العتاهية فى هذا المعنى:

لله در أبيـك أي زمان أصبحت فيه وأى أهل زمان
كل يواريك المودة جاهداً يعطى ويأخذ منك بالميزان
فاذا رأى رجحان حبةخردل مالت مودته الي الرجحان

للبكري

وخليـل لم أخنه ساعة فى دمي كفيه ظلما قد غمس
كان فى سرى وجهري ثقتي لست عنه فى مهم أحترس
ستر البغض بألفاظ الهوى وادعي الودبغش ودلس
ان رآني قال لى خيرا وإن غبت عنه قال شرا ودحس
ثم لما أمكنته فرصة حمل السيف على مجرى النفس
وأراد الروح لـكن خانه قدر أيقظ من كان نعس

وانشد العتبي

إذا كنت تغضب من غير ذنب وتعتب من غير جرم عليا
طلبت رضاك فان عزني عددتك ميتا وإن كنت حيا
فلا تعجبن بما فى يديك فأكثر منه الذى فى يديا

وقال ابن ابي حاتم

وخل كان يحفظ لى جناحا فودعنى فنابذني جماحا
فقلت له ولى نفس عزوف إذا حميت تقحمت الرماحا
سأبدل بالمطامع منك ياسا وباليأس استراح من استراحا

وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر:

وانت اخى ما لم تكن لي حاجة فان عرضت ايقنت أن لا أخاليا
فلا زاد ما بينى وبينك بعد ما بلوتك في الحاجات الا تماديا
كلانا غني عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وقال ابن أبي حازم:

وقالوا لو مدحت فتي كريما فقلت وكيف لي بفتى كريم
بليت ومربي خمسون حولا وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير ولا أحد يعود على عديم

٣٧ ﴿من قاده الكبر الي النار﴾

نظر الحسن ، الي عبدالله بن الاهتم ، يخطر فى المسجد ، فقال: انظروا الي هذا ليس منه عضو الا ولله عليه نعمة ، وللشيطان فيه لعنة . وقال يحي بن

حيان : الشريف اذا تقوى تواضع ،والوضيع اذا تقوي تكبر. وقيل للحجاج: كيف وجدت منزلك بالعراق ايها الامير ؟ قال : خير منزل لو أدركت بها أربعة نفر ، فتقربت الي الله سبحانه وتعالي بدمائهم ، قيل له : ومن هم ؟ قال: مقاتل بن مسمع ،ولي سجستان،فأتاه الناس،فأعطاهم الاموال،فلما قدم البصرة، بسط له الناس أرديتهم ،فمشي عليها،فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون، وعبدالله ابن ظبيان ، خطب خطبة أوجز فيها، فناداه الناس من أعراض المسجد، كثر الله فينا أمثالك ، قال : لقد كلفتم ربكم شططا ، ومعبد بن زرارة ، كان ذات يوم جالسا على طريق ، فمرت به امرأة، فقالت :ياعبدالله أين الطريق لمكان كذا؟ فقال : لمثلي يقال ياعبد الله ، ويلك ، وأبو سماك الحنفي ، أضل ناقته، فقال والله لئن لم ترد علي ناقتي لاصليت ابدا . وقالوا : من ابطره الغنى اذله الفقر : وقالوا : من ولى ولاية ، يرى نفسه أكبر منها لا يتغيرلها ، ومن ولى ولاية يري ولايته أكبر من نفسه تغيرلها. وقال كسري: احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع

٣٨ ﴿ التواضع ﴾

قال النبي ﷺ : من تواضع لله رفعه الله . قالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها ، الا التواضع . واصبح النجاشي يوما جالسا علي الارض والتاج عليه ، فأعظمت بطارقته ذلك ، وسألوه عن السبب الذي أوجبه ، فقال : وجدت فيما أنزل الله على المسيح ، اذا انعمت على عبدى نعمة ، فتواضع ، أتممتها عليه ، وانه ولد لى فى هذه الليلة غلام ، فتواضعت شكر الله .

وسئل الحسن عن التواضع ، فقال : هو ان تخرج من بيتك فلا تلقى

أحداً الا رأيت له الفضل عليك . وقال ابو العتاهية :

يا من تشرف بالدنيا وزينتها ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك فى زى مسكين

٣٩ ﴿ الرفق والاناة ﴾

قال النبي ﷺ : من أوتي حظه من الرفق ، فقد أوتي حظه من خير الدنيا والآخرة . قالت الحكماء : يدرك بالرفق ، مالا يدرك بالعنف ، ألا ترى ان الماء على لينه يقطع الحجر على شدته ؟ وقال النابغة:

الرفق يمن والأناة سعادة فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

وقالوا : العجل بريد الزلل . أخذ القطامي التغلبي هذا المعني فقال:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

٤٠ ﴿ استراحة الرجل بمكنون سره الي صديقه ﴾

قالت الحكماء : لكل سر مستودع . وقالوا : مكاتمة الأدنين صريح العقوق ، وقال الشاعر:

وأبثثت عمرا بعض ما فى جوانحي وجرعته من مر ما أتجرع
ولابد من شكوى الي ذي حفيظة إذا جعلت اسرار نفسى تطلع

وقال حبيب:

شكوت وما الشكوى لمثلى عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها

وأنشد ابو الحسن محمد المصري

لعب الهوى بمعالمي ورسومي ودفنت حيا تحت ردم همومي
وشكوت همي حين ضقت ومن شكا هما يضيق به فغير ملوم

٤١ ﴿ الاستدلال باللحظ علي الضمير ﴾

قالت الحكماء : العين باب القلب ، فما كان فى القلب ، ظهر فى العين عثمان بن ابراهيم بن محمد، قال : إني لأعرف فى العين اذا عرفت ، وأعرف فيها إذا انكرت ، وأعرف فيها اذا لم تعرف ، ولم تنكر ، اما اذا عرفت ، فبحوص، واما اذا أنكرت ،فبجحظ ، واما اذا لم تعرف ولم تنكر ، فبسجو

وقال محمود الوراق :

إن العيون على القلوب شواهد فبغيضها لك بين وحبيبها
واذا تلاحظت العيون تفاوضت وتحدثت عما تجن قلوبها
ينطقن والافواه صامتة فما يخفى عليك بريئها ومريبها

٤٢ ﴿ الاستدلال بالضمير على الضمير ﴾

كتب حكيم الى حكيم ، واذا أردت معرفة مالك عندي ، فضع يدك على صدرك ، فكما تجدنى كذلك أجدك . وقالوا: إياكم ومن تبغضه قلوبكم، فان القلوب تجازى القلوب . وقال ذو الاصبع :

لاأسأل الناس عما فى ضمائرهم مافي ضميري لهم من ذاك يكفيني

وقال محمود الوراق :

لاتسألن المرء عما عنده واستمل مافي قلبه فى قلبكا
إن كان بغضا كان عندك مثله أو كان حبا فاز منك بحبكا

٤٣ ﴿ تقديم القرابة وتفضيل المعارف ﴾

قال الشيباني : أول من آثر القرابة والاولياء ، عثمان بن عفان رضى الله عنه . وقال : كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله ، ولا يرى أفضل من عمر.

وقال : لما آوي الحكم بن أبي العاص ، مانقم الناس على أن وصلت رحما ، وقربت عما . وقيل لمعاوية بن أبي سفيان : ان آذنك يقدم معارفه وأصدقاءه فى الاذن ، على أشراف الناس ووجوههم ، فقال : ويلكم ، ان المعرفة لتنفع في الكلب العقور ، والجمل الصؤول ، فكيف فى رجل حسيب ذي كرم ودين . وقال الشاعر:

أقول لجارى إذ أتانى مخاصما يدل بحق أو يدل بباطل
اذا لم يصل خيرى وأنت مجاوري إليك فما شرى إليك بواصل

وولي ابن شبرمة ، قضاء البصرة وهو كاره ، فأحسن السيرة ، فلما عزل اجتمع اليه أهل خاصته ، ومودته ، فقال لهم : والله لقد وليت هذه الولاية وأنا كاره ، وعزلت عنها وأنا كاره ، ومابي فى ذلك الا مخافة ان يلى هذه الوجوه من لايعرف حقها . ويقول الحكماء : أحق من شاركك فى النعمة ، شر كاؤك فى المصيبة .

وقال حبيب: قبح الآله عداوة لاتتقى ومودة يدلي بها لاتنفع

ومما قيل في الدين ، إياكم والدين ، فان أوله هم ، وآخره حزن ، قال الشاعر :

إذا قضيت الدين بالدين لم يكن قضاء ولكن كان غرما الي غرم

ونهى النبي ﷺ ، عن الكذب فقال :

« لايجوز الكذب فى جد ولا هزل » وقال: « لايكون المؤمن كذابا »

٤٤ ﴿ التنزه عن استماع الخنى والقول به ﴾

اعلم أن السامع شريك القائل فى الشر ، قال الله . (سماعون للكذب).

وقال العتبي : حدثني أبي عن سعد القصر ، قال : نظر عمر بن عتبة ، رجلا يشتم عندي رجلا ، فقال لي : ويلك ، وما قال لي ويلك قبلها ، نزه نفسك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به ، فان السامع شريك القائل ، وانه عمد الي شر مافى وعائه ، فأفرغه فى وعائك ، ولو ردت كلمة جاهل فى فيه ، لسعد رادها ، كما شقي قائلها .

٤٥ ﴿الغلو فى الدين﴾

توفى رجل فى عهد عمر بن ذر ، ممن أسرف على نفسه فى الذنوب ، وجاوز فى الطغيان ، فتجافى الناس عن جنازته ، فحضرها عمر بن ذر ، وصلى عليه ، فلما أدلي في قبره ، قال : يرحمك الله أبا فلان ، صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفرت وجهك لله بالسجود ، فان قالوا مذنب ، وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وذى خطايا . ومن حديث ابن هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين » فقال : (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال (يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم « ذكر الرجل يرى أشعث اغبر يمد يديه الي السماء يقول : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، فاني يستجاب له . » وقال ﷺ : « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى » . وقال على ابن ابي طالب رضي الله عنه : خير هذه الامة النمط الاوسط ، يرجع اليهم الغالى ، ويلحق بهم التالي . وقال مطرف ابن عبد الله بن الشخير : لابنه ، وكان قد تعبد يا بني ، إن الحسنة بين السيئتين ، يعني الدين بين الافراط والتقصير ، وخير الامور أوسطها ، وشر السير الحقحقة . وقالوا : عامل البر

كآكل الطعام ، إن أكل منه قوتا عصمه ،وان أسرف منه بشمه . وفى بعض الحديث ان عيسى بن مريم عليه السلام لقى رجلا ، فقال له: ما تصنع ؟ قال : اتعبد ، قال : فمن يعود عليك : قال : أخي ، قال : هو أعبد منك ؟ ونظير هذا ان رفقة من الاشعريين كانو فى سفر ، فلما قدموا قالوا : ما رأينا يارسول الله بعدك أفضل من فلان، كان يصوم النهار، فاذا نزلنا قام من الليل حتى نرحل ، قال : فمن كان يمهن له ويكفله؟ قالوا : كلنا قال : كلكم افضل منه » وصلى الاعمش فى مسجد قوم ، فاطال بهم الامام ، فلما فرغ قال له: يا هذا ، لا تطل صلاتك ، فانه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير، والضعيف قال الامام: (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) فقال له الاعمش : انا رسول الخاشعين اليك ، انهم لا يحتاجون الي هذا منك .

محمد بن حاطب الجمحى قال: حدثني من سمع عمرو بن شعيب ،وكنت سمعته انا وأبي جميعا ، قال : حدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده، عن عبد الله بن عمرو ، وكانت امرأته تلطف رسول الله ﷺ ، فقال : كيف أنت يا ام عبد الله؟ قالت: كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجل قد تخلى من الدنيا قال لها : كيف ذلك؟ قالت : حرم فلا ينام ولا يفطر ، ولا يطعم اللحم ولا يؤدي الي اهله حقهم ، قال : فاين هو ؟ قالت : خرج ويوشك أن يرجع الساعة ، قال : فاذا رجع فاحبسيه على ، فخرج رسول الله ﷺ وجاء عبد الله ، وأوشك رسول الله ﷺ فى الرجعة، فقال : يا عبد الله بن عمرو ما هذا الذي بلغني عنك ، انك لاتنام ، قال : اردت بذلك الامن من الفزع الا كبر ، قال : وبلغنى أنك لا تفطر ، قال : اردت بذلك ما هو خير منه

فى الجنة ، قال : وبلغنى أنك لا تؤدى الي اهلك حقهم ، قال : أردت بذلك نساء هن خير منهن ، فقال رسول الله ﷺ يا عبد الله بن عمرو ، إن لك في رسول الله أسوة حسنة ، فرسول الله يصوم ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدى الي اهله حقوقهم ، يا عبدالله بن عمرو ، ان لله عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فقال : يا رسول الله ما تأمرني ان أصوم خمسة أيام ، وافطر يوما ، قال : لا ، قال فاصوم أربعة وأفطر يوما ، قال : لا ، قال : فاصوم ثلاثة وأفطر يوما ، قال : لا قال فيومين وافطر يوما ، قال: لا قال فيوما قال : ذلك صيام اخي داود يا عبد الله بن عمرو ، كيف بك اذ بقيت فى حثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم ومواثيقهم ، فكانوا هكذا وخالف بين اصابعه ، قال : فما تأمرنى يا رسول الله ؟ قال : تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر ، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع الناس وعوام امرهم . قال ثم أخذ بيده ، وجعل يمشى به ، حتى وضع يده فى يد أبيه ، وقال له : أطع أباك فلما كان يوم صفين ، قال له أبوه عمرو : يا عبد الله اخرج فقاتل ، فقال يا أبتاه تأمرني أن أقاتل ، وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت ، وعهد الى ، قال : أنشدك الله ، ألم يكن آخر ما قال لك ، أن أخذ بيدك ، فوضعها في يدي ، وقال: أطع أباك ؟ قال : اللهم بلي ، قال : فاني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل ، قال فخرج ، فقاتل متقلداً بسيفين .

٤٦ ﴿ ماجاء في ذم الحمق والجهل ﴾

قال النبي ﷺ : « الجاهل يظلم من خالطه ويعتدي على من هو دونه ، ويتطاول على من هو فوقه ، ويتكلم بغير تمييز ، وإن رأى كريمة أعرض

عنها ، وان عرضت فتنة أردته وتهور فيها» . وقال ابو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث ، العجب ، وكثرة المنطق ، وأن ينهى عن شيء ويأتيه . وقال ازدشير بحسبكم دلالة على عيب الجاهل ، أن كل الناس تنفر منه ، ويغضب من أن ينسب اليه وكان يقال: لا تغررك قرابة، ولا اخوة ،ولا إلف،فان أحق الناس بتحريق النار ، أقربهم منها . وقيل : خصلتان لا تقربانك من الأحمق ، كثرة الالتفات ، وسرعة الجواب . وقيل: لا تصحب الجاهل ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك . ولبعضهم

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقه أعيت من يداويها

ولأبي العتاهية

إحذر الاحمق لا تصحبه إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقعته من جانب زعزته الريح يوما فانخرق
أو كصدع فى زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يلتصق
فاذا عاتبته كي يرعوي زاد شراً وعادي فى الحمق

٤٧ ﴿أصناف الاخوان﴾

قال العتابي: الاخوان ثلاثة أصناف ، فرع بائن من أصله، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل ، فأما الفرع البائن من أصله، فاخاء بني على مودة ثم انقطعت ، فحفظ على زمام الصحبة ، وأما الاصل المتصل بفرعه فأخاء أصله الكرم ، وأغصانه التقوى ، وأما الفرع الذي لا أصل له، فالمموه الظاهر، الذى ليس له باطن. وقال النبي ﷺ : « الصاحب رقعة في قميصك ،فانظر بم ترقعه» وقالوا : من علامة الصديق ،أن يكون لصديق صديقه صديقا ، ولعدو صديقه

عدوا . وقال الشاعر :

ليس الصديق الذى إن زل صاحبه يوما رأي الذنب منه غير مغفور
وإن أضاع له حقا فعاتبه فيه أتاه بتزويق المعاذير
إن الصديق الذى تلقاه يعذر فيـ ما ليس صاحبه فيه بمعذور

وكتب العباس بن جرير ، الي الحسن بن مخلد:

إرع الاخاء أبا محمـ ـد الذي يصفو وصنه
وإذا رأيت منافسا فى نيل مكرمة فكنه
إن الصديق هو الذي برعاك حيث تغيب عنه
فاذا كشفت اخاءه أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام أذا تنضا ه ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما يسعى له كرما وان لم تستعنه

وقال آخر:

إذا رأيت انحرافا من أخى ثقة ضاقت على برحب الارض أوطاني
فان صددت بوجهي كي أكافئه فالعين غضبي وقلبي غير غضبان

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك ، أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الاسماء اليه ، ولابن أبي حازم:

ارض من المرء فى مودته بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحداً يصح منه غداً سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ فى كل زلاته تنافره

إن ساءني صاحبي احتملت وإن سر فاني أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وان طلب الـ ـعذر فانى عليه عاذره

ولمحمود الوراق :

لا بر أعظم من مساعدة فاشكر أخاك على مساعدته
وإذا هفا فأقله هفوته حتي يعود أخا كعادته
فالصفح عن زلل الصديق وإن أعياك خير من معاندته

٤٨ ﴿أخبار الخوارج﴾

كان الخوارج من أصحاب على رضى الله عنه ، فلما كان من أمر الحكمين ما كان ، واختداع عمرو لأبي موسى ، قالوا : لا حكم الا الله ، فلما سمع على رضي الله عنه نداءهم، قال: كلمة حق يراد بها باطل، وانما مذهبهم أن لا يكون أمير ، ولا بد من أمير ، برا كان أو فاجراً ، وقالوا لعلى :شككت فى أمرك، وحكمت عدوك في نفسك ، وخرجوا إلى حر وراء ، وخرج اليهم على رضي الله عنه ، فخطبهم متوكئا على قوسه، وقال :هذا مقام من أفلح فيه ،أفلح يوم القيامة، أنشدكم الله ، هل علمتم أن أحداً كان أكره للحكومة مني ؟ قالوا :اللهم لا، قال : فعلام خالفتمونى ونابذتموني ؟ قالوا : إنا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الي الله منه، فتب الي الله منه واستغفره نعد اليك ، فقال على :اني استغفر الله من كل ذنب، فرجعوا معه وهم في ستة آلاف ، فلما استقروا بالكوفة ، اشاعوا ان عليا رجع عن التحكيم ، وتاب منه ،ورآه ضلالا فاتي الاشعث بن قيس عليا رضي الله عنه، فقال ياأمير المؤمنين، ان الناس قد تحدثوا انك رايت الحكومة ضلالا ،و الاقامة عليها كفرا . وتبت ، فخطب على الناس فقال : من زعم اني رجعت عن الحكومة

فقد كذب ، ومن رآها ضلالا فهو أضل منها. فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت ، فقيل لعلي : انهم خارجون . فقال: لا اقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس ، فلما سار اليهم، رحبوا به واكرموه، فرأي منهم جباها قرحة لطول السجود ، وايديا كثفنات الابل ، وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون . قالوا : ماجاء بك ياابن عباس ؟ قال : جئتكم من عند صهر رسول الله ﷺ وابن عمه ، وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والانصار ، فقالوا : انااتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال : ابن عباس نشدتكم الله الا ماصدقتم أنفسكم ؟ أما علمتم ان الله أمر بتحكيم الرجال فى ارنب تساوي ربع درهم يصادفي الحرم ، وفي شقاق امرأة وزوجها ؟ فقالوا: اللهم نعم قال : فانشدكم الله هل علمتم ان رسول الله ﷺ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية ؟ قالوا : نعم ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين ، قال ابن عباس : ذلك ليس بمزيلها عنه . وقد محا رسول الله ﷺ اسمه من النبوة إذ قال سهيل بن عمرو : لو علمت انك رسول الله ماحاربتك ، فقال للكاتب اكتب محمد بن عبد الله ، وقد اخذ على على الحكمين أن لا يجورا ، فعلي أولى من معاوية وغيره ، قالوا : إن معاوية يدعي مثل دعوي علي ، قال : فايهما رأيتموه أولى فولوه ، قالوا : صدقت ، قال ابن عباس : ومتي جار الحكمان فلا طاعة لهما ، ولا قبول لقولهما ، فاتبعه منهم الفان ، وبقي أربعة آلاف، فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء ، وقال: متي حدث حرب، فرئيسكم شبث بن ربعى الرياحي، فلم يزالوا علي ذلك، حتي اجتمعوا على البيعة لعبدالله

ابن وهب الراسبى فخرج بهم الي النهروان ، فاوقع بهم على فقتل منهم الفين وثمانمائة ، وكان عددهم ستة آلاف ، وكان منهم بالكوفة زهاء الفين ممن يسر أمره فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضى الله عنه : ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب ، قالوا كلنا قتله ، وشرك فى دمه ، وذلك انهم لما خرجوا اليهم ، لقوا مسلما ونصرانيا ، فقتلوا المسلم ، وأوصوا بالنصراني خيرا وقالوا احفظوا ذمة نبيكم ، ولقوا عبد الله بن خباب وفى عنقه المصحف ، ومعه امرأته وهى حامل ، فقالوا ان هذا الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك ، فقال لهم أحيوا ما أحيا القرآن ، واميتوا ما أمات القرآن ، قالوا : حدثنا عن أبيك قال : حدثنى أبي ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه. يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » قالوا: فما تقول فى أبي بكر وعمر؟ فاثنى خيراً قالوا : فما تقول فى الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول أن عليا اعلم بالله منكم وأشد توفيا علي دينه وانفذ بصيرة ، قالوا : انك لست تتبع الهدى بل الرجال على اسمائها ، ثم قربوه الى شاطيء البحر فذبحوه فامذقر دمه أي جرى مستطيلا علي دقة ، وساموا رجلا نصرانيا بنخلة ، فقال، هي لكم هبة قالوا : ما كنا نأخذها الا بثمن ، فقال : ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله ابن خباب ، ولا تقبلون منا نخلة الا بثمن ؟

ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب (الاباضية) أصحاب عبد الله بن اباض (والصفريه) واختلفوا فى تسميتهم فقال قوم : سموا بابن صفار وقال قوم : نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ، ومنهم (البيهسية) وهم اصحاب

أبي بيهس ومنهم (الازارقة) أصحاب نافع بن الازرق الحنفي . وكانوا قبل على رأي واحد لا يختلفون الا في الشيء الشاذ ، فبلغهم خروج مسلم بن عقبه الى المدينة ، وقتله أهل الحرة ،وانه مقبل الي مكة ، فقالوا : يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ، ونمتحن ابن الزبير ، فان كان على رأينا بايعناه ، فلما صاروا الي ابن الزبير عرفوه انفسهم وما قدموا له ، فاظهر لهم انه على رايهم حتى اتاهم مسلم ابن عقبة واهل الشام ، فدافعوهم الي ان يأتي رأى يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ، ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم ابابكر وعمر وبريء من عثمان وعلي ،وكفر اباه وطلحة: بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده . وتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير . وهو متبذل واصحابه متفرقون عنه ،فقالوا: انا جئناك لتخبرنا رأيك، فان كنت على صواب بايعناك ، وان كنت على خلاف دعوناك الى الحق ، ما تقول في الشيخين ؟ قال : خيراً ، قالوا : فما تقول في عثمان الذي أحمي الحمي ،وآوي الطريد ، وأظهر لاهل مصر شيئا ، وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي معيط رقاب الناس ، وآثرهم بفيء المسلمين ؟ وفي الذى بعده الذى حكم الرجال ، وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم ؟ وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ، ثم نكثا بيعته ، وأخرجا عائشة تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها بأن يقرن في بيوتهن ، وكان في ذلك مايدعوك الى التوبة ، فان أنت قبلت كل مانقول فلك الزلفي عند الله ، والنصر على أيدينا ان شاء الله ، ونسأل الله لك التوفيق ، وان أبيت خذلك الله ، وانتصر منك بايدينا ، فقال ابن الزبير : ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة

أكفر الكافرين ، وأعتي العاتين ، بأرأف من هذا القول ، قال لموسى وأخيه صلى الله عليهما : (اذهبا الي فرعون انه طغي فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشي) وقال رسول الله ﷺ : « لاتؤذوا الاحياء بسب الاموات » فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمه ابنه وابو جهل عدو الله ورسوله ، والمقيم على الشرك والجاد في محاربة رسول الله ﷺ قبل الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنبا ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذى سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا : أتبرأ من الظالمين ، فان كان منهم دخلا فى غمار الناس ، وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وانتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه : « وان جاهداك على أن تشرك ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » وقال : « وقولوا للناس حسنا » وهذا الذى دعوتم اليه أمر له ما بعده ، وليس يقنعكم الا التوقيف والتصريح ، ولعمرى ان ذلك أحري بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى بان يعرف كل صاحبه من عدوه ، فروحوا الي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله تعالى ، فلما كان العشى راحوا اليه ، فخرج اليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأي ذلك نجدة قال : هذا خروج منابذ لكم ، فجلس على رفع من الارض ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى علي نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ، ثم ذكر عثمان فى السنين الاوائل من خلافته ، ثم وصلهن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية ، وأخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاصى باذن رسول الله ﷺ وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه

ماكان له ان يفعله أولا مصيباً ، ثم أعتبهم بعد ذلك محسنا ، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ، ثم كتب ذلك الكتاب بقتلهم ، فدفعوا الكتاب اليه ، فحلف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر الله عز وجل بقبول اليمين ممن ليس له سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ﷺ ومكانه من الامامة ، وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه ، وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها حلف على حق ، فافتداها بمائة الف ولم يحلف ، وقد قال رسول الله ﷺ من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليقبل ، وعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه ، وانا ولي وليه ، وعدو عدوه . واني وصاحبه صاحبا رسول الله ﷺ ورسول الله يقول عن الله عز وجل يوم أحد لما قطعت أصبع طلحة : سبقته الي الجنة وقال : أوجب طلحة . وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كله لطلحة والزبير ، حواري رسول الله ﷺ وصفوته ، وقد ذكر أنهما في الجنة ، وقال عز وجل : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وما أخبرنا بعد انه سخط عليهم ، فان يكن ما صنعوا حقا فاهل ذلك هم ، وان يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم ﷺ ، ومهما ذكرتموهما ، فقد بدأتم بامكم عائشة ، فان أبي آب ان تكون له اما نبذ اسم الايمان عنه ، وقد قال جل ذكره : « النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم » فنظر بعضهم الى بعض ، ثم انصرفوا عنه .

وكتب بعد ذلك نافع بن الازرق ، الي عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره ، اما بعد : فاني احذرك من الله (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيد) فاتق الله ربك ، ولا تول الظالمين ، فان الله يقول «ومن يتولهم منكم فانه منهم» وقال : «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء» وقد حضرت عثمان يوم قتل ، فلعمري لئن كان قتل مظلوما ، لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ، وان كان قاتلوه مهتدين وإنهم لمهتدون ، لقد كفر من تولاه ونصره ، ولقد علمت ان اباك ، وطلحة ، وعليا كانوا أشد الناس عليه وكانوا فى أمره بين قاتل وخاذل ، وانت تتولى أباك ، وطلحة ، وعثمان ، فكيف ولاية قاتل متعمد ، ومقتول فى دين واحد ، ولقد ملك علي بعده فنفى الشبهات واقام الحدود ، واجرى الاحكام مجاريها ، وأعطى الامور حقها فيما عليه وله ، فبايعه أبوك ، وطلحة ثم خلعا بيعته ظالمين له ، وان القول فيك وفيهما ، لكما قال ابن عباس رحمه الله : إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا ، لقد كفرتم بقتال المؤمنين وائمة العدل ، وان كان كافرا كما زعمتم ، وفي الحكم جائرا ، لقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ، ولقد كنت له عدوا ، ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد موته .

وكتب نجدة ، وكان من الصفرية العقدية ، الي نافع بن الازرق لما بلغه عنه استعراضه للناس وقتله الاطفال ، واستحلاله الامانة ، بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد ، فان عهدى بك وانت لليتيم كالاب الرحيم ، وللضعيف كالاخ البر ، لا تأخذك فى الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ، فلما شريت

نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه، واصبت من الحق فصه، تجرد لك الشيطان فلم يكن احد أثقل وطأة عليه منك ومن اصحابك، فاستمالك واستغواك فغويت، وأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم، فقال جل ثناؤه وقوله الحق، ووعده الصدق: « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » ثم سماهم أحسن الاسماء فقال: « ما على المحسنين من سبيل » ثم استحللت قتل الاطفال، وقد نهي رسول الله ﷺ عن قتلهم. وقال جل ثناؤه: « ولا تزر وازرة وزر اخري » وقال في القعد خيرا، وفضل الله من جاهد عليهم، ولا يدفع منزلة من اكثر الناس عملا، منزلة من هو دونه، أو ما سمعت قوله تبارك وتعالى: « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » فجعلهم من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين باعمالهم ورأيت أن لا تؤدى الامانة الي من يخالفك والله يامر أن تؤدى الأمانات الي أهلها، فاتق الله، وانظر لنفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئا، فان الله بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل، والسلام.

فكتب اليه نافع بن الازرق: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد أتاني كتابك تعظني فيه، وتذكرني وتنصح لي، وتزجرني وتصف ما كنت عليه من الحق، وما كنت أوثره من الصواب، وأنا أسأل الله أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وعبت على مادنت به من إكفار القعد، وقتل الاطفال، واستحلال الامانة، وسأفسر لك ذلك ان شاء الله

أما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله ﷺ لانهم

كانوا بمكة مقهورين محصورين لايجدون الى الهرب سبيلا ،ولاالى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد فقهوا فى الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت مايقول الله لمن كان مثلهم ، اذ قال : (الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقال : (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) وقال : (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم) فسماهم بالكفر ،وأما أمر الإطفال ،فان نبي الله نوحا كان أعرف بالله يانجدة منى ومنك فقال : (رب لاتذر على الارض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الافاجراً كفاراً)فسماهم بالكفر وهم اطفال ،وقبل ان يولدوا ،فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ،ولا يجوز فى قومنا والله يقول:(أ كفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر) وهؤلاء كمشركي العرب ، لاتقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم الاالسيف أو الاسلام ،واما استحلال أمانات من خالفنا ، فان الله عز وجل احل لنا اموالهم كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طلق ، واموالهم فىء للمسلمين ،فاتق الله وراجع نفسك ، فانه لاعذر لك الا بالتوبة ، ولا يسعك خذلاننا ،والقعود دوننا والسلام على من اقر بالحق وعمل به .

وكان مرداس ابو بلال من الخوارج ، وكان مستترا ، فلما رأى جد ابن زياد فى قتل الخوارج وحبسهم قال لاصحابه : انه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا احكامهم ، مجانبين للعدل ، مفارقين للفصل ، والله ان

الصبر على هذا لعظيم ، وان تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم ، ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ، ولا نقاتل الا من قاتلنا ، فاجتمع عليه اصحابه وهم ثلاثون رجلا ، فأرادوا أن يولوا أمرهم حريث بن حجل فأبي ، فولوا أمرهم مرداسا أبا بلال ، فلما مضي بأصحابه ، لقيه عبدالله بن رباح الانصارى ، وكان له صديقا فقال له : ياأخي أين تريد ؟ قال : أريد أن أهرب بديني ودين اصحابى هؤلاء من أحكام الجورة والظلمة ، فقال له : أعلم بكم أحد ؟ قال : لا ، قال فارجع قال: أو تخاف علي مكروها ؟ قال : نعم ، قال : فلا تخف ، فانى لا أجرد سيفا ، ولا أخيف أحدا ، ولا أقاتل الا من قاتلني ثم مضي حتي نزل آسك ، وهو مابين رامهر مز وأرجان ، فمر به مال يحمل الى ابن زياد ، وقد بلغ اصحابه اربعين رجلا ، فحط ذلك المال ، وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ، ورد الباقي على الرسل ، وقال : قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا ، فقال بعض اصحابه فعلام ندع الباقى ؟ فقال : انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم . ولأبي مرداس هذا أشعار في الخروج منها قوله:

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى وممن خاض في تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء او أرجى سلامة وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتي وبصيرتي وهب لي التقى حتى ألاقي اولئكا

وقالوا ان رجلا من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا فى جيش نريد خراسان ، فمررنا بآسك ، فاذا نحن بمرداس وأصحابه وهم اربعون رجلا ، فقال : أقاصدون لقتالنا أنتم ؟ قلنا لا انما نريد خراسان ، قال : فابلغوا من لقيتم انا لم نخرج لنفسد فى الارض ، ولا لنروع أحدا ، ولكن هربا من الظلم

ولسنا نقاتل الا من قاتلنا ، ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ، ثم قال : أندب لنا أحد ؟ فقلنا : نعم أسلم بن زرعة الكلابى ، قال : فتى ترونه يصل الينا ؟ قلنا له : يوم كذا وكذا ، فقال أبو بلال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وندب عبد الله بن زياد ، أسلم بن زرعة الكلابي ، ووجهه اليهم فى الفين ، فلما صار اليهم ، صاح به أبو بلال ، اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ، ولا نحتجن مالا ، فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن أردكم الي ابن زياد قال : اذاً يقتلنا ، قال : وان قتلكم ، قال : أفتشركه فى دمائنا ؟ قال : نعم ، انه محق وانتم مبطلون قال أبو بلال : وكيف هو محق وهو فاجر يطيع الظلمة ، ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو واصحابه ، فلما ورد على ابن زياد ، غضب عليه غضباً شديداً ، وقال : انهزمت وأنت فى الفين عن اربعين رجلا ؟ فقال له أسلم : والله لئن تذمني حيا ، احب الى من ان تحمدني ميتا ، وكان اذا خرج الي السوق ومر بالصبيان ، صاحوا به أبو بلال وراءك ، حتى شكا الي ابن زياد فامر الشرط ان يكفوا الناس عنه .

٧ جامع الاداب

١ ﴿ أدب الله لنبيه ﷺ ﴾

قال أبو عبد الله احمد بن محمد : أول مانبدأ به أدب الله لنبيه ﷺ ، ثم أدبه ﷺ لامته ، ثم الحكماء والعلماء ، وقد أدب الله نبيه بأحسن الاداب كلها فقال له : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا) فنهاه عن التقتير ، كما نهاه عن التبذير ، وأمره بتوسط

الحالتين كما قال عز وجل: (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقد جمع الله تعالي لنبيه ﷺ جوامع الكلم، فى كتابه المحكم، ونظم له مكارم الاخلاق كلها فى ثلاث كلمات فقال : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) في أخذه العفو صلة من قطعه، والصفح عمن ظلمه، وفي الامر بالمعروف تقوي الله، وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب، وفى الاعراض عن الجاهلين، تنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللجوج، ثم أمر تبارك وتعالي فيما أدبه باللين فى عريكته، والرفق بامته، فقال : (واخفض جناحك لمن اتبعك من من المؤمنين) وقال : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقال تبارك وتعالى : (ولا تستوي الحسنه ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذوحظ عظيم) فلما وعي عن الله عز وجل، وكملت فيه هذه الآداب، قال الله تبارك وتعالي : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم، فان تولوا فقل حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)

٢ ﴿ آداب النبي ﷺ لامته ﴾

قال النبي ﷺ، فيما ادب به امته وحضها عليه من مكارم الاخلاق، وجميل المعاشرة، واصلاح ذات البين، وصلة الارحام : « أوصاني ربي بتسع أوصيكم بها، أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغني والفقر، وان أعفوا عمن ظلمنى، وأعطى من

حرمني ، وأصل من قطعني وان يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا » وقد قال ﷺ : « نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال و كثرة السؤال » وقد قال ﷺ « لا تقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتم فغضوا الابصار ، وافشوا السلام ، واهدوا الضلال ، وأعينوا الضعيف » وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » وقال: «لا تجن يمينك على شمالك ، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وقال: « المرء كثير باخيه» وقال : « أفضل الاصحاب من اذا ذكرت أعانك ، واذا نسيت ذكرك » وقال : « لا يؤمن ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه» وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي مالى وانما له من ماله ما أكل فافني أو لبس فابلى أو وهب فأمضى» وقال: « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » وقال : «لو تكاشفتم ما تدافنتم ، وما هلك امرء عرف قدره » وقال: «الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ، والناس كلهم سواء كاسنان المشط » وقال : « رحم الله عبدا قال خيرا فغنم ، أو سكت فسلم »

٣ ﴿ فى آداب الحكماء والعلماء ﴾

« فى فضيلة الادب » — أوصي بعض الحكماء بنيه فقال : الادب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الاحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويعز بلا عشيرة ، ويكثر الانصار لغير رزية ، فالبسوه حلة وتزينوه خلة ، يؤنسكم فى الوحشة ، ويجمع لكم القلوب المختلفة . وقال شبيب ابن شبة: اطلبوا الادب ، فانه مادة للعقل، ودليل على المروءة وصاحب في الغربة ومؤنس في الوحشة، وصلة فى المجلس. وقال عبد الملك بن مروان

لبنيه : عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا ، وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا . وقال بعض الحكماء : اعلم ان جاها بالمال ، انما يصحبك ما صحبك المال ، وجاها بالادب ، غير زائل عنك . وقال ابن المقفع : اذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان ، فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهما ، ليعجبك اذا اكرموك لدين أو أدب . وقال الاحنف بن قيس : رأس الادب المنطق ، ولا خير بقول الا بفعل ، ولا فى مال الا بجود ، ولا في صديق الا بوفاء ، ولا فى فقه الا بورع ، ولا فى صدق الا بنية . وقال بزرجمهر : ما ورث الآباء الابناء شيئاً خيرا من الادب ، لان بالادب يكسبون المال ، وبالجهل يتلفونه . وقال الفضيل بن عياض : رأس الادب معرفة الرجل قدره . وقالوا : حسن الخلق خير قرين ، والادب خير ميراث والتوفيق خير قائد . وقال سفيان الثوري : من عرف نفسه لم يضره ماقال الناس فيه . وقالت الحكماء : اذا كان الرجل طاهر الاثواب ، كثير الآداب ، حسن المذهب ، تأدب بأدبه ، وصلح بصلاحه جميع أهله وولده قال الشاعر :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ويفسدهم رب الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد

٤ ﴿ فى رقة الادب ﴾ — قال أبو بكر بن أبي شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ . قال : هو أكبر مني ، وأنا أسن منه . وقيل لعمر بن ذر : كيف بر ابنك بك ؟ قال : مامشيت نهارا قط الا مشي خلفي ، ولا ليلا الا مشى أمامى ، ولا رقي علية وأنا تحته . ومن حديث عائشة قالت : مارأيت رسول الله ﷺ ، يبجل أحداً تبجيله لعمه العباس ، وكان

عمر ، وعثمان ، إذا لقيا العباس نزلا إعظاما له إذا كانا راكبين

٥ ﴿ فى الادب فى الحديث والاستماع ﴾ — قالت الحكماء : رأس الادب كله حسن الفهم والتفهم ، والاصغاء للمتكلم . وقال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان : والله ماعلمته الا آخذاً بثلاث ، تاركا لثلاث ، آخذاً بحسن الحديث اذا حدث ، وبحسن الاستماع اذا حدث ، وبأيسر المؤنة اذا خولف ، تاركا لمجاوبة اللئيم ، ومماراة السفيه ، ومنازعة اللجوج . وقال بعض الحكماء لابنه : يابني تعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الحديث ، وليتعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع ، منك على أن تقول ، فاحذر أن تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل ، حتي يعلم الناس انك الى فعل مالم تقل ، أقرب منك الي قول مالم تفعل . قالوا : من حسن الأدب أن لا تغالب أحداً على كلامه ، واذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، واذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تره أنك تعلمه ، واذا كلمت صاحبك ، فاخذته حجتك ، فحسن مخرج ذلك عليه ، ولا تظهر الظفر به ، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام . وقال الحسن البصرى : حدثوا الناس ماقبلوا عليكم بوجوههم

٦ ﴿ فى المجالسة ﴾ — قال المهلب بن ابي صفرة : العيش كله فى الجليس الممتع . أبو أمامة قال : خرج الينا النبي ﷺ ، فقمنا اليه ، فقال : لاتقوموا كما تقوم العجم لعظمائها ، فما قام اليه أحد منا بعد ذلك . وحدث ابن عمر ، أن النبي ﷺ قال : إن خرجت عليكم وأنتم جلوس « فلا يقومن أحد منكم فى وجهى ، وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلست فكما أنتم ، فان ذلك خلق من أخلاق المشركين » . وقال سعيد بن العاض : مامددت رجلي قط بين يدى

جليسي ،ولا قمت حتى يقوم . وقال ابراهيم النخعى . إذا دخل أحدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه أهله . وطرح أبو قلابة لرجل جلس اليه وسادة فردها ، فقال :أما سمعت الحديث ؟ لا ترد على أخيك كرامته . وقال الحسن مجالسة الرجل من غير ان يسئل عن اسمه واسم ابيه مجالسة النوكي : ولذلك قال شبيب بن شبة ، لابى جعفر ، ولقيه فى الطواف وهو لايعرفه ، فأعجبه حسن هيئته وسمته ،اصلحك الله ،إني احب المعرفة،وأجلك عن المسئلة، فقال : انا فلان بن فلان . ذكروا انه كان يوما ابو السمراء عند الله بن طاهر ، وعنده اسحاق بن ابراهيم ، فاستدني عبد الله اسحق فناجاه بشى وطالت النجوي بينهما ، قال، فاعترتنى حيرة فيما بين القعود على ماهما عليه ، والقيام حتي انقطع ماينهما، وتنحى اسحاق الي موقفه ، ونظر عبدالله الى فقال

اذا النجيان سرا عنك امرهما فابرح بسمعك بجهل ما يقولان
ولا تحملهما ثـقلا لخوفهما على تناجيهما بالمجلس الداني

فما رأيت أكرم منه ، ولا أرفق ادبا ، ترك مطالبتي فى هفوتي بحق الادباء ، وأدبني أذب النظراء .

٧ ﴿ فى الادب فى المماشاة ﴾ — وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة ، ووجه معه ابن اخيه ، وأوصى كل واحد منهما بصاحبه ، فلما قدما عليه قال لابن اخيه : كيف رأيت ابن عمك ؟ فقال : إن شئت أجملت وان شئت فسرت ، قال: بل أجمل ؟ قال : عرضت بيننا جادة ، فتركها كل واحدمنا لصاحبه فما ركبناها حتى رجعنا اليك . وقال يحى بن أكثم : ماشيت المأمون يوما من الايام فى بستان مؤنسة بنت المهدى ، فكنت من الجانب الذي

يستره من الشمس ، فلما انتهى الى آخره ، وأراد الرجوع ،أردت ان أدور الي الجانب الذي يستره من الشمس ، فقال : لا تفعل ، ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتني ، فقلت : يا أمير المؤمنين لو قدرت أن اقيك حر النار لفعلت ، فكيف الشمس ؟ فقال : ليس هذا من كرم الصحبة ، ومشي سائرا لى من الشمس كما سترته .

٨ ﴿ فى تأديب الصغير ﴾ — قالت الحكماء : من أدب ولده صغيراً سربه كبيرا . وقالوا : اطبع الطين ما كان رطبا ، واغمز العود ما كان لدنا . وقالوا : من أدب ولده غم حاسده . وقال ابن عباس : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب ، قال الشاعر :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا   فمطلبها كهلا عليه شديد

وقالوا : ما أشد فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم . وقال صالح بن عبد القدوس :

وان من أدبته في الصبا   كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا   بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه   حتي يواري في ثري رمسه
اذا ارعوي عاد له جهله   كذي الصبا عاد الى بلسه
ما يبلغ الاعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال عمر بن عتبة لمعلم ولده : ليكن أول اصلاحك لولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقوده بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم

منهم فيهجروه ، روهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه ، فان ازدحام الكلام في القلب ، مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتوكل على عذر مني لك ، فقد اتكلت على كفاية منك .

٩ ﴿ في حب الولد ﴾ — أرسل معاوية الي الاحنف بن قيس ، فقال : يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن له أرض ذليلة وسماء ظليلة ، فان طلبوا فأعطهم ، وان غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك ، فقال : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على واني لمملوء غضبا على يزيد ، فسللته من قلبي ، فلما خرج الاحنف من عنده ، بعث معاوية الي يزيد بمائتي ألف درهم ، ومائتي ثوب ، فبعث يزيد الي الاحنف بمائة الف درهم ، ومائة ثوب ، شاطره البعثة . وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتي لامه الناس فيه فقال :

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والانف سالم

وقال : ان ابني سالما يحب الله حبا لو لم يخفه ماعصاه . ودخل عمرو ابن العاص ، على معاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال : من هذه ؟ فقال : تفاحة القلب ، فقال له : انبذها عنك ، فوالله انهن ليلدن الاعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن ، قال : لا تقل ذاك ياعمرو ، فوالله مامرض المرضى ، ولا ندب الموتي ، ولا أعان على الاحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع خاله . وقال المعلى الطائي :

لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض الي بعض
لـكان لى مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض
وإنمـا أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الارض

١٠ ﴿ الاعتضاد بالولد ﴾ — قال الله تبارك وتعالى، فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه اليه فى الولد : (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين) وقال : (وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدنك وليا ، يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) والموالى ههنا بنو العم . وقال الشاعر :

من كان ذا عضد عزت ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه اذا ماقل ناصره ويأنف الضيم ان أثرى له عدد

العتبى قال : لما أسن ابو براء عامر بن مالك ، وضعفه بنو أخيه وخرفوه، ولم يكن له ولد يحميه ، أنشأ يقول:

دفعتكم عني وما دفع راحة بشيء اذا لم تستعن بالانامل
يضعفني حلمى وكثرة جهلكم علي واني لا أصول بجاهل

١١ ﴿ فى التجارب والتأدب بالزمان ﴾ —قالت الحكماء: كفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الايام عظة . وقالوا : كفي بالدهر مؤدبا ، وبالعقل مرشدا . وقال حبيب:

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي أم استمت تأديبي فدهري مؤدبي

وقال ابراهيم بن شكلة :

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

كم قد أذلا كريم قوم ليس له منهما انتصار
من ذا يد الدهر لم تنله أو اطمأنت به الديار
كل عن الحادثات مغض وعنده للزمان ثار

وقال آخر:

وما أبقت لك الايام عذرا وبالايام يتعظ اللبيب

وقالوا: كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقي. وقالوا لعيسى بن مريم عليهما السلام: من أدبك؟ قال: ماأدبني أحد، رأيت الجهل قبيحافاجتنبته

١٢ ﴿في صحبة الايام بالموادعة﴾

قالت الحكماء: اصحب الايام بالموادعة، ولا تسابق الدهر فتنكب.

وقال الشاعر:

من سابق الدهر كبا كبوة لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا واجر مع الدهر كما يجري

وقال بشار العقيلي:

أعاذل ان العذر سوف يفيق وان يسارا من غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا صحوت وان مات الزمان أموت

وقال آخر

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ولاقهم بالجهل فعل ذوى الجهل
وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا يخلط في قول صحيح وفي هزل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

ومن أمثالهم في ذلك تطامن لهـا تخطك . ومن قولنا في هذا المعني

تطامن للزمان يجزك عفواً وان قالوا ذليل قـل ذليل

١٣ ﴿ في التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا ﴾

قالت الحكماء : اياك وما يعتذر منه . وقالوا من عرض نفسه للتهم ، فلا يأمن اساءة الظن وقالوا : حسبك من شر سماعه . وقالوا : كفى بالقول عاراً وان كان باطلا : وقال الشاعر:

ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء الي اهلها أسرع من منحدر سائل

وقال آخر:

قد قيل ماقيل انحقا وان كذبا فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وقال ارسطاطاليس للاسكندر : ان الناس اذا قدروا أن يقولوا ، قدروا أن يفعلوا ، فاحترس من أن يقولوا ، تسلم من أن يفعلوا . وقال امرؤ القيس: « وجرح اللسان كجرح اليد » وقال الاخطل : « والقول ينفذ مالا تنفذ الايدي » وقال يعقوب الحمدى:

وقد يرجي لجرح السيف برء ولا برء لما جرح اللسان

ولآخر:

قالوا ولو صح ما قالوا لفزت به من لي بتصديق ما قالوا وتكذيب

اول مختارات الجزء الثاني من العقد الفريد

١٤ ﴿ الادب في العيادة ﴾

مرض أبو عمر بن العلاء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فقال له : أريد أن أساهرك الليلة ، قال له : انت معافى وانا مبتلي ، فالعافية لا تدعك أن تسهر ، والبلاء لا يدعني ان انام ، واسأل الله ان يهب لاهل العافية الشكر ولاهل البلاء الصبر . ودخل كثير عزة ، على عبدالعزيز بن مروان وهو مريض فقال : لو ان سرورك لا يتم الا بان تسلم وأسقم ، لدعوت ربي أن يصرف ما بك الى ، ولكن اسأل الله لك ايها الامير العافية ، ولي في كنفك النعمة ، فضحك ، وأمر له بجائزة ، فخرج وهو يقول:

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطفي من طارفي وتلادي

وكتب رجل من أهل الادب الي عليل:

نبئت أنك معتل فقلت لهم نفسى الفداء له من كل محذور
ياليت علته بي ثم كان له أجر العليل وأني غير مأجور

وكتب آخر الي عليل:

وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمني لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

وقال بكر بن عبد الله ، لقوم عادوه فى مرضه ، فأطالوا الجلوس عنده: المريض يعاد ، والصحيح يزار . وقال سفيان الثوري : حمق القراء ، أشد على

المرضي من أمراضهم، يجيئون في غير وقت ، ويطيلون الجلوس. ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز ، يعوده في مرضه ، فسأله عن علته ،فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان ، ومات فلان ، فقال له عمر :اذا عدت المرضي ،فلا تنع اليهم الموتى ، واذا خرجت عنا ، فلا تعد الينا .وقال ابن عباس :اذا دخلتم على الرجل وهو في الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن ،ولقنوه الشهادة، ولا تضجروه . ومرض الاعمش ، فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله ، فكتب قصته في كتاب ، وجعله عند رأسه ، فاذا سأله أحد قال : عندك القصة في الكتاب فاقرأها .وأنشد محمد بن يزيد ، قال : انشدني أبو دهمان لنفسه، وقد دخل على بعض الامراء يعوده :

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد نقيك الذي تخفى من السقم أو تبدى
بنا معشر العواد مابك من أذي فان أشفقوا مما أقول فبي وحدي

١٥ ﴿ الادب فى اصلاح المعيشة ﴾

قالوا : من أشبع أرضه عملا ، أشبعته خبزا. وقالوا :يقول الثوب لصاحبه أكرمني داخلا ، أكرمك خارجا ، وقالت عائشة : المغزل بيد المرأة ، أحسن من الرمح بيد المجاهد فى سبيل الله . وقال عمر بن الخطاب : لاتنهكوا وجه الارض ، فان شحمها فى وجهها .

١٦ ﴿ أدب الملوك ﴾

قال العلماء : لا يؤمر ذو سلطان فى سلطانه ،ولا يجلس على تكرمته الا باذنه ودخل عبد الله بن عباس ، على معاوية ، وعنده زياد فرحب به معاوية ، ووسع له الى جنبه ، وأقبل عليه يسائله ويحادثه ، وزياد ساكت ، فقال له

ابن عباس : كيف حالك أبا المغيرة ؟ كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة ، فقال : لا ، ولكنه لايسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين ، قال ابن عباس : ما أدركت الناس الا وهم يسلمون على اخوانهم بين يدى أمرائهم ، فقال معاوية : كف عنه ياابن عباس ، فانك لاتشاء أن تغلب الا غلبت . وقالوا : اذا زادك الملك إكراما فزده إعظاما ، ولا تديمن النظر اليه ، ولا تكثر من الدعاء له فى كل كلمة ، ولا تتغير له اذا سخط ، ولا تغتر به اذا رضي ، ولا تلحف فى مسئلته . وقال أصحاب معاوية لمعاوية : انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك ، فانت تكره أن تستخف بنا فتأمرنا بالقيام ، ونحن نكره أن نثقل عليك بطول الجلوس ، فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك ، فقال . علامة ذلك ، أن أقول : اذا شئتم . وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية ، فقال : إذا قلت على بركة الله ، وقال عبد الملك بن مروان فى اربعة لايستحى من خدمتهم ، الامام ، والعالم ، والوالد ، والضيف .

١٧ ﴿ الكناية والتعريض ﴾

دخل حارثة بن بدر ، على زياد وفى وجهه أثر ، فقال له زياد ما هذا الاثر الذى فى وجهك ؟ قال : ركبت فرسى الاشقر فجمح بي ، فقال : اما انك لو ركبت الاشهب لما فعل ذلك ، فكني حارثة بالاشقر عن النبيذ ، وكني زياد بالاشهب عن اللبن . ولما عزل عثمان بن عفان عمر بن العاص ، وولاها ابن أبى سرح دخل عمرو على عثمان وعليه جبة محشوة ، فقال له عثمان : ماحشو جبتك يا عمرو ؟ قال : أنا قال : قد علمت أنك فيها ثم قال له : يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك البانها ؟ فقال : لانكم أعجفتم أولادها ، فكني عثمان

عن خراج مصر باللقاح ، وكنى عمرو عن جور الوالي بعده ، وانه حرم الوزق أهل العطاء ، ووفره على السلطان .

١٨ ﴿ الكناية يوري بها عن الكذب والكفر ﴾

لما هزم الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث، وقتل أصحابه ، وأسر بعضهم كتب اليه عبد الملك بن مروان أن يعرض الاسرى على السيف ، فمن أقر منهم بالكفر خلي سبيله ، ومن أبي يقتله ، فاتي منهم بعامر الشعبي، ومطرف ابن عبد الله بن الشخير ، وسعيد بن جبير ، فاما الشعبي ومطرف فذهبا الي التعريض والكناية ، ولم يصرحا بالكفر ، فقبل كلامهما، وعفا عنهما واما سعيد بن جبير ،فأبى ذلك ، فقتل ، وكان مما عرض به الشعبي أنه قال : أصلح الله الامير ، نبا المنزل ، وانخزل بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، وا كتحلنا السهر ، وخبطتنا فتنة ، لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقوياء قال : صدق والله ، ما بروا بخروجهم علينا ،ولا قووا خليا عنه،ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله ، فقال له الحجاج : أتقر على نفسك بالكفر ؟ قال:ان من شق العصا، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وأخاف المسلمين ، لجدير بالكفر قال : خليا عنه ، ثم قدم اليه سعيد بن جبير، فقال له: أتقر على نفسك بالكفر قال : ما كفرت بالله مذ آمنت به ، قال : اضربوا عنقه.

١٩ ﴿ في الكناية والتعريض في طريق الدعابة ﴾ — سئل ابن سيرين عن رجل فقال : توفي البارحة ، فلما رأى جزع السائل ، قال : (الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) وانما أردت بالوفاة النوم. ومرض زياد ، فدخل عليه شريح القاضي يعوده ، فلما خرج ، بعث اليه مسروق بن

الاجدع يسأله كيف تركت الامير؟ قال: تركته يأمر وينهي ، فقال مسروق ان شريحا صاحب تعريض ، فاسألوه ، فسألوه ، قال : تركته يأمر بالوصية وينهي عن البكاء . ومر رجل من بني نمير ، برجل من بني تميم ، على يده بازي فقال التميمي للنميري : هذا البازي ، قال له النميري : نعم وهو يصيد القطا ، أراد التميمي قول جرير :

أنا البازي المطل على نمير　　أتيح لها من الجو انصبابا

وأراد النميري قول الطرماح .

تميم بطرق اللؤم أهدي من القطا　　ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ودخل رجل من محارب، علي عبد الله بن يزيد الهلالي، وهو والي ارمينية وقريب منه غدير فيه ضفادع ، فقال عبد الله بن يزيد : ما تركتنا شيوخ محارب ننام الليلة ، فقال له المحاربي : أصلح الله الامير، أو تدري لم ذلك؟ قال: ولم قال : لانها أضلت برقعالها ، قال :قبحك الله ، وقبح ماجئت به ،أراد ابن يزيد الهلالي قول الاخطل :

تنق بلا شيء شيوخ محارب　　وماخلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت　　فدل عليها صوتها حية البحر

واراد المحاربي قول الشاعر :

لكل هلالى من اللؤم برقع　　ولا بن هلال برقع وقميص

٢٠ ﴿ في الصمت ﴾

قال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله . وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي : كن على التماس الحظ بالسكوت ،أحرص منك على التماسه بالكلام ،

لأن البلاء موكل بالمنطق . وقال أبو الدرداء : انصف أذنيك من فيك ، فانما جعل لك أذنان اثنان وفم واحد ،لتسمع أكثر مما تقول . وقال المهلب بن أبي صفرة : لان أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه ، أحب الي من أن أرى للسانه فضلا على عقله . وقالوا : من ضاق صدره اتسع لسانه ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن ساء خلقه قل صديقه . وقال هرم بن حيان : صاحب الكلام بين منزلتين ، ان قصر فيه خصم ، وان أعرق فيه أثم . وقال شبيب بن شبة : من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها ، انقطع ضرها عنه ،

وقال الحسن بن هانيء:

خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
رب لفظ ساق آجا ل فئام وفئام
انما السالم من أل جم فاه بلجام

٢١ ﴿ في المنطق ﴾

قال الذين فضلوا المنطق : انما بعثت الانبياء بالكلام ، ولم يبعثوا بالسكوت وبالكلام وصف فضل الصمت ، ولم يوصف القول بالصمت ، وبالكلام يؤمر بالمعروف ، وينهي عن المنكر ، والبيان من الكلام ، هو الذى من الله به على عباده فقال : (خلق الانسان علمه البيان) والعلم كله لا يؤديه الي أوعية القلوب الا اللسان ، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ، ونفع الصمت خاص لفاعله ، قال : وأعدل شيء قيل فى الصمت والمنطق قولهم : الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام .

٢٢ ﴿ في الفصاحة ﴾

قال الله تبارك وتعالى : فيما حكاه عن نبيه موسي ﷺ ، واستيحاشه لعدم لعدم الفصاحة (وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني) وقال معاوية يوما لجلسائه : أى الناس أفصح ؟ فقال رجل من السماط : ياأمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رتة العراق ، وتياسروا عن كسكسة بكرة ، ونيامنوا عن قشقشة تغلب ، ليس فيهم غمغمة قضاعة ، ولا طمطمانية حمير ، قال : من هم ؟ قال : قومك ياأمير المؤمنين قريش ، قال : صدقت فمن أنت ؟ قال : من جرم ، قال الاصمعي : جرم فصحاء الناس . قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوى : التمتمة فى المنطق التردد فى التاء ، والفأفأة التردد فى الفاء ، والعقلة هى التواء اللسان عند ارادة الكلام ، والحبسة تعذر الكلام عند ارادته ، واللفف ادخال حرف فى حرف ، والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم ، واللكنة أن تعترض عند الكلام اللغة الاعجمية ، وسنفسر هذا حرفا حرفا ، وما قيل فيه ان شاء الله ، واللثغة أن يعدل بحرف الي حرف ، والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم ، والخنة أشد منها ، والترخيم حذف الكلام ، يقال رجل فأفاء تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط ، وخاتام ، قال الراجز :

يامي ذات الجورب المنشق أخذت خاتامى بغير حق

وقال آخر :

ليس بفأفاء ولا تمتام ولا محب سقط الكلام

وأما الرتة ، فانها تكون غريزية . وقال الراجز «ياأيها المخلط الارت»

ويقال انها تكثر في الاشراف ، وأما الغمغمة ، فانها قد تكون من الكلام وغيره ، لانها صورة لا يفهم تقطيع حروفها ، وأما كشكشه تميم ، فان بنى عمرو بن تميم ، اذا ذكرت كاف المؤنت ، فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج ، واما كسكسة بكر ، فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا ، كما فعل التميميون فى الشين ، وأما طمطمانية حمير ففيها يقول عنترة :

تأوى له حرف النعام كانها   حرف يمانية لاعجم طمطم

وكان صهيب ابو يحي رحمة الله ، يرتضخ لكنة رومية . وكان عبيد الله بن زياد ، يرتضخ لكنة فارسية ، من قبل زوج أمه شير ويه الاسواري . وكان زياد الاعجم وهو رجل من عبد القيس ، يرتضخ لكنة أعجمية . وأنشد المهلب فى مدحه إياه

فتي زاده السلتان فى الحمد رغبة   اذا غير السلتان كل جليل

يريد السلطان ، وذلك أن بين التاء والطاء نسبا ، لان التاء من مخرج الطاء وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن .

٢٣ ﴿ فى الاعراب واللحن ﴾

أبو عبيدة قال : مر الشعبي بقوم من الموالى يتذا كرون النحو ، فقال لهم : لئن أصلحتموه انكم لاول من أفسده . وقال الحجاج لابن يعمر : أتسمعنى ألحن ؟ قال : لا وربما سبقك لسانك ببعضه فى آن وآن ، قال : فاذا كان ذلك فعرفني . وقال عبد الملك بن مروان : أضر بنا فى الوليد حبنا له فلم نلزمه البادية . وقد يستثقل الاعراب في بعض المواضع ، كما يستخف

اللحن في بعضها ، وذلك أنه من حكي نادرة مضحكة وأراد أن يوفي حروفها حظها من الاعراب ، طمس حسنها ، وأخرجها عن مقدارها .

٢٤ ﴿ في اللحن والتصحيف ﴾

ـ كان بشر المريسي يقول لجلسائه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه واهنؤها ، فسمع قاسم التمار قوما يضحكون فقال : هذا كما قال الشاعر :

ان سليمي والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وبشر المريسي رأس في الرأي ، وقاسم التمار متقدم في أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر ، أعجب من لحن بشر .

٢٥ ﴿ في تكليف الرجل ما ليس من طبعه ﴾

قالوا : ليس الفقه بالتفقة ، ولا الفصاحة بالتفصح ، لانه لا يزيد متزيد في كلامه ، الا لنقص يجده في نفسه ، ومما اتفقت عليه العرب والعجم قولهم الطبع أملك . وقال حفص بن النعمان : المرء يضع نفسه ، فتى ما تبله ينزع الي العرق . وقال العرجي :

يا أيها المتحلي غير شيمته ومن شمائله التبديل والملق

ارجع الى خلقك المعروف ديدنه ان التخلق يأتي دونه الخلق

وقال آخر :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال آخر :

كل امريء راجع يوما لشيمته وان تخلق أخلاقا الي حين

وقال الخريمي :

يلام ابو الفضل في جوده وهل يملك البحر أن لا يفيضا

وقال آخر:

ولائمة لامتك يا فيض في الندى فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
أرادت لتثني الفيض من عادة له ومن ذا الذى يثني السحاب عن القطر

وقال حبيب:

تعود بسط الكف حتي لو انه ثناها لقبض لم تجبه أنامله

وقالوا: ان ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرب، فكان يصدر عن رأيه، ويتعرف اليمن من مشورته، ثم انه هلك ذلك الملك، وقام بعده ولده، فاعجب بنفسه، مستبدا برأيه ومشورته، فقيل له: أن اباك كان لا يقطع أمرا دونه، فقال: كان يغلط فيه وسأمتحنه بنفسي، فارسل اليه فقال له: أيهما أغلب على الرجل، الأدب أو الطبيعة؟ فقال له الوزير: الطبيعة أغلب، لانها أصل، والادب فرع، وكل فرع يرجع الي أصله، فدعا بسفرته فلما وضعت، أقبلت سنانير بايديها الشمع، ووقفت حول السفرة، فقال للوزير اعتبر خطأك وضعف مذهبك، متى كان أبو هذه السنانير شماعا؟ فسكت عنه الوزير وقال: أمهلني في الجواب الى الليلة المقبلة، فقال ذلك لك، فخرج الوزير فدعا بغلام له فقال: التمس لي فأرا واربطه في خيط وجئني به، فاتاه به الغلام، فعقده في سبنيته وطرحه في كمه، ثم راح من الغد الي الملك، فلما حضرت سفرته، أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها، فحل الوزير الفأر من سبنيته ثم القاه اليها فاستبقت السنانير اليه ورمت بالشمع حتي كاد البيت يضطرم عليهم نارا، فقال الوزير: كيف رأيت غلبة الطبع على الادب

ورجوع الفرع الي أصله ؟ قال : صدقت ، ورجع الى ما كان أبوه عليه معه فانما مدار كل شيء على طبعه ، والتكلف مذموم من كل وجه. وقالوا: من تطبع بغير طبعه ، نزعته العادة حتى ترده الي طبعه ، كما ان الماء اذا سخنته وتركته عاد الي طبعه من البرودة ، والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لا تثمر الا مرا

٢٦ ﴿ في ترك المشاراة والمماراة ﴾

دخل السائب بن صيفي على النبي ﷺ فقال : أتعرفني يا رسول الله ؟ قال : وكيف لا أعرف شريكي في الجاهلية ، الذي كان لا يشاري ولا يماري وقال ابن المقفع: المشاراة والمماراة يفسدان الصداقة القديمة، ويحلان العقدة الوثيقة ، وايسر ما فيهما انهما ذريعة الي المنافسة والمغالبة . وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى : لا تمار أخاك ، فاما أن تغضبه ، وإما أن تكذبه . وقال شاعرهم :

فاياك إياك المراء فانه الي السب دعاء وللصرم جالب

٢٧ ﴿ سوء الادب ﴾

دخل عروة بن مسعود الثقفي ، على النبي ﷺ ، فجعل يحدثه ويشير بيده اليه حتى تمس لحيته ، والمغيرة بن شعبة واقف بيده السيف فقال له : اقبض يدك عن لحية رسول الله قبل أن لا ترجع اليك ، فقبضها وقال الله تعالي: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا». وقال ابو بكر لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ قال : لا عافاك الله ، قال لقد علمتم لو كنتم تتعلمون ، قل لا وعافاك الله .

وكان فتى يجالس الشعبي ، وكان كثير الصمت ، فالتفت الي الشعبي فقال له : إني لأجد في قفاي حكة ! أفتأمرني بالحجامه ؟ فقال الشعبي : الحمد

لله الذى حولنا بعد الفقة الى الحجامة .

٢٨ ﴿ تحنك الفتى ﴾

قيل لعمر بن الخطاب : ان فلانا لا يعرف الشر ، قال :ذلك أحرى ان يقع فيه . وقال عمرو بن العاص : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، انما العاقل الذي يعرف خير الشرين ، ومثل ذلك قول الشاعر :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه كذلك بعض الشر أهون من بعض

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير ، فى غاية الفضل والدين، وكان لا يعرف الشر، فبينا هو جالس فى المسجد ، إذ أتي بعطائه، فقام الي منزله فنسيه، فلما صار الي بيته ذكره ، فقال لخادمه : اذهب الي المسجد فأتني بعطائى ، فقال له : وأين تجده ؟ قال: سبحان الله ، وبقى أحد يأخذ ماليس له ؟ وقال أبو أيوب: من أصحابي من أرتجي بركة دعائه ، ولا أقبل شهادته . وكانوا يستحسنون الحنكة للفتى ،والصبوة للحدث ، ويكرهون الشيب قبل اوانه، ويشبهون ذلك بيبوس الثمرة قبل نضجها، وان ذلك لا يكون الا من ضرر فيها . فأمتع الاخوان مجلسا ، وأكرمهم عشرة ، واشدهم حذقا ، وانبههم نفسا : من لم يكن بالشاطر المتفتك. ولا الزاهد المتنسك ، ولا الماجن المتطرف ، ولا العابد المتقشف

وقال عبد العزيز بن زرارة :

قد عشت فى الدهر اطوارا على طرق شتى فصادفت منه اللين والفظعا
كلا عرفت فما النعماء تبطرني ولا تخشعت من لأوائه جزعا
لا يملأ الأمر صدرى قبل وقعته ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

وقال آخر :

لئن كنت محتاجا الي الحلم انني | الي الجهل في بعض الاحايين أحوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحبا | ولكنني أرضي به حين احرج
فان قال قوم ان فيه سماجة | فقد صدقوا والذل بالحر أسمج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم | ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم | ومن شاء تعويجي فاني تعوج

٢٩ ﴿في الرجل النفاع الضرار﴾

يقال: أنه لخراج ولاج، وأنه لحول قلب، اذا كان متصرفا في أموره، نفاعا لأوليائه، ضرارا لأعدائه، واذا كان على غير ذلك، قيل: مايحلي ولا يمر، ولا يعد في العير ولا في النفير، وما فيه خير يرجي ولا شر يتقى: وقال رجل يذم قومه، وأغارت بنو شيبان على إبله فاستنجدهم فلم ينجدوه، وكان فيهم ضعف، فقال فيهم:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي | بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن | عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم | في النائبات على ما قال برهانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم | طاروا اليه زرافات ووحدانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد | ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته | سواهم من جميع الناس انسانا

ولم يرد بهذا أنه وصفهم بالحلم ولا بالخشية لله، وإنما أراد به الذل والعجز.
وقال آخر:

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى | لشرب صبوح او لشرب غبوق

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى　　لضر عدو او لنفع صديق

٣٠ ﴿ في طلب الرغائب واحتمال الرغائب ﴾

في كتاب للهند ، من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ، ومن ترك الأمر الذي لعله ان ينال منه حاجته ، مخافة ما لعله يوقاه ، فليس ببالغ جسيما، وان الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذكر ، خافض المنزلة ، فتأبى مروءته الا أن يستعلي ويرتفع ، كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها ، وتأبي الا ارتفاعا وذو الفضل لا يخفى فضله وإن أخفاه كالمسك الذي يختم عليه ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكي والظهور . وقالوا : لا ينبغي للعاقل أن يكون الا في احدي منزلين إما في الغاية من طلب الدنيا ، وإما في الغاية من تركها، ولا ينبغي له أن يرى الا في مكانين ، إما مع الملوك مكرما ، وإما مع العباد متبتلا ، ولا يعد الغرم غرما اذا ساق غنما ، ولا الغنم غنما إذا ساق غرما . ونظر معاوية الي عسكر علي رضي الله عنه يوم صفين ، فقال : من طلب عظيما خاطر بعظيمته ، وأشار الي رأسه . وقال حبيب الطائي :

أعاذلتي ما أخشن الليل مركبا　　وأخشن منه في الملمات راكبه

ذريني وأهوال الزمان أقاسها　　فأهواله العظمى تليها رغائبه

ومما جبل عليه الحر الكريم أن لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة بشيء مما انبسط له ، أملا فيما هو أسني منه درجة، وأرفع منزلة، ولذلك قال عمر ابن عبد العزيز لدكين الراجز : ان لي نفسا تواقة ، فاذا بلغك أني صرت الى اشرف من منزلتي، فبعين ماأزينك قال له ذلك وهو عامل سليمان بن عبد الملك، فلما صارت اليه الخلافة قدم عليه دكين، فقال له : أناكما أعلمتك ان

لي نفسا تواقة وان نفسي تاقت الى أشرف منازل الدنيا ، فلما بلغته وجدتها تتوق الي أشرف منازل الاخرة . ومن الشاهد لهذا المعنى ان موسى صلوات الله عليه لما كلمه الله تكليما سأله النظر اليه إذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التي نالها فانبسط أمله الي مالا سبيل اليه ليستدل بذلك ان الحر الكريم لا يقنع بمنزلة اذا رأي ماهو أشرف منها . وقال تأبط شرا في ابن عم له يصفه بركوب الأهوال وبذل الاموال :

واني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك
أهز به في ندوة الحى عطفه كما هز عطفى بالهجان الاوارك
قليل التشكي للملم يصيبه كثير النوي شتى الهوى والمسالك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي بمنخرق من شد المتدارك
يظل بموماة ويمسي بغيرها وحيدا ويعروري ظهور المهالك
اذا خاط عينيه كري النوم لم يزل له كالىء من قلب شيحان فاتك
اذا هزه في عظم قرن تهللت نواجذ أفواه المنايا الضواحك

وقال امرؤ القيس :

فلو أن ماأسعي لادني معيشة كفاني ولم اطلب قليلا من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

٣١ ﴿ في الحركة والسكون ﴾

قال وهب بن منبه : مكتوب في التوراة ابن آدم خلقت من الحركة فتحرك وانا معك . وفي بعض الكتب ، ابن آدم امدد يدك الي باب من العمل ، افتتح لك بابا من الرزق . وقيل لأعشى بكر : الى كم هذه النجعة

والاغتراب؟أما ترضي بالخفض والدعة ، فقال: لو دامت الشمس عليكم لمللتموها أخذه حبيب فقال:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة الي الناس اذ ليست عليهم بسرمد

قال ابو سعيد احمد بن عبد الله المكي : سمعت الشافعي يقول : قلت بيتين من شعر وانشده :

إني أري نفسي تتوق الي مصر ومن دونها خوض المهامه والقفر
فوالله ماأدرى الي الخفض والغنى أقاد اليها أم أقاد الى قبري ؟

فدخل مصر فمات . وقال المأمون : لا شيء ألذ من سفر في كفاية ، لأنك في كل يوم تحل محلة لم تحلها ، وتعاشر قوما لم تعاشرهم. وقال الشاعر

لا يمنعنك خفض العيش في دعة من أن تبدل أوطانا باوطان
تلق بكل بلاد ان حللت بها أهلا باهل واخوانا باخوان

مع ان المقام بالمقام الواحد يورث الملالة . وبعد فهل يجوز في وهم ، أو يتمثل في عقل ، أو يصح في قياس ،أن يحصد زرع بغير بذر ؟ أو تجنى ثمرة بغير غرس ؟ أو يوري زند بغير قدح ؟ أو يثمر مال بغير طلب ؟

٣٢ ﴿ التماس الرزق وما يعود على الاهل والولد ﴾

قال النبي ﷺ: « العائد على اهله وولده كالمجاهد الرابط في سبيل الله» وقال ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول» وقال عمر ابن الخطاب . لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم

من بعض ، وتلا قول الله جل وعلا (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال محمد بن ادريس الشافعي : احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس ، فانه لا سبيل الي السلامة من ألسنة العامة . ومثله قول مالك بن دينار : من عرف نفسه لم يضره ماقال الناس فيه. وقال عمر بن الخطاب. يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس . وقال عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . ومر المسيح برجل من بنى اسرائيل يتعبد فقال ما تصنع ؟ قال : أتعبد، قال . ومن يقوم بك؟ قال. أخى ، قال : أخوك أعبد منك . وقد جعل الله طلب الرزق مقصورا على الخلق كله، من الانس والجن، والطير، والهوام، منهم بتعليم ومنهم بالهام وأهل التحصيل والنظر، يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز، وأهل العجز والكسل ، يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال، والخلابة والاحتيال

٣٣ ﴿ فضل المال ﴾

قال الله تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وقال النبي ﷺ للمجاشعي : « إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك دين فلك كرم » وفى كتاب الادب للجاحظ : اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم ، وعون على الدين ، وتأليف للاخوان ، وان من فقد المال قلت الرغبة اليه ، والرغبة منه ، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به ، فاجهد جهدك

كله فى أن تكون القلوب معلقة منك برغبة ، أو رهبة ، فى دين أو دنيا ، وقال حكيم لابنه : يابنى عليك بطلب المال ، فلو لم يكن فيه الا أنه عز فى قلبك ، وذل فى قلب عدوك لكفي . وقالت الحكماء : لاخير فيمن لايجمع المال يصون به عرضه ، ويحمي به مروءته ، ويصل به رحمه . وقال عبدالرحمن ابن عوف: ياحبذا المال ، أصون به عرضي ، وأتقرب به الى ربى. وقال عروة ابن الورد :

ذريني للغني أسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له كرم وخير
يباعده القريب وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ولكن للغنى رب غفور

وقال آخر :

سأكسب مالا أو أموت ببلدة يقل بها قطر الدموع على قبري

وقال آخر :

سأعمل نص العيس حتي يكفنى غنى المال يوما أوغني الحدثان
فللموت خير من حياة يري لها على المرء بالاقلال وسم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقاله وإن لم يقل قالوا عديم بيان

وانشد أبو ملجم ، لرجل من ولد قيس بن عاصم :

وكنت اذا خاصمت خصما كببته على الوجه حتي خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت على وقالوا قم فانك ظالم

وانشد الرياشي

لم يبق فى طلب الغنى الا التعرض للحتوف
فلأقذفن بمهجتى بين الاسنة والسيوف
ولأطلبن ولو رأيـ ـت الموت يلمع فى الصفوف

٣٤ ﴿تدبير المال﴾

قالوا : لا خرق ولا عيلة علي مصلح ، وخير المال ما أطعمك ، لا ما أطعمته . وقال صاحب كليلة ودمنة : لينفق ذو المال ماله فى الصدقة إن أراد الآخرة ، وفي مصانعة السلطان إن أراد الذكر . وقال : ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ، ولا يدركها الا باربعة ، فاما الثلاثة التي تطلب ، فالسعة فى المعيشة ، والمنزلة فى الناس ، والزاد الي الآخرة ، واما الاربعة التى تدرك بها هذه الثلاثة ، فاكتساب المال من أحسن وجوهه ، وحسن القيام عليه ، ثم التشمير له ، ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ، ويرضى الاهل والاخوان ويعود فى الآخرة نفعه ، فان أضاع شيء من هذه الاربعة ، لم يدرك شيئا من هذه الثلاثة ، فانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به ، وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه ، يوشك ان يفنى ويبقى بلا مال ، وإن هو أنفقه ولم يثمر ، لم ينفعه الانفاق من سرعة النفاد ، كالكحل الذى انما يؤخذ منه على الميل مثل الغبار ، ثم هو مع ذلك سريع نفاده ، وإن هو اكتسب وأصلح وثمر ولم ينفق الأموال فى أبوابها ، كان بمنزلة الفقير الذى لا مال له ، ثم لا يمنع ذلك ماله من ان يفارقه ، ويذهب حيث لا منفعة فيه كحابس الماء فى الموضع الذى تنصب فيه المياه ، ان لم يخرج منه بقدر ما

يدخل فيه ، تمصل وسال من نواحيه ،فيذهب المال ضياعا،وهذا يوافق قول الله تعالي: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله عز وجل ، لنبيه ﷺ : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »

سعد القصر ، قال : ولاني عتبة أمواله بالحجاز ،فلما ودعته قال لي: ياسعد تعاهد صغير مالي ، ولا تضيع كثيره فيصغر ، فانه ليس يشغلني كثير ما عندى عن إصلاح كثير مالي ، ولا يمنعني قليل ما فى يدى الصبر على كثير ما ينوبني، قال : فقدمت المدينة،فحدثت بها رجالات قريش،فقرقوا بها الكتب على الوكلاء.

٣٥ ﴿ الاقلال ﴾

قال ارسطاطاليس : الغنى في الغربة وطن ، والمقل في أهله غريب . أخذه الشاعر فقال :

لعمري ما الغريب بذى التنائى ... ولكن المقل هو الغريب
اذا ما المرء أعوز ضاق ذرعا ... بحاجته وأبعده القريب

وقال آخر :

فكل مقل حين يغدو لحاجة ... الى كل من يلقى من الناس مذنب
وكان بنو عمي يقولون مرحبا ... فلما رأوني مقترا مات مرحب

وقال أبو الشمقمق:

أتراني أرى من الدهر يوما ... لي فيه مطية غير رجلي
كلما كنت فى جموع فقالوا ... قربوا للرحيل قربت نعلى
حيثما كنت لا أخلف رحلا ... من رآنى فقد رآني ورحلى

وقال أيضا :

برزت عن المنازل والقباب ... فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماء الله أو قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتي ... على مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب ... يكون من السحاب الى التراب
ولا خفت الأباق على عبيدى ... ولا خفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوما قهر مانا ... محاسبة فأغلط في حسابي
وفى ذا راحة وفراغ بال ... فدأب الدهر ذا أبدا ودابى

٣٦ ﴿ السؤال ﴾

قال النبي ﷺ : « ليأخذن أحدكم أحبله فيحتطب بها على ظهره أهون عليه من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله ، أعطاه أو منعه » : وقال النعمان بن المنذر : من سأل فوق حقه استحق الحرمان ، ومن ألحف فى مسئلته استحق المطل ، والرفق يمن ، والخرق شؤم ، وخير السخاء ما وافق الحاجة ، وخير العفو مع المقدرة . وقال شريح : من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق ، فان قضاها المسئول منه استبعده بها ، وإن رده عنها رجع كلاهما ذليلا ، هذا بذل البخل ، وذلك بذل الرد . الحسني قال: قال أبو غسان أخبرنى أبو زيد ، قال : سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر ، فلم يعط شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجتي عالم لا تعلم ، أنت الذى لا يعوزك نائل ولا يحفيك سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل ، أسألك صبرا جميلا ، وفرجا قريبا ، وبصرا بالهدى ، وقوة فيما تحب وترضي ، فتبادروا اليه يعطونه ، فقال : والله

لا رزأتكم الليلة شيئا ، ثم خرج وهو يقول :

ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا النوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وشال كل نوال

ورأى على بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا يسأل بعرفات ، فقنعه بالسوط ، وقال : ويلك ، فى مثل هذا اليوم تسأل احداغير الله ؟ وقال عبيد بن الابرص :

من سأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

٣٧ ﴿ الشيب ﴾

قال قيس بن عاصم : الشيب خطام المنية . وقال غيره : الشيب نذير الموت . وقال النميري : الشيب عنوان الكبر . وقيل لرجل من الشعراء : عجل عليك الشيب ، فقال : وكيف لا يعجل وأنا أعصر قلبي فى عمل لا يرجى ثوابه ، ولا يؤمن عقابه . وقال محمود الوراق :

بكيت لقرب الأجل وبعد فوات الأمل .
ووافد شيب طرا بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

وقال العلوى :

عيرتنى بشيب رأسي نوار يا ابنة العم ليس فى الشيب عار
إنما العار فى الفرار من الزحف إذا قيل أين أين القرار

ومن قولنا فيه :

جار المشيب على رأسي فغيره لما رأي عندنا الحكام قد جاروا

كأنما جن ليل في مفارقه فاعتاقه من بياض الصبح اسفار

٣٨ ﴿ الشباب والصحة ﴾

قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكت العرب شيئاً ما بكت على الشباب، وما بلغت به ما يستحقه . وقال الاصمعي : أحسن أنماط الشعر المراثي والبكاء على الشباب . وقيل لكثير عزة : لم لا تقول الشعر ؟ قال ذهب الشباب فما أطرب ، ومات عبد العزيز فما أرغب . وقال عبد الله بن عباس: الدنيا العافية ، والشباب الصحة .

وقال ابن أبي حازم :

ولى الشباب فخلي الدمع ينهمل فقد الشباب بفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

ومن قولنا فيه :

قالوا شبابك قد مضت أيامه بالعيش قلت وقد مضت أيامي
لله أية نعمة كان الصبا لو أنها وصلت بطول دوام
حسر المشيب قناعه عن وجهه وصحا العواذل بعد طول ملام
فكان ذاك العيش ظل غمامة وكان ذاك اللهو طيف منام

٣٩ ﴿ فضيلة الشيب ﴾

قال النبي ﷺ : « من شاب شيبة في الاسلام ، كانت له نورا يوم القيامة » وقالوا : أول من رأي الشيب ابراهيم الخليل عليه السلام ، فقال : يارب ما هذا ؟ قال له : هذا الوقار، قال رب فزدني وقارا . وقال الوراق:

وعائب عابني بشيب لم يعد لما ألم وقته

فقلت للعائبي بشيبي ياعائب الشيب لابلغته

٤٠ ﴿ كبرة السن ﴾

قيل لاعرابي قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت تقيدني الشعرة ، وأعثر بالبعرة ، قد أقام الدهر صعري ، بعدأن أقمت صعره . وقال محمد بن حسان النبطي . لاتسأل نفسك العام ما أعطتك في العام الماضي. وقال معاوية لما أسن : مامرشيء كنت أستلذه اليوم وانا شاب ، فأجده اليوم كما أجده ، الا اللبن والحديث الحسن . عاش ضرار بن عمر ، حتي ولد له ثلاثة عشر ذكرا ، فقال : من سره بنوه ، ساءته نفسه ، وقال الشاعر:

من عاش اخلقت الايام جدته وخانه ثقتان السمع والبصر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال حميد بن ثور الهلالي

أري بصري قد رابني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال آخر

كانت قناتي لا تميل لغامز فألانها الأصباح والامساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء

٨ ﴿ كتاب الامثال ﴾

قد مضى قولنا في العلم والادب وما يتولد منهما ، وينسب إليهما ، من الحكم النادرة ، والفطن البارعة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، في الامثال التي هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحلى المعاني ، التي تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر ،

وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء سيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل أسير من مثل : ماأنت الا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله عز وجل الامثال فى كتابه ، وضربها رسول الله ﷺ فى كلامه ، قال الله عز وجل : (ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) وقال : (وضرب الله مثلا رجلين) ومثل هذا كثير فى آي القرآن . فأول مانبدأ به أمثال رسول الله ﷺ ، ثم امثال العلماء ثم العرب والشعراء وغيرهم

١ ـ أمثال رسول الله ﷺ . « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخية ، وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعوجوا » فالصراط الاسلام ، والستور حدود الله ، والابواب محارم الله ، والداعى القرآن ، وقال لابي سفيان « أنت أبو سفيان كما قالوا كل الصيد في جوف الفرا » وقال وذكر الربا فى آخر الزمان وافتتان الناس به « من لم يأكله أصابه غباره » وقال: « الحرب خدعة » وله غير ذلك كثير من الامثال ، وحكم الكلام .

٢ ـ أمثال روتها العلماء ـ خطب النعمان بن بشير على منبر الكوفة فقال:

ياأهل الكوفة ، اني وجدت مثلي ومثلكم كالضبع والثعلب ، أتيا الضب فى حجره فقالا أبا حِسْل . قال أجبتكما . قالا جئناك نختصم ، قال : فى بيته يؤتى الحكم ، قالت الضبع : فتحت عيني ، قال فعل النساء فعلت ، قالت فلقطت تمرة ، قال حلو جنيت ، قالت فاختطفها ثعالة ، قال على نفسه بغي قالت فلطمته لطمة ، قال حقا قضيت ، قالت فلطمني اخرى ، قال كان حرا فانتصر ، قالت فاحكم بيننا ، قال حدث امرأة حديثين وإن لم تفهم فاربعة .

٣ — مثل في الرياء — عن الشعبي ، أن رجلا من بني اشرائيل صاد قبرة ، فقالت ما تريد أن تصنع بي؟قال أذبحك فآكلك ، قالت والله لا أشفي من برم ، ولا أغني من جوع ، ولكني اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي ، أما الواحدة فاعلمكها وانا في يدك،والثانية اذا صرت على هذه الشجرة ، والثالثة إذا صرت علي الجبل ، فقال : هات قالت : لا تلهفن علي ما فاتك ، نخلي عنها ، فلما صارت فوق الشجرة، قال هات الثانية،قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ، ثم طارت فصارت على الجبل ، فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درة زنة عشرين مثقالا ، فعض على شفتيه وتلهف ، ثم قال هات الثالثة ، قالت : أنت قد نسيت الاثنين . فكيف أعلمك الثالثة ؟ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك فقد تلهفت علي إذفتك ، وقلت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ، وانا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالا ، فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها ؟

٤ — من ضرب به المثل من الناس — قالت العرب : أسخي من حاتم وأشجع من ربيعة بن مكلم ، وانكي من قيس بن زهير ، وأعز من كليب بن وائل ، وأوفى من السموأل ، واذكي من اياس، وأسود من قيس بن عاصم وأمنع من الحارث بن ظالم ، وأبلغ من سحبان وائل ، وأحلم من الاحنف ابن قيس ، وأصدق من ابي ذر الغفاري ، وأكذب من مسيلمة الحنفي وأعيي من باقل ، وأمضي من سليك المقانب ، وأنعم من خريم الناعم ، وأحمق من هبنقة ، وافتك من البراض

٥ - من يضرب به المثل من النساء - يقال : أشأم من البسوس ،

وأحمق من دغة ، وأمنع من أم قرفة ، وأبصر من زرقاء اليمامة .

٦ ـ ماتمثلوا به من البهائم ـ قالوا : أشجع من أسد ، وأجبن من الصافر ، وأمضى من ليث عرين ، وأحذر من غراب ، وأبصر من عقاب ، وأزهى من ذباب ، وأسمع من فرس ، وأنوم من فهد ، وأضرع من سنور ، وأظلم من حية ، وأحن من ناب .

٧ ـ ما ضرب به المثل من غير الحيوان ـ قالوا : أهدى من النجم وأجود من المطر ، وأسمح من البحر ، وأنور من النهار ، وأمضى من السيل وأحمق من رجلة ، وأحسن من دمية ، وأنزه من روضة وأوحش من مفازة ، وأثقل من جبل ، وأخف من ريش الحواصل .

٨ ـ ومما ضرب به المثل ـ قوس حاجب ، وقرط مارية ، وحجام ساباط ، وخفا حنين ، وحديث خرافة ، وشقائق النعمان ، وندامة الكسعي ، وكنز النطف ، وعطر منشم ، وأمثال العرب كثيرة لايحصيها العد وقد افرد لها الميداني كتابا نفيسا وكذلك المفضل الضبي وغيرهم .

٩ ﴿ كتاب المواعظ والزهد ﴾

قد مضى قولنا في الامثال ، ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه ، بالقول في الزهد ورجاله ، ونذكر المنتحل من كلامهم ، والمواعظ التي وعظت بها الأنبياء ، وجرت بين الحكماء والادباء ، ومقامات العباد بين يدي الخلفاء ، فأبلغ المواعظ كلام الله تعالى الاعز ، قال تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال جل ثناؤه : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) وفى القرآن الكريم

من ذلك الشيء الكثير .

١ ـ مواعظ الانبياء ـ قال ﷺ : « يكفى أحدكم من الدنيا قدر زاد الراكب » وقال : « أيها الناس ، أطعموا الطعام ، وافشوا السلام ، وصلوا والناس نيام » وقال عيسي عليه السلام: ألا أخبركم بخيركم مجالسة : قالوا بلي ، قال : من تذكركم بالله رؤيته . ويزيد فى عملكم منطقه ، ويشوقكم الي الجنة عمله ، وقال للحواريين :

عجبا لكم ، تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل . وقال داود عليه السلام : يارب ابن آدم ليس منه شعرة الا وتحتها لك نعمة ، وفوقها لك نعمة ، فمن أين يكافئك بما أعطيته؟ فأوحي اليه : إنى أعطى الكثير ، وأرضي منهم بالقليل، أوحى الله الي موسي عند الشجرة لا يعجبك زينة فرعون ولا ماتمتع به ، ولا تمدن الى ذلك عينك فانها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولكني أرغبتك عن ذلك، وأزويته عنك، فكذلك أفعل بأوليائى كما يحمي الراعي ذوده عن مبارك العارة.

٢ ـ مواعظ الحكماء ـ قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه : أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الابل لكان قليلا ، لا يرجون أحدكم الا ربه، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، واذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فاذا قطع الرأس ذهب الجسد .

وقال الحسن : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء ، اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات ،

لا تحملن على قلبك مالا تطيق ، ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ، ولا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وان كثر .

وقال ابن شبرمة : اذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة . وقال رجل لبعض الحكماء عظني ، قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك من حيث أمرك

٣ — مكاتبة جرت بين الحكماء ـ كتب الحسن الي عمر بن عبدالعزيز أما بعد : فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل والسلام . وكتب اليه : إن فيما أمرك الله به ، شغلا عما نهاك عنه والسلام

٤ — مواعظ الآباء للابناء ـ قال لقمان لابنه : استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر . وقال له : لا تضحك من غير عجب ، ولا تمشى فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك .

وقال أكثم بن صيفي: احذر الامين ، ولا تأمن الخائن ، فان القلوب بيد غيرك .

وقال خالد بن صفوان لابنه : دع من أعمال السر ، مالا يصلح لك في العلانية :

٥ مقامات العباد عند الخلفاء ـ قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي فقال له : من حجب الله عنه العلم ، عذبه على الجهل ، وأشد منه عذابا من أقبل اليه العلم فأدبر عنه، فاقبل ياأمير المؤمنين ماأهدي اليك من ألسنتنا ، قبول تحقيق وعمل ، لا قبول سمعة ورياء ، فانما هو تنبيه من غفلة ، وتذكير من سهو ، وقد قال الله تعالي لنبيه عليه الصلاة والسلام (وإما ينزغنك

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم)

٦ ـ من كلام الزهاد ـ قيل لقوم من العباد : ما أقامكم فى الشمس؟ قالوا : طلب الظل .

وقال رسول الله ﷺ : (حفت الجنة بالمكاره) وقيل لمسروق : لقد أضررت ببدنك ، قال : كرامته أريد . ومر أبو حازم بسوق الفاكهة ، فقال: موعدك الجنة . وقيل لاهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم؟ قالو : كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد ، وكان عطاء أفطس ، أسود ، أشل ، أعرج ، ثم عمى ، وأمه سوداء .

٧ ـ كيف يكون الزهد ـ قيل لرسول الله ﷺ : ماالزاهد في الدنيا؟ قال : أما انه ماهو بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال ، ولـكن أن تكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك ، وقيل للزهرى : ما الزهد؟ قال : أما إنه ليس تشعيث اللمة ، ولا قشف الهيئة ، ولـكنه صرف النفس عن الشهوة . وقيل لآخر ماالزهد؟ قال أن لا يغلب الحرام صبرك ، ولا الحلال شكرك .

٨ ـ ﴿صفة الدنيا﴾ ـ وصفها على بن أبي طالب فقال : ماأصف من دار أولها عناء وآخرها فناء ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر حزن وقال فيها أرسطاطاليس : ماأصف من دار أولها فوت . وآخرها موت ، وقال فيها المزنى : مامضي منها حلم ، وما بقى فأماني وقال المسيح عليه السلام : الدنيا لابليس مزرعة ، وأهلها له حراثون . وقال فيها ابو نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالـكين عريق

٩ — قولهم فى الخوف — سئل ابن عباس عن الخائفين لله فقال : هم الذين صدقوا الله فى مخـافة وعيده ، قلوبهم بالخوف فرحة ، واعينهم على أنفسهم باكية ، ودموعهم على خدودهم جارية، يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبور من أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي ربنا موقفنا .

١٠ — قولهم فى الرجاء — قال العلماء : لا نشهد على أحد من أهل القبلة بجنة ولا بنار ، يرجي للمحسن ويخـاف عليه ، ويخـاف علي المسيء ويرجي له . وفى الحديث : « لا تكفروا أهل الذنوب » ومن أحسن ما قيل فى الرجاء :

وإني لأرجو الله حتي كأنني أري بجميل الظن ما الله صانع

١١ — قولهم فى التوبة — قال المسيح لقوم يبكون من ذنوبهم : اتركوها تغفر لـكم .

وقال على بن أبى طالب : عجبا لمن يهلك ومعه النجاة ، قيل له وما هى؟ قال : التوبة .وقالوا : علامة التوبة الخروج من الجهل ، والندم علي الذنب ، والتجافى عن الشهوة ، وترك الـكذب ، والانتهاء عن الخلق السوء .

وقالوا : التائب من الذنب ، كمن لا ذنب له ، وأول التوبة الندم.

١٢ — البدار بالعمل الصالح — قال الله عزوجل : (وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة) وقال النبي ﷺ « ابن آدم ، اغتنم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل

موتك ، وغناك قبل فقرك » وكان خالد بن معدان يقول :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ندمت على التفريط فى زمن البذر

١٣ — العجز عن العمل — قال رجل للمورق العجلي : أشكو اليك نفسي، انها لا تريد الصلاة ولا تستطيع الصبر على الصيام ، قال : بئس الثناء أثنيت على نفسك ، فاذا ضعفت عن الخير ، فاضعف عن الشر ، وقال الحسن من كان قويا فليعتمد على قوته فى طاعه الله ، وان كان ضعيفا فليكف عن معاصي الله. وكان مالك بن دينار يقول : ما أشد فطام الكبير ، وينشد

أتروض عرسك بعد ماهرمت ومن العناء رياضة الهرم

١٤ — قولهم فى الموت — قال ابو العتاهية :

الناس فى غفلاتهم ورحى المنية تطحن

قال رجل للحسن : مات فلان فجأة ، قال لو لم يمت فجأة ، لمرض فجأة ومات . وقالوا : من جعل الموت بين عينيه ، لها عما فى يديه .

١٥ — قولهم فى الطاعون — قال النبي ﷺ » إذا سمعتم به فى أرض فلا تقدموا عليها ، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » وقال عمر رضى الله عنه لابى عبيدة : نعم نفر من قدر الله الي قدر الله .

١٦ — التهجد — قال المغيرة : قام النبي ﷺ . حتى ورمت قدماه ، وقال الله تعالي (وبالاسحار هم يستغفرون) وقالوا : الشتاء ربيع لابرار ، يطول ليلهم للقيام ويقصر نهارهم للصيام.

١٧ — البكاء من خشية الله — قال النبي ﷺ : « حرم الله على النار كل عين تبكي من خشية الله ،وعين غضت عن محارم الله » وقيل ليزيد بن مزيد

مابال عينك لاتجف ؟ قال : ان الله أوعدني إن عصيته أن يحبسني فى النار ، ولو أوعدني أن يحبسني فى الحمام لـكنت حريا أن لاتجف عيني . وكان يزيد الرقاشي قد بكي حتي سقطت أشفار عينيه .

١٨ـ النهي عن كثرة الضحك ـ فى الحديث « كثرة الضحك تميت القلب » وفيه « لو علمتم لبكيتم كثيراً ، ولضحكتم قليلا » وقال الشاعر :

وكم من فتي يمسى ويصبح آمنا　　وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

١٩ ـ القناعة ـ قال النبي ﷺ : «من أصبح وأمسى آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها »

وقال محمود الوراق :

أما عجب أن يكفل الناس بعضهم　　ببعض فيرضي بالـكفيل المطالب
وقد كفل الله الملى بنفسه　　فلم يرض والانسان فيه عجائب
عليم بأن الله موف بوعده　　وفي قلبه شك على القلب دائب
أبي الجهل إلا أن يصير بعلمه　　فلم يغن عنه علمه والتجارب

وقال: أتطلب رزق الله من عند غيره　　وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضي بصراف وإن كان مشركا　　ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

٢٠ ـ الرضا بقضاء الله ـ قالت الحـكماء : أصل الزهد الرضا عن الله. وقالوا : رب محسود على رخاء هو شقاؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه ، ومغبوط بنعمة هي بلاؤه . وقال الشاعر :

قد ينعم الله بالبلوي وان عظمت　　ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

٢١ـ من قتر على نفسه وترك المال لوارثه ـ قال مالك : من لم يكن فيه خير لنفسه ، لم يكن فيه خير لغيره . وقال أبو العتاهية :

أبقيت مالك ميراثا لوارثه فليت شعرى ماأبقى لك المال

وقيل لعبد الله بن عمر : توفى زيد بن حارثة ، وترك مائة الف ، قال لكنها لا تتركه .

٢٢ـ العزلة عن الناس ـ قال ﷺ : « استأنسوا بالوحدة عن الجلساء السوء »

وقال العتابى : مارأيت الراحة الا مع الخلوة ، ولا الانس الا مع الوحشه. وقال الشاعر:

قد بلوت الناس طرا لم أجد فى الناس حرا
صارأحلي الناس فى العيـ ـش إذا ما ذيق مرا

٢٣ـ إعجاب الرجل بعلمه ـ قال عمر : ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوي متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وقال عز وجل : (ألم تر الي الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء » وقال معاوية لرجل : من سيد قومك ؟ قال أنا : قال لو كنت كذلك لم تقله .

وقال النبى ﷺ : « إيا كم والشرك الاصغر ! قالوا وماالشرك الاصغر يارسول الله ؟ قال الرياء »

٢٤ ـ الدعاء ـ قال النبي ﷺ . « الدعاء سلاح المؤمن ! والدعاء يرد القدر ، والبر يزيد فى العمر » وقال:«الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد »

كيفية الدعاء ـ قال ابن عباس : الاخلاص هكذا ، وبسط يده اليسري

وأشار بأصبعه من يده اليمني ، والدعاء هكذا ، وأشار براحته الى السماء ، والابتهال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه ، وظهورهما الي وجهه .

اسم الله الاعظم ـ سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ! فقال : لقد سالت باسمه الاعظم . وقال اسم الله الاعظم فيما بين الايتين « وإلهكم اله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم ، وفاتحة آل عمران »

ـ الساعة التي يستجاب فيها الدعاء ـ أجمعت الصحابة رضوان الله عليهم أنها آخر ساعة من يوم الجمعة ،

١٠ التعازى والمراثي

قال احمد بن محمد بن عبد ربه : نحن قائلون بعون الله فى النوادب ، والمراثي ، والتهانى ، والتعازي ، بابلغ ماوجدناه من الفطن الذكية ، والالفاظ الشجية ، التى ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب ، فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآتم ، وتترك صدعا في القلوب الجلامد ، ونادبة تخفض من نشيجها ، وتقصد فى نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب . وقال الاصمعى : قلت لاعرابي ما بال المراثى أشرف أشعاركم ؟ قال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : كيف تجدك يابني ؟ قال : أجدنى في الموت فاحتسبني ، فان ثواب الله خير لك منى ، قال : والله يا بني ، لان

تكون في ميزاني ، أحب الي من أن أكون في ميزانك ، قال : وانا والله لان يكون ما تحب ، أحب الي من أن يكون ما أحب . لما احتضر عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، استأذن عليه مسلمة بن عبد الملك ، فاذن له وأمره ان يخفف الوقفة ، فلما دخل وقف عند رأسه، فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين عنا خيرا ، فلقد ألنت لنا قلوبا كانت علينا قاسية ، وجعلت لنا في الصالحين ذكرا . قالت عائشة أم المؤمنين : ما رأيت أحدا من خلق الله أشبه حديثا وكلاما برسول الله ﷺ ، من فاطمة ، وكانت اذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ، ورحب بها ، واجلسها في مجلسه ، وكان اذا دخل عليها قامت اليه ورحبت به ، وأخذت بيده فقبلتها ، فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فاسر اليها فبكت ، ثم أسر اليها فضحكت ، فقلت كنت أحسب لهذه المرأة فضلا عن النساء ، فاذا هي واحدة منهن ، بينما هي تبكي إذ هي تضحك ، فلما توفي رسول الله ﷺ ، سألتها فقالت: أسر الي فاخبرني أنه ميت فبكيت، ثم أسر الي أني أول أهل بيته لحوقا به فضحكت . لما احتضر عمرو بن العاص جمع بنيه فقال : يا بني ما تغنون عني من أمر الله شيئا قالوا : يا أبت إنه الموت ، ولو كان غيره لوقيناك بانفسنا ، فقال : اسندوني فاسندوه ، ثم قال : اللهم انك أمرتني فلم آتمر ، وزجرتني فلم أزدجر ، اللهم لا قوي فانتصر ولا بريء فاعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر ، أستغفرك وأتوب اليك لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، فلم يزل يكررها حتى مات

١ ﴿ الجزع من الموت ﴾

الفضيل بن عياض قال : ماجزع أحد من أصحابنا عند الموت ، ماجزع

سفيان الثوري ، فقلنا : ياأبا عبد الله ماهذا الجزع ؟ أليس تذهب الي من عبدته ، وفررت ببدنك اليه ؟ فقال : ويحكم ، إني اسلك طريقا لم أعرفه وأقدم على رب لم أره . ومر النبي ﷺ بنسوة من الانصار يبكين ميتا ، فزجرهن عمر ، فقال النبي ﷺ دعهن ياعمر ، فان النفس مصابة ، والعين دامعة ، والعهد قريب . وقال أبو بكر ابن عياش: نزلت بي مصيبة أوجعتني، فذكرت قول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي شجي البلابل

فخلوت ، فبكيت ، فسلوت . وقال الفرزدق في هذا المعنى :

ألم تر أني يوم جد سويقة ... بكيت فنادتني هنيدة ماليا

فقلت لها ان البكاء لراحة ... به يشتفي من ظن أن لاتلاقيا

نعيذ كما الله الذى أنتماله ... ألم تسمعا بالبيعتين المناديا

حبيب دعا والرمل بيني وبينه ... فأسمعني سقيا لذلك داعيا

يقال نعيذك الله ، معناه سألتك بالله . وكان النبي ﷺ إذا دخل المقبرة قال :«السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » ولما دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أقبل عبد الله بن مسعود ، وقد فاتته الصلاة عليه ، فوقف على قبره يبكي ويطرح رداءه ، ثم قال : والله لئن فاتتني الصلاة عليك ، لافاتني حسن الثناء ، أما والله لقد كنت سخيا بالحق ، بخيلا بالباطل ، ترضي حين الرضاء ، وتسخط حين السخط ، ما كنت عيابا ولا مداحا ، فجزاك الله عن الاسلام خيرا . ووقف علي بن أبي طالب عليه السلام على قبر خباب، فقال : رحم الله خبابا ، لقد اسلم راغبا ، وجاهد طائعا ،

وعاش مجاهدا ، وابتلي فى جسمه احوالا ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا . وقف الاحنف بن قيس ، على قبر ابن أخيه ، فأنشد

فو الله لا أنسي قتيلا رزئته بجانب قوسي مامشيت على الارض
بلى انها تعفو الكلوم وانما نوكل بالادني وان جل مايمضى

ووقف محمد بن الحنفية ، على قبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، فخنقته العبرة ، ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد ، فلئن عزت حياتك ، فلقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح ضمه بدنك ، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك ، وكيف لا يكون كذلك ، وأنت بقية ولد الانبياء ، وسليل الهدى ، وخامس اصحاب الكساء ، غذتك اكف الحق ، وربيت فى حجر الاسلام ، فطبت حيا ، وطبت ميتا ، وان كانت أنفسنا غير طيبه بفراقك ، ولا شاكة فى الخيار لك . ووقفت عائشة على قبر أبي بكر فقالت : نضر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها ، وكنت للآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزءك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر فيك ، وحسن العوض منك ، فأنا انتجز موعد الله بحسن العزاء عليك واستعيضه منك بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله ، توديع غير قالية لك ، ولا زارية على القضاء فيك ، ثم انصرفت . لما قبض أبو بكر سجى بثوب ، فارتجت المدينة بالبكاء عليه ، ودهش القوم كيوم قبض رسول الله ﷺ ، وجاء على ابن أبي طالب باكيا ، مسرعا ، مسترجعا ، حتى وقف بالباب وهو يقول: رحمك الله أبا بكر ، كنت والله أول القوم إسلاما ، وأخلصهم إيمانا ، وأشدهم يقينا ، وأعظمهم

غناء ، وأحفظهم على رسول الله ﷺ وأحربهم على الاسلام ، وأحناهم على أهله ، وأشبههم برسول الله ﷺ خلقا ، وفضلا ، وهديا ، وسمتا ، فجزاك الله عن الاسلام ، وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، سماك الله في كتابه صديقا ، فقال :(والذي جاء بالصدق وصدق به) يريد محمدا ويريدك ، كنت والله للاسلام حصنا ، وعلى الكافرين عذابا ، لم تفلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ، ولا تزيله القواصف ، كنت كما قال رسول الله : ضعيفا فى بدنك ، قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، قليلا فى الارض ، كثيرا عند المؤمنين ، لم يكن لاحد عندك مطمع ، ولا لاحد عندك هوادة ، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذله ، فلا أحرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك . المدائني قال : لما دفن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فاطمة عليها السلام ، تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الممات قليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل

وقف معاوية على قبر أخيه عتبة ، فدعا له ، وترحم عليه ، ثم التفت الى من معه فقال : لو أن الدنيا بنيت على نسيان الاحبة ، ما نسيت عتبة أبدا .

المراثى

من رثي نفسه وقبره ووصف ما يكتب على القبر

قال ابن قتيبة : ان أول من بكى على نفسه ، وذكر الموت في شعره ، يزيد

ابن خراق ، فقال :

هل للفتي من بنات الدهر من واق ... أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما بالشعر من شعث ... والبسوني ثيابا غير اخلاق
وطيبوني وقالوا أيما رجل ... وأدرجوني كأني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ... ليسندوا في ضريح القبر أطباقي
وقسموا المال وارفضت عوائدهم ... وقال قائلهم مات ابن خراق
هون عليك ولا تولع باشفاق ... فانما مالنا للوارث الباقي

وقال ابو ذؤيب الهذلي ، وكان له أولاد سبعة ، فماتوا كلهم إلا طفلا ، فقال يرثيهم :

أمن المنون وريبه يتفجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة مالجسمك شاحبا ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أو ما لجسمك لا يلائم مضجعا ... الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها اما لجسمي انه ... أودى بني من البلاد فودعوا
أودى بني وأعقبوني حسرة ... بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
سبقوا هواي وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع
فبقيت بعدهم بعيش ناصب ... وأخال أني لاحق مستتبع
ولقد حرصت بان ادافع عنهم ... واذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهم كأن حداقها ... سملت بشوك فهي عور تدمع
حتى كأني للحوادث مروه ... بصفا المشرق كل يوم تقرع

وتجلدى للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

وقال فى الطفل الذى بقى له

والنفس راغبة اذا رغبتها وإذا ترد الى قليل تقنع

وقال الاصمعى : هذا أبدع بيت قالته العرب . وقال اعرابي يرثي بنيه :

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدا فدينا وأعطينا كم ساكن الظهر
فيا ليت من فيها عليها وليت من عليها ثوي فيها مقيما الي الحشر
وقاسمني دهري بني بشطره فلما تقضى شطره مال فى شطري
فصاروا ديونا للمنايا ولم يكن عليهم لها دين قضوه على عسر
كأنهم لم يعرف الموت غيرهم فثكل على ثكل وقبر الي قبر
وقد كنت حى الخوف قبل وفاتهم فلما توفوا مات خوفى من الدهر
فلله ما أعطى ولله ما حوي وليس لايام الرزية كالصبر

وقيل لاعرابية مات ابنها : ما أحسن عزائك ؟ قالت : إن فقدى اياه ، آمنني كل فقد سواه ، وان مصيبتى به ، هونت على المصائب بعده ثم أنشأت تقول:

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا ر حفائر ومقابر
إني وغيرى لامحا لة حيث صرت لصائر

وقال أبو الخطار ، يرثى ابنه الخطار :

ألا خبراني بارك الله فيكما ... متى العهد بالخطار يا فتيان
فتي لا يري يوم العشاء غنيمة ... ولا ينثني من صولة الحدثان

وقال ابو الشغب يرثي ابنه شغبا :

قد كان شغب لو أن الله عمره ... عزا تزاد به فى عزها مضر
ليت الجبال تداعت قبل مصرعه ... دكا فلم يبق من احجارها حجر
فارقت شغبا وقد قوست من كبر ... بئس الخليطان طول الحزن والكبر

وقال اعرابي يرثى ابنه :

ولما دعوت الصبر بعدك والاسي ... أجاب الاسى طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه ... سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال اعرابي يرثى ابنه :

بني لئن ضنت جفون بمائها ... لقد قرحت مني عليك جفون
دفنت بكفي بعض نفسي فاصبحت ... وللنفس منها دافن ودفين

توفى أبن لاعرابي، فبكي عليه حينا، فلما هم أن يسلو عنه، توفي له ابن آخر فقال فى ذلك :

إن افق من حزن جاء حزن ... ففؤادى ما له اليوم سكن
وكما تبلى وجوه في البلى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وقال فى ذلك:

عيون قد بكينك موجعات ... أضر بها البكاء وما ينينا
إذا أنفدن دمعا بعد دمع ... يراجعن الشؤون فيستقينا

أبو عبيد البجلي قال: وقفت إعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر، فقالت :

أقمت أبكيه على قبره   من لي من بعدك ياعامر
تركتني في الدار ذا وحشة   قد ذل من ليس له ناصر

الشيباني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة اخوة، وعشرة أعمام ، فهلكوا جميعها فى الطاعون ، وكانت بنتا لم تتزوج ، فخطبها ابن عم لها ، فتزوجها ، فلم تلبث ان اشتملت على غلام، فولدته، فنبت نبتا كانما عد بناصيته ، وبلغ فزوجته ، وأخذت فى جهازه ، حتي إذا لم يبق الا البناء، أتاه أجله، فلم تشق لها جيبا ، ولم تدمع لها عين، فلما فرغوا من جهازه، دعيت لتوديعه، فأكبت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ، ونظرت اليه ، وقالت :

الا تلك المسرة لا تدوم   ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر   بشاهقة له أم رءوم

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها، حتي فاضت نفسها، فدفنا جميعا .

خليفة بن خياط ، قال : مارأيت أشد كمدا من امرأة من بني شيبان ، قتل ابنها ، وأبوها ، وزوجها ، وعمتها ، وخالتها ، مع الضحاك الحروري فمارأيتها قط ضاحكة ، ولا متبسمة ، حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

من لقلب شفه الحزن ، ولنفس مالها سكن
ظعن : الابرار فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا

معشر قضوا نحو بهم   كل ما قد قدموا احسن
صبروا عند السيوف فلم   ينكلوا عنها ولا جبنوا
فتية باعوا نفوسهم   لا ورب البيت ماغبنوا
فأصاب القوم ما طلبوا   منة ما بعدها منن

خرج اعرابي هاربا من الطاعون ، فبينما هو سائر، إذلدغته أفعي فمات ، فقال أبوه يرثيه .

طاف يبغي نجوة من هلاك فهلك
والمنايا رصد للفتي حيث سلك
ليت شعري ضلة أى شيء قتلك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

الرقاشي قال : صلي متمم بن نويرة الصبح مع أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ثم أنشد

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت تحت البيوت قتلت يابن الازور
أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بذمة لم يغدر
لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر

قال : ثم بكى حتى سالت عينه العوراء ؟ قال أبو بكر :مادعوته، ولا قتلته

وقال متمم يرثي أخاه مالكا : وهى التي تسمى أم المراثي

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزعا مما ألم فأوجعا
لقد غيب المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا
ولا برما يهدى النساء لعرسه اذا القشع من برد العشاء تقعقعا
تراه كظل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امريء السوء مطمعا
فعيني هلا تبكيان لمالك إذا هزت الريح الكثيب المرعا
وأرملة تدعو بأشعث محثل كفرخ الحباري ريشه قد تمزعا
وما كان وقافا إذا الخيل أحجمت ولا طالبا من خشية الموت مفزعا

ولا بكهام سيفه من عدوه إذا هو لاقي حاسراً أو مقنعا
أبي الصبر آيات أراها وانني أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وإني متي ماأدع باسمك لم تجب وكنت حريا أن تجيب وتسمعا
تحيته مني وإن كان نائما وأمسي ترابا فوقه الارض بلقعا
فان تكن الايام فرقن بيننا فقد بان محمودا أخي حين ودعا
فعشنا بخير فى الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فما شارف حنت حنينا ورجعت أنيناً فأبكى شجوها الترك أجمعا
ولا ذات أظآر ثلاث روائم رأين مجرا من حوار ومصرعا
بأوجد مني يوم قام بمالك مناد فصيح بالعراق فأسمعا
سقى الله أرضا حلها قبر مالك رهام الغوادى المزجيات فأمرعا

قال ابن اسحق صاحب المغازي : لما نزل رسول الله ﷺ الصفراء ، وقال ابن هشام : الاثيل ، أمر على بن أبي طالب ، بضرب عنق النضر ابن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ، صبرا بين يدي رسول الله ﷺ فقالت أخته قتيلة بنت الحرث ترثيه :

يارا كبا ان الاثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية ماان تزال بها النجائب تخفق
مني عليك وعبرة مسفوحة جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد ياخير ضنء كريمة ... فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم ان كان عتقا يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الي المنية متبعا ... رسف المقيد وهو عان موثق

دخلت خنساء، على عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، وعليها صدار من شعر، قد استشعرته الى جلدها، فقالت لها: ماهذا ياخنساء؟ فو الله لقد توفى رسول الله ﷺ، فما لبسته، قالت: ان له معنى دعاني الى لباسه، وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه، وكان رجلا متلافا، فاسرف فى ماله حتى أنفده، ثم رجع في مالي فأنفده أيضاً، ثم التفت الي فقال: إلي أين ياخنساء قلت: إلي أخي صخر، قالت: فأتيناه، فقسم ماله شطرين، ثم خيرنا في أحسن الشطرين، فرجعنا من عنده، فلم يزل زوجي حتى أذهب جميعه، ثم التفت الى فقال: الي أين ياخنساء؟ قلت: الي أخي صخر، قالت: فرحلنا إليه، ثم قسم ماله شطرين، وخيرنا فى أفضل الشطرين، فقالت له زوجته: أما ترضى ان تشاطرهم مالك، حتى تخيرهم بين الشطرين، فقال:

والله لا أمنحها شرارها * فلو هلكت قددت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فآليت أن لا يفارق الصدار جسدى ما بقيت. قيل للخنساء: صفي لنا أخويك صخرا، ومعاوية، فقالت: كان صخر والله جنة الزمان الاغبر وذعاف الخميس الاحمر، وكان والله معاوية القائل الفاعل، قيل لها: فأيهما كان أسنى وأفخر؟ قالت: أما صخر فحر الشتاء، وأما معاوية فبرد الهواء

قيل لها : فايهما أوجع وأفجع ، قالت : أما صخر فجمر الكبد ، وأمامعاوية فسقام الجسد ، وانشأت :

أسدان محمرا المخالب نجدة بحران فى الزمن الغضوب الانمر

قمران فى النادى رفيعا محتد فى المجد فرعا سؤدد متخير

وقالت الخنساء ترثى اخاها (*)

قذي بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت أم خلت من أهلها الدار

كان دمعي لذكراه اذا خطرت فيض يسيل على الخدين مدرار

فالعين تبكى على صخر وحق لها ودونه من جديد الارض أستار

بكاء والهة ضلت أليفتها لها حنينان اصغار واكبار

ترعى اذا نسيت حتى اذا ذكرت فانما هي إقبال وادبار

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدي الطريقة نفاع وضرار

وقالت أيضاً :

ألا ما لعيني الا ما لها لقد أخضل الدمع سربالها

أمن بعد صخر من آل الشريد حلت به الارض أثقالها

فآليت آسي على هالك وأسأل باكية مالها

وجمت بنفسي بعض الهموم فأولى لنفسى أولى لها

سأحمل نفسي على حالة فأما عليها واما لها

وقالت أيضا :

(*) راجع ديوانها المطبوع بمكتبتنا ففيه من غرر المراثى ماجعلها فى مقدمة شواعر معرب

اعينى جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندي
ألا تبكيان الجري الجواد ألا تبكيان الفتي السيدا
طويل النجاة رفيع العما د ساد عشيرته امردا
يحمله القوم ما غالهم وإن كان أصغرهم مولدا
جموع الضيوف الي بابه يري أفضل الكسب أن يحمدا

وقالت أيضاً :

ماأدركت كف امرىء متناول من المجد الا والذي نلت أطول
ما بلغ المهدون للمدح غاية ولا جهدوا الا الذي فيك أفضل
فما الغيث فى جعد الثري دمث الربا تبعق فيها الوابل المتهلل
بافضل سيبا من يديك ونعمة تجود بها بل سيب كفيك اجزل
من القوم مغنى الرواق كأنه اذا سيم ضيما خادر متبسل
شرنبث اطراف البنان ضبارم له في عرين الغيل عرس وأشبل

وقالت اخت الوليد بن طريف ، ترثى اخاها الوليد بن طريف

أيا شجر الخابور مالك مورق كانك لم تجزع على ابن طريف
فتي لا يريد العز الا من التقى ولا المال الا من قنا وسيوف
فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه من ساداتنا بالوف
خفيف على ظهر الجواد اذا عدا وليس على اعدائه بخفيف
عليك سلام الله وقفا فانني أرى الموت وقاعا لكل شريف

وقال كعب يرثي أخاه أبا المغوار :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كانك يحميك الشراب طبيب

فقلت محول من خطوب تتابعت ... على كبار والزمان يريب
لعمري لئن كانت أصابت منية ... أخي فالمنايا للرجال شعوب
فاني لباكيه وإني لصادق ... عليه وبعض القائلين كذوب
أخي ما أخي لا فاحش عند ريبة ... ولا ورع عند اللقاء هيوب
أخ كان يكفيني وكان يعينني ... على نائبات الدهر حين تنوب
هو العسل الماذي لينا وشيمة ... وليث إذا لاقي الرجال قطوب
هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ... وماذا يؤدى الليل حين يؤب
كعالية الرمح الرديني لم يكن ... اذا ابتدر الخيل الرجال يخيب
وداع دعايا من يجيب الى الندي ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت ثانيا ... لعل أبى المغوار منك قريب
يجبك كما قد كان يفعل إنه ... بأمثاله رحب الذراع أريب
وحدثتماني انما الموت فى القرى ... فكيف وهذي هضبة وكثيب
فلو كانت الموتي تباع اشتريته ... بما لم تكن عنه النفوس تطيب
بعيني أو يمني يدى وخلتني ... أنا الغانم الجذلان حين أءوب
لقد افسد الموت الحياة وقد أتى ... على يومه علق الي حيب
أتى دون حلو العيش حتى أمره ... خطوب على آثارهن نكوب
فوالله لا أنساه ما ذر شارق ... وما اهتز من فرع الاراك قضيب
فان تكن الايام أحسن مرة ... الى لقد عادت لهن ذنوب

قالت أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين: ترثي زوجها الزبير بن العوام:

وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعى بوادي السباع ، وهو منصرف من وقعة الجمل :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد
ياعمرو لو نبهته لوجدته لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

وقالت اعرابية ترثي زوجها :

كنا كغصنين فى جرثومة بسقا حينا على خير ما تنمي به الشجر
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما وطاب قنواهما واستمطر الثمر
أخنى على واحدي ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر
كنا كانجم ليل بينها قمر يجلو الدجي فهوى من بينها القمر

الاصمعي قال. دخلت بعض مقابر الاعراب، ومعي صاحب لى، فاذا جارية على قبر ، كأنها تمثال، وعليها من الحلي والحلل، مالم أر مثله، وهي تبكى بعين غزيرة ، وصوت شجى، فالتفت الي صاحبي . فقلت : هل رأيت أعجب من هذه؟ قال: لا والله ، ولا أحسبني أراه ، ثم قلت لها : ياهذه إني اراك حزينة، وماعليك زى الحزن ، فأنشأت تقول:

فان تسألاني فيم حزني فانني رهينة هذا القبر يافتيان
وإني لاستحييه والترب بيننا كما كنت استحييه حين يراني
اهابك اجلالا وإن كنت فى الثري مخافة يوم ان يسؤك لسانى

ثم اندفعت فى البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يامن كان ينعم بي بالا ويكثر فى الدنيا مواساتى

قد زرت قبرك فى حلي وفي حال   كأنني لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه   ان قد تسر به من بعض هيآتي
فمن رآني رأى عبرى مولهة   عجيبة الزي تبكي بين أموات

وقال آخر يرثي قيس بن عاصم المنقرى :

عليك سلام الله قيس بن عاصم   ورحمته ما شاء ان يترحما
تحية من البسته منك نعمة   اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

وقال :

سأبكيك ما فاضت دموعى فان تغض   فحسبك منى ما تجن الجوانح
كأن لم يمت حي سواك ولم تقم   على احد الا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها   لقد حسنت من قبل فيك المدائح
فما انا من رزء وان جل جازع   ولا بسرور بعد موتك فارح

المهلبي من مرثية المتوكل :

لا حزن الا اراه دون ما أجد   وهل كمن فقدت عيناى مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته   كما هوى عن غطاء الزبية الاسد
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم   اذ لا تمد على الجاني عليك يد
لو ان سيفي وعقلي حاضران له   ابليته الجهد اذ لم يبله أحد
هلا اتاه معاديه مجاهرة   والحرب تسعر والابطال تطرد
نخر فوق سرير الملك منجدلا   لم يحمه ملكه لما انقضي الامد
قد كان انصاره يحمون حوزته   وللردى دون انصار الفتي رصد

واصبح الناس فوضي يعجبون له ليثا صريعا تنزى حوله النقد
علتك اسياف من لا دونه احد وليس فوقك الا الواحد الصمد
جاءوا لدنيا عظيم يسعدون بها فقد شقوا بالذي جاءوا وما سعدوا
ضجت نساؤك بعد العزحين رأت خـدا كريما عليه فارت جسـد
أضحى شهيد بنى العباس موعظة لـكل ذي عزة في رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله احد ولم يضع مثله روح ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرة من الجوائف يغلي فوقها الزبد
إذا بكيت فان الدمع منهمل وإن ونيت فان القول مطرد
قد كنت اسرف في مالى ويخلف لي فعلمتني الليالى كيف اقتصد
لما اعتقدتم اناسا لا حلوم لهم ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
فلو جعلتم على الاحرار نعمتكم حمتكم السادة المركوزة الحشد
قوم هم الجذم والانساب تجمعكم والمجد والدين والارحام والبلد
قد وتر الناس طرائم قد صمتوا كانما كان ما يتلونه رشد
من الآلي وهبوا للمجد انفسهم فما ينالون ما نالوا إذا حمدوا

وقال الاسود بن يعفر:

ماذا اؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد اياد
اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غنو فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد

فاذا النعيم وكل مايلهى به يوما يصير الى بلي ونفاد

وقال مسلم بن الوليد :

أما القبور فانهن أوانس بجوار قبرك والديار قبور

عمت مصيبته وعم هلاكه فالناس فيهم كلهم مأجور

ردت صنائعه اليه حياته فـكأنها من نشرها منشور

وقال حبيب الطائي ، يرثي خالد بن يزيد بن مزيد :

أشيبان لاذاك الهلال بطالع علينا ولا ذاك الغمام بعائد

أشيبان عمت نارها من رزية فما تشتكي وجدا الى غير واجد

فما جانب الدنيا بسهل ولا الضحى بطلق ولا ماء الحياة ببارد

فياوحشة الدنيا وكانت انيسة ووحدة من فيها بمصرع واحد

وأنشد ابو محمد الليثي فى يزيد بن مزيد

احق انه اودى يزيد فبين أيها الناعي المشيد

أبن لى كيف قلت وكيف فاهت به شفتاك واراك الصعيد

احامي الملك والاسلام اودى فما للارض ويحك لاتميد

تأمل هل تري الاسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد

وهل شيمت سيوف بني نزار وهل وضعت عن الخيل اللبود

وهل تسقى البلاد عشار مزن بدرتها وهل يخضر عود

اما هدت لمصرعه نزار بلى وتقوض المجد المشيد

وحل ضريحه إذ حل فيه طريف المجد والمجد التليد

وهذا العز والاسلام ثما ثوى وخليفة الله الرشيد

لقد أوفى ربيعة كل نحس لمهلكه وغيبت السعود
وانصلت الأسنة من قناها وأشرعت الرماح لمن يكيد
نعى يزيد إن لم يبق بأس غداة مضى وإن لم يبق جود
نعي ابن الزبير لكل يوم عبوس الوجه زينته الحديد
أأودي عصمة البارى يزيد وسيف الله والغيث الحميد
فمن يحمى حمي الاسلام أم من يقوم بها إذا اعوج العتود
ومن يحمي الخميس إذا تعايا بحيلة نفسه البطل النجيد
واين يؤم منتجع ولاج واين تحط أرحلها الوفود
لقد رزئت نزار يوم أودى عميدا مايقاس به عميد
فلو قبل الفداء فداه منا بمهجته المسود والمسود
ابعد يزيد تختزن البواكي دموعا اوتصان لها خدود
اما بالله لاتنفك عيني عليه بدمعها ابدا تجود
وإن تجمد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذي حسب جمود
وإن يك غاله حسب فأودي لقد أودي وليس له نريد
وإن يعثر به دهر لما قد يفادي من مخافته الاسود
وإن يهلك يزيد فكل حي فريس للمنية او طريد
فان يك عن خلود قد دعته مآثره فكان لها الخلود
فما أودى امرؤ أودي وأبقى لوارثه مكارم لاتبيد
الم تعلم اخى ان المنايا عدون به وهن له جنود
قصدن له وكن يحدن عنه إذا ماالحرب شب لها الوقود

فهلا يوم يقدمها يزيد إلى الابطال والخيلان صيد
ولو لاقى الحتوف على سواء للاقاها به حتف عنيد
أضراب الفوارس كل يوم تري فيه الحتوف لها وعيد
فمن يرضي القواطع والعوالى إذا ما هزها فرع شديد
لعلك فيه والاسلام لما وهت أطنابها ووهى العمود
ليبكك مرهق يتلوه خيل اباسل وهو مجدول وحيد
ويبكك خامل ناداك لما تواكله الاقارب والبعيد
ويبكك شاعر لم يبق دهر له نشبا وقد كسد القصيد
تركت المشرفية والعوالي محلاة وقد خان الورود.
وغادرت الجياد بكل لغز عواطل بعد زينتها ترود
فان تصبح مسلبة فمما تفيد بها الجزيل وتستفيد
الم تك تكشيف الغمرات عنها عوابس والوجوه البيض سود
اصيب المجد والاسلام لما اصابك بالردي منهم شديد
لقد عزى ربيعة ان يوما عليها مثل يومك لا يعود
ومثلك من قصدن له المنايا بأسهمها وهن له جنود
فيا للدهر ما صنعت يداه كأن الدهر منها مستفيد
سقي جدثا اقام به يزيد من الوسمى بسام رعود
فان اجزع لمهلكه فاني على النكبات اذ اودى جليد
ليذهب من أراد فلست آسى على من مات بعدك يا يزيد

وقال المهلهل بن ربيعة : يرثي أخاه كليب وائل، وكان كليب اذا جلس

لم يرفع أحد بحضرته صوته

ذهب الخيار من المعاشر كلهم ... واستب بعدك يا كليب المجلس
وتناولوا من كل أمر عظيمة ... لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقال فروة بن نوفل الحروري : وكان بعض أهل الكوفة يقاتلون الخوارج ، ويقولون والله لنحرقنهم ، ولنفعلن ولنفعلن فقال فى ذلك فروة بن نوفل ، وكان من الخوارج

ما إن نبالى إذا ارواحنا قبضت ... ماذا فعلتم بأجساد وابشار
تجري المجرة والنسران بينهما ... والشمس والقمر الساري بمقدار
لقد علمت وخير العلم انفعه ... إن السعيد الذى ينجو من النار

وقال يرثي قومه :

هموا نصبوا الاجساد للنبل والقنا ... فلم يبق منها اليوم الا رميمها
تظل عتاق الطير تحجل نحوهم ... يعللن اجسادا قليلا نعيمها
لطاف براها الصوم حتي كأنها ... سيوف اذا ما الخيل تدمى كلومها

قال عبد الرحمن بن ابي بكر ، لسليمان بن عبد الملك ، يعزيه في ابنه ايوب ، وكان ولي عهده ، واكبر ولده : ياامير المؤمنين ، إنه من طال عمره فقد أحبته ، ومن قصر عمره كانت مصيبته فى نفسه ، فلو لم يكن فى ميزانك ، لكنت فى ميزانه .

وكتب الحسن بن ابي الحسن ، الى عمر بن عبد العزيز ، يعزيه فى ابنه عبد الملك

وعوضت اجرا من فقيد فلا يكن ... فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

اتي علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، الاشعث يعزيه عن ابنه ، فقال

إن تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم ، وان تصبر فان فى الله خلفا من كل هالك ، مع انك إن صبرت جرى عليك القدر وانت مأجور ، وان جزعت جري عليك القدر وانت آثم .

الاصمعى ، قال : عزى صالح المرى ، رجلا بابنه ، فقال له : إن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة ، فمصيبتك بنفسك اعظم من مصيبتك بابنك واعلم ان التهنئة علي آجل الثواب ، اولي من التعزية علي عاجل المصيبة .

٢ كتاب التعزية

اما بعد ، فان احق من تعزي ، واولى من تأسى وسلم لامر الله ، وقبل تأديبه فى الصبر على نكبات الدنيا ، وتجرع غصص البلوى ، من تنجز من الله وعده ، وفهم عن كتابه امره ، واخلص له نفسه ، واعترف له بما هو اهله ، وفى كتاب الله سلوة من فقد كل حبيب ، وان لم تطب النفس عنه ، وأنس من كل فقيد ، وان عظمت اللوعة به ، اد يقول عز وجل : (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) وحيث يقول : (الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون) والموت سبيل الماضين والغابرين ، ومورد الخلائق اجمعين ، وفي انبياء الله وسالف اوليائه ، افضل العبرة ، واحسن الاسوة ، فهل احد منهم الا وقد اخذ من فجائع الدنيا باجزل الاعطاء ، ومن الصبر عليها باحتساب الاجر فيها باوفر الانصباء ، فجع نبينا عليه الصلاة والسلام بابنه ابراهيم ، وكان ذخر الايمان ، وقرة عين الاسلام ، وعقب الطهارة ، وسليل الوحى ، ونتيج الرحمة ، وحضين الملائكة ، وبقية آل ابراهيم واسماعيل

صلوات الله عليهم أجمعين ، وعلى عامة الانبياء والمرسلين ، فعمت الثقلين مصيبته ، وخصت الملائكة رزيته ، فشكر قضاه ، واتبع رضاه ، فقال : « يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابرهيم لمحزونون » واذا تأمل ذو النظر ما هو مشف عليه من غير الدنيا ، وانتصح نفسه وفكره في غيرها ، بتنقل الاحوال ، وتقارب الآجال ، وانقطاع يسير هذه المدة ، ذلت الدنيا عنده ، وهانت المصائب عليه، وتسهلت الفجائع لديه فاخذ للامر أهبته ، واستعد للموت عدته ، ومن صحب الدنيا بحسن روية ، ولاحظها بعين الحقيقة ، كان على بصيرة من وشك زوالها ، قال النبي ﷺ « اذكروا الموت فانه هاذم اللذات ، ومنغص الشهوات » وليس شيء مما اقتصصت الا وقد جعلك الله مقدما في العلم به ، ولعمري أن الخطب فيما أصبت به لعظيم،غير أن معوضه من الأجر والمثوبة عليه بحسن الصبر يهونان الرزية وان ثقلت ، ويسهلان الخطب وان عظم ، فوهب الله لك من عصمة الصبر ما يكمل لك به زلفى الفائزين،وقربة الشاكرين،وجعلك من المرضيين قولا وفعلا ، الذين أعطاهم ووفقهم للصبر والتقوي . وكان على بن الحسين عليه السلام، في مجلسه وعنده جماعة ، اذ سمع ناعية في بيته ، فنهض الي منزله فسكتهم ثم رجع الي مجلسه ، فقالوا له : أمن حدث كان الناعية ؟ قال : نعم فعزوه وعجبوا من صبره فقال : إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ، ونحمده على ما نكره .

٣ ﴿ تعازي الملوك ﴾

العتبي قال : عزي أكثم بن صيفي ، عمرو بن هند ملك العرب على أخيه

فقال له : أيها الملك ، إن اهل هذه الدار سفر ، لا يحلون عقدالرحال الا فى غيرها ، وقد أتاك ماليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ماليس براجع إليك وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك ، واعلم ان الدنيا ثلاثة أيام ، فأمس عظة وشاهد عدل ، فجعك بنفسه ، وابقي لك وعليك حكمته ،واليوم غنيمة وصديق ، اتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغد لا تدري من اهله ،وسيانيك إن وجدك ، فما احسن الشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، وقدمضت لنا اصول نحن فروعها ، فمابقاءالفروع بعداصولها، واعلم ان اعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

ولما مات معاوية بن ابي سفيان ، ويزيد غائب ، صلى عليه الضحاك بن قيس الفهرى ، ثم قدم يزيد من يومه ذلك، فلم يقدم احد على تعزيته ، حتى دخل عليه عبدالله بن همام السلولى ، فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقه ... واشكر حباء الذى بالملك حاباكا
لا رزء اعظم فى الاقوام قد علموا ... مما رزئت ولا عقبى كعقباكا
اصبحت راعى اهل الارض كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقي لنا خلف ... إذا نعيت فلا نسمع بمنعاكا

فافتتح الخطباء الكلام.

دخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد، فقال له الحاجب: ان أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بابن له ، وولد له آخر ، فلما دخل عليه قال: سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك، وجعل هذه بهذه مثوبة على الصبر ،

جزاء على الشكر . ودخل المأمون على أم الفضل بن سهل يعزيها بابنها، والفضل بن سهل ، فقال : ياأمه إنك لم تفقدي الا رؤيته ، وأنا ولدك مكانه فقالت : ياأمير المؤمنين ، ان رجلا أفادني ولدا مثلك ، لجدير أن أجزع عليه

عزي محمد بن الوليد بن عتبة عمر بن عبد العزيز، على ابنه عبد الملك ، فقال : ياأمير المومنين ، أعد لما ترى عدة، تكن لك جنة من الحزن، وسترا من النار فقال عمر: هل رأيت حزنا يحتج به ، أو غفلة يؤنب عليها؟ قال: ياأمير المؤمنين، لو أن رجلا ترك تعزية رجل لعلمه وانتباهه لكنته ، ولكن الله قضى أن الذكري تنفع المؤمنين . وهذا نظير قول أبي العتاى

وقائلة لما رأتني مسهدا كأن الحشا مني تلذعه الجمر
أباطن داء أم جوى بك قاتل فقال الذي بي ما يقوم له صبر
تفرق آلاف وموت أحبة وفقد ذوي الافضال قالت كذا الدهر

كتب محمد بن عبدالله بن طاهر ، الي المتوكل ، يعزيه بابن له :

إني أعزيك لا إني على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزى بباق بعد ميتبه ولا المعزي وان عاشا الى حين

ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الي أمه، أن اصنعي طعاما ويحضره الناس ، ثم تقدمي اليهم أن لا يأكل منه محزون، ففعلت ، فلم يبسط أحد اليه يده فقالت : مالكم لا تأكلون؟ فقالوا : انك تقدمت الينا ان لا يأكل منه محزون، وليس منا الا من قد اصيب بحميم او قريب ، فقالت .مات والله ابني، وما اوصى الي بهذا الا ليعزيني به .

١٠ فى النسب وفضائل العرب

قال احمد بن محمد بن عبدربه : قد مضي قولنا فى النوادب والمراثى ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النسب الذي هو سبب التعارف ، وسلم الي التواصل ، به تتعاطف الارحام الواشجة ، وعليه تحافظ الاواصر القريبة ، قال الله تبارك وتعالى : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس ، وفي الحديث « تعلمو من النسب ماتعرفون به احسابكم وتصلون به أرحامكم » . وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كنبيط السواد ، إذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا

١ ﴿ أصل قريش ﴾

كانت قريش تدعى النضر بن كنانة ، وكانوا متفرقين فى بني كنانة ، فجمعهم قصي بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك من كل أوب الي البيت ، فسموا قريشا ، والتقريش التجميع ، وسمي قصي بن كلاب مجمعا ، فقال فيه الشاعر :

قصى أبوكم من يسمى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقال حبيب :

غدوا فى نواحي نعشه وكأنما ... قريش قريش يوم مات مجمع

يريد بمجمع قصي بن كلاب ، وهو الذي بني المشعر الحرام ، وكان يسرج عليه أيام الحج ، فسماه الله مشعرا ، وأمره بالوقوف عنده ، وانما جمع قصي الى مكة بني فهر بن مالك ، فجد قريش كلها فهر بن مالك فما دونه قريش ، ومافوقه

عرب ، مثل كنانة ، وأسد ، وغيرهما من قبائل مضر ،وأما قبائل قريش ،فانما تنتهي الى فهر بن مالك لاتجاوزه ، وكانت قريش تسمى آل الله ،وجيران الله، وسكان الله ، وفى ذلك يقول عبد المطلب بن هاشم :

نحن آل الله فى ذمته   لم نزل فيها على عهد قدم

ان للبيت لربا مانعا   من يرد فيه باثم يخترم

لم تزل لله فينا حرمة   يدفع الله بها عنا النقم

٢ ﴿ نسب قريش ﴾

قال هشام بن محمد السائب الكلبي : تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش فى الجاهلية ، فوصله بالاسلام ، عشرة رهط ، من عشرة أبطن، وهم هاشم، وأمية ،ونوفل ،وعبدالدار، وأسد،وتميم ،ومخزوم ،وعدى وجمح، وسهم ، فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب ، يسقى الحجيج في الجاهلية، وبقى له ذلك فى الاسلام ، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب ، كانت عنده العقاب راية قريش ، واذا كانت عند رجل أخرجها إذاحميت الحرب ، فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب، وان لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه ، ومن بني نوفل الحرث بن عامر ،وكانت اليه الرفادة،وهى ما كانت تخرجه من أموالها ، وترفد به منقطع الحاج،ومن بنى عبدالدار عثمان بن طلحة ، كان اليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، ويقال والندوة أيضا فى بنى عبدالدار، ومن بنى أسد يزيد بن زمعة بن الاسود، وكانت اليه المشورة ، وذلك ان رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتي يعرضوه عليه ، فان وافقه ولاهم عليه ، وإلا تخير ، وكانوا له اعوانا ، واستشهد مع رسول الله ﷺ

بالطائف ، ومن بنى تيم أبو بكر الصديق ، وكانت اليه فى الجاهلية الاشناق ، وهى الديات والمغرم ، فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه،وأمضوا حمالة من نهض معه ، وان احتملها غيره خذلوه ،ومن بني مخزوم خالد بن الوليد ، كانت اليه القبة والاعنة،فاما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش ، وأما الاعنة فانه كان على خيل قريش فى الحرب ، ومن بني عدى عمر بن الخطاب ،وكانت اليه السفارة فى الجاهلية، وذلك انهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب،بعثوه سفيرا،وإن نافرهم حي لمفاخرة جعلوه منافرا ، ورضوا به ، ومن بني جمح ، صفوان بن أمية ، وكانت اليه الايسار وهى الازلام ، فكان لا يسبق بأمر عام،حتى يكون هو الذى تسيره على يديه ، ومن بنى سهم،الحرث بن قيس،وكانت اليه الحكومه والاموال المحجرة ، التي سموها لآلهتهم ، فهذه مكارم قريش التى كانت فى الجاهلية ،وهى السقاية ، والعمارة ، والعقاب ، والرفادة ،والسدانة ،والحجابة، والندوة ،واللواء،والمشورة،والاشناق،والقبة،والاعنة،والسفارة،والايسار، والحكومة ، والاموال المحجرة الى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة، على حال ما كانت فى أوليتهم ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر،وجاء الاسلام، فوصل ذلك لهم ، وكان كل شرف من شرف الجاهلية ادركه الاسلام فوصله، فكانت سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، وحلوان النفر،فى بنى هاشم،فاما السقاية فمعروفة ، واما العمارة فهو ان لا يتكلم أحد فى المسجد الحرام بهجر ولا رفث،ولا يرفع فيه صوته ، كان العباس ينهاهم عن ذلك ،واما حلوان النفر، فان العرب لم تكن تملك عليها فى الجاهلية أحدا ، فان كان حرب أقرعوا بين

أهل الرياسة ، فمن خرجت عليه القرعة أحضروه ، صغيرا كان أو كبيرا ، فلما كان يوم الفجار ، اقرعوا بين بنى هاشم ، فخرج سهم العباس وهو صغير ، فأجلسوه على المجن .

٣ ﴿ فضل قريش ﴾

قال النبي عليه الصلاة والسلام : « الأئمة من قريش ». قدم محمد بن عمير ابن عطارد ، فى نيف وسبعين راكبا ، فاستزارهم عمر بن عتبة ، قال سمعته يقول يا أبا سفيان ، مابال العرب تطيل كلامهم وانتم تقصرونه معاشر قريش ؟ فقال عمر بن عتبة : بالجندل يرمى الجندل ، ان كلامنا كلام يقل لفظه ، ويكثر معناه ، ويكتفي بأولاه ، ويستشفي بأخراه ، يتحدر تحدر الزلال على الكبد الحراء ولقد نقصوا كما نقص غيرهم بعد ، ولله أقوام أدركتهم كانما خلقوا لتحسين ما قبحت الدنيا ، سهلت الفاظهم ، كما سهلت عليهم أنفاسهم ، فابتذلوا أموالهم ، وصانوا أعراضهم ، حتى ما يجد الطاعن فيهم مطعنا ، ولا المادح مزيدا ، ولقد كان آل ابي سفيان مع قلتهم كثيرا منه نصيبهم ، ولله درمولاهم حيث يقول

وضع الدهر فيهم شفرتيه فمضى سالما وأمسوا شعوبا

شفرتان والله أفنتا أبدانهم ، وابقتا أخبارهم ، فتركتاهم حديثا حسنا في الدنيا ، ثوابه في الاخرة احسن ، وحديثا سيئا فى الدنيا عقابه فى الاخرة أسوأ ، فياموعوظا عن قبله ، موعوظا به من بعده ، اربح نفسك اذا خسرها غيرك ، قال : فظننت انه أراد ان يعلمه ان قريشا اذا شاءت أن تتكلم تكلمت : عكرمة ، عن ابن عباس ، عن على بن ابي طالب ، قال : لما أمر رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على القبائل ، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر ، حتى دفعنا

الي مجلس من مجالس العرب ، فتقدم ابو بكر فسلم ، قال علي : وكان أبو بكر مقدما في كل خير ، وكان رجلا نسابة فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة قال : وأي ربيعة انتم أمن هامتها ؟ قالوا : من هامتها العظمي ، قال : واي هامتها العظمي انتم ؟ قالوا : ذهل الاكبر ، قال ابو بكر : فمنكم عوف بن محلم الذي يقال فيه : لا حر بوادي عوف ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم جساس بن مرة الحامي الذمار ، والمانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا ، لا : قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : فلستم ذهلا الاكبر انتم ذهل الاصغر ، فقام اليه غلام من شيبان ، حين بقل وجهه يقال له دغفل فقال :

إن على سائلنا ان نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

ياهذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ، ولم نكتمك شيئا ، فممن الرجل ؟ قال ابو بكر : من قريش ، قال : بخ بخ اهل الشرف والرياسة ، فمن اي قريش انت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة قال : امكنت والله الرمية من صفا الثغرة ، افمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل فسمي مجمعا ؟ قال : لا ، قال أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي وجهه كالقمر في الليلة الظلماء ، قال : لا ، قال فمن اهل الافاضة بالناس انت ، قال : لا قال فمن اهل السقاية أنت ؟ قال : لا فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع الي رسول الله ﷺ . فقال الغلام :

صادف درء السيل درءا يدفعه يهيضه حينا وحينا يصدعه

قال : فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام . قال علي فقلت له وقعت ياأبا بكر من الاعرابي على باقعة ، قال : أجل ، قال : ما من طامة الا وفوقها أخرى ، والبلاء موكل بالمنطق ، والحديث ذو شجون . قال ابن الاعرابى : بلغنى ان جماعة من الانصار وقفوا علي دغفل النسابة ، بعدما كف ، فسلموا عليه ، فقال من القوم ؟ قالوا : سادة اليمن ، فقال : من اهل مجدها القديم وشرفها العميم كندة ؟ قالوا : لا ، قال ، فأنتم الطوال المحضون نسبا بنو عبد المدان ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم أقودها للزحوف ، واجذبها للصفوف ، واضربها بالسيوف ، رهط عمرو بن معد يكرب ؟ قالوا : لا قال : فانتم اطيبها فناء ، واشدها لقاء ، حاتم بن عبد الله ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم الغارسون للنخل ، والمطعمون فى المحل ، والقائلون بالعدل ، الانصار ؟ قالوا : نعم . مسلمة بن شبيب ، عن المنقري قال : ذكروا أن يزيد بن حسان بن علقمة بن زرارة بن عدس قال : خرجت حاجا حتي إذا كنت بالمحصب من منى ، إذا رجل على راحلة ، معه عشرة من الشباب ، مع كل رجل منهم محجن ، ينحون الناس عنه ، ويوسعون له ، فلما رأيته دنوت منه ، فقلت : ممن الرجل ؟ قال : رجل من مهرة ممن يسكن الشجر قال : فكرهته ووليت عنه ، فناداني من ورائي مالك ؟ قلت : لست من قومى ولست تعرفني ولا أعرفك ، قال : ان كنت من كرام العرب فسأعرفك قال : فكررت عليه راحلتي فقلت : إنى من كرام العرب ، قال : فمن أنت ؟ قلت : من مضر ، قال : فمن الفرسان أنت أم من الارجاء ؟ فعلمت أنه أراد بالفرسان قيسا ، وبالارجاء خندفا ، فقلت : بل من الارجاء ، قال : أنت امرؤ

من خندف ؟ قلت : نعم ، قال : من الارومة أم من الجماجم ؟ فعلمت أنه أراد بالارومة خزيمة ، وبالجماجم بني أد بن طابخة ، قلت : بل من الجماجم ، قال : فأنت امرؤ من بني أد بن طابخه ؟ قلت : أجل ، قال : فمن الدواني أنت أم من الصميم ؟ قال : فعلمت أنه أراد بالدواني الرباب ومزينة ، وبالصميم بني تميم ، قلت : من الصميم ، قال : فأنت اذا من بني تميم ؟ قلت : أجل قال : فمن الاكثرين أنت أم من الاقلين ، أو من اخوانهم الآخرين ؟ فعلمت أنه أراد بالاكثرين ولد زيد ، وبالاقلين ولد الحرث ، وباخوانهم الاخرين بنى عمرو بن تميم ، قلت : من الاكثرين ، قال : فانت إذا من ولد زيد ، قلت : أجل ، قال : فمن البحور أنت أم من الذرا أم من الثماد ؟ فعلمت أنه أراد بالبحور بنى سعد ، وبالذرا بنى مالك بن حنظلة ، وبالثماد امرأ التيس بن زيد ، قلت : بل من الذرا ، قال : فانت رجل من مالك بن حنظلة ، قلت أجل ، قال : فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب ؛ فعلمت أنه أراد بالسحاب طهية ، وبالشهاب نهشلا ، وباللباب بنى عبد الله بن دارم ، فقلت له : من اللباب ، قال . فأنت من بنى عبد الله بن دارم ، قلت أجل قال : فمن البيوت أنت أم من الدوائر ؟ فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة ، وبالدوائر الاحلاف ، قلت : من البيوت ، قال فانت يزيد بن شيبان بن علقمة ابن زرارة بن عدس ، وقد كان لابيك امرأتان ؛ فأيهما أمك ؟

٤ ﴿ مفاخرة يمن ومضر ﴾

قال الابرش الكلبي ، لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك ، وهما عند هشام ابن عبد الملك ، فقال له خالد قل : فقال الابرش : لنا البيت (يريد الركن اليماني) ومنا حاتم طيء ، ومنا المهلب بن أبي صفرة ، قال خالد بن صفوان : منه

النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل ، قال الابرش . لافاخرت مضريا بعدك .

وقعد المنذر بن ماء السماء، ذات يوم وعنده وجوه العرب، ووفود القبائل، ودعا ببردى محرق، فقال: ليلبس هذين البردين أكرم العرب، وأشرفهم حسبا ، وأعزهم قبيلة ، فاحجم الناس ، فقام الاحيمر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة فقال: أنا لهما ، فاتزر باحدهما، وارتدى بالآخر، فقال له المنذر : وما حجتك فيما ادعيت ؟ قال : الشرف من نزار كلها في مضر ، ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في بهدلة، قال: هذا انت في أصلك، فكيف انت في عشيرتك ؟ قال: أنا ابو عشرة، وعم عشرة، وأخو عشرة، وخال عشرة قال : فهذا انت في عشيرتك ، فكيف أنت في نفسك ؟ فقال شاهد العين شاهدي ، ثم قام فوضع قدمه في الارض، وقال: من ازالها فله من الابل مائة ، فلم يقم اليه احد ، ولا تعاطى ذلك.

٥ ﴿ تفسير القبائل والعمائر والشعوب ﴾

قال ابن الكلبي : الشعب أكبر من القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم العشيره ، ثم الفصيلة . وقال غيره · الشعوب العجم، والقبائل العرب، وإنما قيل للقبيلة قبيلة ، لتقابلها وتناظرها وان بعضها يكافيء بعضا ، وقيل للشعب شعب لانه انشعب منه ، اكثر مما انشعب من القبيلة وقيل لها عمارٌ من الاعتمار والاجتماع ، وقيل لها بطون لانها دون القبائل ، وقيل لها افخاذ لانها دون البطون ، ثم العشيرة وهي رهط الرجل، ثم الفصيلة وهي أهل بيت الرجل خاصة، قال تعالى: (وفصيلته التي تؤويه) وقال تعالى: (وأنذر عشيرتك الاقربين)

٦ ﴿ قول الشعوبية وهم أهل التسوية ﴾

ومن حجة الشعوبية على العرب أن قالت: انا ذهبنا الي العدل والتسوية، وان الناس كلهم من طينة واحدة. وسلالة رجل واحد، واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام: «المؤمنون أخوة تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وقوله في حجة الوداع، وهي خطبته التي ودع فيها أمته، وختم نبوته « أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالاباء: كلكم لادم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوي» وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام: موافق لقول الله تعالي: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فابيتم الا فخرا وقلتم لا نساوينا، وان تقدمنا الى الاسلام ثم صليت حتى تصير كالحنى، وصمت حتي تصير كالاوتار، ونحن نسامحكم، ونجيبكم الي الفخر بالاباء الذي نهاكم عنه نبيكم ﷺ، اذا أبيتم الا خلافه، وإنما نجيبكم الي ذلك لا تباع حديثه، وما امر به ﷺ فنرد عليكم حجتكم في المفاخرة، ونقول، اخبرونا ان قالت لكم العجم هل تعدون الفخر كله أن يكون ملكا أو نبوة، فان زعمتم انه ملك، قالت لكم: وان لنا ملوك الارض كلها، من الفراعنة، والنماردة، والعمالقة، والاكامرة، والقياصرة، وهل ينبغي لاحد ان يكون له مثل ملك سليمان الذي سخرت له الانس، والجن، والطير، والريح، وإنما هو رجل منا أم هل كان لاحد مثل ملك الاسكندر، الذي ملك الارض كلها، وباع مطلع الشمس ومغربها، وبنى ردما من حديد ساوي به بين الصدفين، وسجن وراءه خلقا من الناس تربي على خلق الارض كلها كثرة، يقول الله عز وجل: « حتي إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل

حدب ينسلون » فليس شيء أدل على كثرة عددهم من هذا، وليس لاحد من ولد آدم مثل آثاره فى الارض، ولو لم يكن له الا المنارة الاسكندرية التى أسسها فى قعر البحر ، وجعل في رأسها مرآة يظهر البحر كله فى زجاجتها الكفي ، ومنا ملوك الهند ، الذين كتب احدهم الي عمر بن عبد العزيز : من ملك الاملاك الذى هو ابن الف ملك ، والذى تحته بنت الف ملك والذي فى مربطه الف فيل ، والذى له نهران، ينبتان العود، والفوة، والجوز، والكافور ، والذى يوجد ريحه على اثنى عشر ميلا، الي ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئا ، اما بعد ، فانى اردت ان تبعث الي رجلا يعلمني الاسلام، ويوقفني على حدوده والسلام وأن زعمتم انه لا يكون الفخر الا بنبوة ، فان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم، ماخلا اربعة، هودا، وصالحا ، واسماعيل ومحمدا ، ومنا المصطفيان من العالمين ، آدم ونوح، وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر ، فنحن الاصل، وانتم الفرع، وانما أنتم غصن من أغصاننا فقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا، ولم تزل للامم كلها من الاعاجم فى كل شق من الارض ملوك تجمعها، ومدائن تضمها ، وأحكام تدين بها، وفلسفة تنتجها، وبدائع تفتقها ، فى الادوات والصناعات ، مثل صنعة الديباج وهى أبدع صنعة ، ولعب الشطرنج وهى أشرف لعبة، ورمانة القبان التى يوزن بها رطل واحد ومائة رطل، ومثل فلسفه الروم فى ذات الخالق ، والقانون، والاسطرلاب، الذي يعدل به النجوم، ويدرك به علم الابعاد، ودوران الافلاك ، وعلم الكسوف ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم قواصيها، ويقمع ظالمها، وينهى سفيهها، ولا كان لها قط نتيجة فى صناعة ولا أثر فى فلسفه ، الا ما كان من الشعر ، وقد شاركتها

فيه العجم، وذلك أن للروم اشعارا عجيبة قائمة الوزن والعروض، فما الذي تفخر به العرب على العجم؟ فانما هى كالذئاب العاوية، والوحوش النافرة، يأكل بعضها بعضا، ويغير بعضها على بعض، فرجالها موثوقون في حلق الاسر، ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الابل.

ويقول الشاعر:

هذا صهيب أم كل مهاجر — وعلى جميع قبائل الانصار
لم يرض منهم واحدا لصلاتنا — وهم الهداة وقادة الاخيار
هذا ولو كان المترم سالم — حيا لنال خلافة الامصار
ما زال هذي العجم تحيادوننا — ان الغريب لقى عمى وخسار

٧ ﴿ رد ابن قتيبة على الشعوبية ﴾

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب: وأما اهل التسوية، فان منهم قوما أخذوا ظاهر بعض الكتاب والحديث، فقضوا به ولم يفتشوا عن معناه، فذهبوا الي قوله عزوجل: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقوله (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) والي قول النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالاباء، ليس لعربي على عجمي فخر إلا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب» وقوله. « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » وإنما المعني في هذا، ان الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الاحكام، والمنزلة عند الله عز وجل، والدار الاخرة، ولو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا، ليس لاحد فضل الا بأمر الآخرة، لم يكن في الدنيا شريف

ولا مشروف ، ولا فاضل ولا مفضول ، فما معنى قوله ﷺ . « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقوله ﷺ : « أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم » وقوله ﷺ ، فى قيس بن عاصم : « هذا سيد الوبر » وكانت العرب تقول : لا تزال الناس بخير ماتباينوا ، فاذا تساووا هلكوا ، تقول ، لا يزالون بخير ما كان فيهم أشراف وأخيار ، فاذا جملوا كلهم جملة واحدة هلكوا . وإذا ذمت العرب قوما قالوا : سواسية كأسنان الحمار ، وكيف يستوي الناس فى فضائلهم والرجل الواحد لا تستوي في نفسه اعضاؤه ، ولا تتكافأ مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ، وللرأس الفضل علي جميع البدن بالعقل والحواس الخمس ، وقالوا : القلب امير الجسد ، ومن الاعضاء خادمة ومنها مخدومة .

٨ ﴿ رد الشعوبية على ابن قتيبة ﴾

قال بعض من يري رأي الشعوبية ، فيما يرد به على ابن قتيبة : في تباين الناس وتفاضلهم ، والسيد منهم والمسود ، إننا نحن لا ننكر تباين الناس ، ولا تفاضلهم ، ولا السيد منهم والمسود ، والشريف والمشروف ، ولكنا نزعم ان تفاضل الناس فيما بينهم ، ليس بآبائهم ، ولا بأحسابهم ، ولكنه بافعالهم ، وأخلاقهم وشرف انفسهم ، وبعد همتهم ، الا ترى ان من كان دنيء الهمة ، ساقط المروءة لم يشرف وان كان من بني هاشم فى ذؤابتها ، ومن أمية في أرومتها ، ومن قيس فى أشرف بطن منها ، انما الكريم من كرمت افعاله ، والشريف من شرفت همته وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام « اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه » وقوله فى قيس بن عاصم « هذا سيد أهل الوبر » انما قال فيه لسؤدده فى قومه ، بالذب عن حريمهم ، وبذله رفده لهم ، الا ترى أن عامر بن الطفيل كان فى

شرف بطن في قيس يقول :

أواني وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل مركب

فما سودتني عامر عن وراثة أبي الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقى اذاها وأرمي من رماها بمنكب

وقال آخر :

انا وان كرمت أوائلنا لسنا على الاحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة : لأقضين بين العرب بقضية لم يقض بها احد قبلي، ولا يردها احد بعدي ، أيما رجل رمي رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه وأيما رجل ادعي كرما دونه لؤم فلا كرم له. ومثله قول عائشة ام المؤمنين: كل كرم دونه لؤم فاللؤم اولى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم اولى به . تعني بقولها ان أولي الاشياء بالانسان طبائع نفسه وخصالها ، فاذا كرما فلا يضره لؤم أوليته ، وان لؤمت فلا ينفعه كرم اوليته ، وقال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وجعلته ملكا هماما

وقال آخر :

مالى عقلي وهمتى حسبي ما انا مولي ولا انا عربي

ان انتمي منتم الى احد فانني منتم الي ادبي

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان ، بكلام ذهب فيه كل مذهب، فأعجب عبد الملك ما سمع منه فقال : ابن من انت يا غلام ؟ قال : ابن نفسي،

يا امير المؤمنين ، التي نلت بها هذا المقعد منك ، قال : صدقت ويروي ان اعرابيا من بني العنبر، دخل على سوار القاضي فقال : ان ابى مات وتركني واخالى ، وخط خطين ، ثم قال : وهجينا ، ثم خط خطا ناحية ، فكيف يقسم المال ؟ فقال له سوار : ههنا وارث غيركم ؟ قال: لا، قال: فالمال بينكم اثلاثا قال : ما أحسبك فهمت عني، انه تركني واخي ، وهجينا ، فكيف يأخذ الهجين كما آخذ انا وكما يأخذ اخي ؟ قال : أجل ، فغضب الاعرابي ، ثم أقبل علي سوار ، فقال : ما علمت والله انك قليل الخالات بالدهناء ، قال سوار : لا يضرني ذلك عند الله تعالى شيئا .

١١ (كلاب الاعراب)

قال احمد بن عبد ربه : قد مضي قولنا فى النسب الذي هو سبب للتعارف ، وسلم الي التواصل ، وفى تفضيل العرب ، وفى كلام بعض الشعوبية ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، فى كلام الاعراب خاصة، اذ كان أشرف الكلام حسبا ، وأكثره رونقا ، وأحسنه ديباجا ، وأقله كلفة ، وأوضحه طريقة ، واذ كان مدار الكلام كله عليه ، ومنتسبه اليه .

١ ﴿ قول الاعراب فى الدعاء ﴾

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ماقوم أشبه بالسلف من الاعراب لولا جفاء فيهم . وقال غيلان : إذا أردت ان تسمع الدعاء فاسمع دعاء الاعراب .

دعا أعرابى وهو يطوف بالكعبة فقال : الهي من أولي بالتقصير والزلل

منى وأنت خلقتنى، ومن اولي بالعفو منك عنى ، وعلمك بي ماض ، وقضاءك بي محيط ، اطعتك بقوتك ، والمنة لك ، وعصيتك بعلمك ، فاسالك يا الهي بوجوب رحمتك ، وانقطاع حجتى ، وافتقاري اليك ، وغناك عني ، ان تغفر لى وترحمني ، الهي لم أحسن حتى أعطيتنى ، فتجاوز عن الذنوب التى كتبت على، اللهم إنا اطعناك فى أحب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك ، ولم نعصك في أبغض الاشياء اليك الشرك بك فاغفر لى بين ذلك ، اللهم انك آنس المؤنسين لاوليائك ، واحضرهم للمتوكلين عليك الهى انت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسري لك مكشوف وانا اليك ملهوف ، إذا أوحشتنى الغربة ، آنسنى ذكرك ، واذا أكبت على الغموم ، لجأت الي الاستجارة بك ، علما بان ازمة الامور كلها بيدك ، ومصدرها عن قضائك ، فاقلني اليك مغفورا لي ، معصوبا بطاعتك باقي عمري ياارحم الراحمين .

قال : خرجت اعرابية الى منى ، فقطع بها الطريق ، فقالت : يارب اخذت واعطيت ، وانعمت وسلبت ، وكل ذلك منك عدل وفضل ، والذى عظم على الخلائق امرك ، لا بسطت لسانى بمسالة احد غيرك ، ولا بذلت رغبتى إلا اليك ياقرة اعين السائلين ، اغننى بجود منك أتبجح في فراديس نعمته واتقلب فى رواق نضرته ، احملنى من الرجلة ، واغنني من العيلة ، واسدل على سترك لذي لا تخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، انك سميع الدعاء .

قال : وسمعت اعرابيا فى فلاة من الارض ، وهو يقول فى دعائه : اللهم ان استغفاري اياك مع كثرة ذنوبي للؤم ، وإن تركي الاستغفار مع معرفتي

اليك رحمتك لعجز، الهى كم تحببت الي بنعمتك وأنت غنى عني ، وكم اتبغض بسعة بذنوبي وأنا فقير اليك، سبحان من اذا توعد عفا، واذا وعد وفى

قال : ورأيت اعرابيا متعلقا بأستار الكعبة ، رافعا يده الى السماء ، وهو يقول : رب أتراك معذبنا وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما أخالك تفعل ولئن فعلت لتجمعنا مع قوم طالما أبغضناهم لك . قال : ودعا اعرابي عند الكعبة فقال : اللهم انه لاشرف الا بفعال ، ولافعال الا بمال ، فاعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوسا يقول : بينا أنا بمكة اذ رفعت الي الحجاج بن يوسف ، فثني لى وسادة فجلست، فبينا نحن نتحدث ، اذ سمعت صوت أعرابي فى الوادي ، رافعا صوته بالتلبية ، قال الحجاج : على بالملبي، فأتي به ، فقال : من الرجل ؟ قال من أفناء الناس ، قال : ليس عن هذا اسألتك ، قال : فمم سألتنى ؟ قال : من أى البلدان أنت ؟ قال من أهل اليمن قال له الحجاج : فكيف خلفت محمد بن يوسف ؟ يعني أخاه ، وكان عامله على اليمن ، قال : خلفته عظيما جسيما ، خراجا ولاجا، قال ليس عن: هذا سألتك قال فمم سألتني قال : كيف خلفت سيرته فى الناس؟ قال : خلفته ظلوما غشوما عاصيا للخالق ، مطيعا للمخلوق ، فازور من ذلك الحجاج ، وقال :ما أقدمك على هذا؟ وقد تعلم مكانته مني ،فقال له الاعرابي : اقتراه بمكانته منك ،اعزمني بمكانتي من الله تبارك وتعالي ، وانا وافد بيته ، وقاضي دينه ، ومصدق نبيه ﷺ ؟ قال: فوجم لها الحجاج ، ولم يحر له جوابا ، حتي خرج الرجل بلا اذن. وقال طاوس : فتبعته حتي اتى الملتزم ،فتعلق بأستار الكعبة ، فقال: بك اعوذ ،

واليك الوء ، فاجعل لي فى اللهف الى جوارك ، والرضا بضمانك ، مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى ايدى المستأثرين ،اللهم عد بفرجك القريب، ومعروفك القديم ،وعادتك الحسنة ، قال طاوس : ثم اختفى فى الناس،فألقيته بعرفات قائما على قدميه ، وهو يقول : اللهم ان كنت لم تقبل حجى ، ونصبي وتعبي ، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته ، فلا اعلم مصيبة اعظم ممن ورد حوضك ، وانصرف محروما من وجه رغبتك .

وقيل لاعرابي: ماأنحل جسمك ؟ قال : سوء الغذاء، وجدوبة المرعي، واختلاف الهموم فى صدرى ، ثم انشأ يقول :

الهم مالم تمضه لسبيله ... داء تضمنه الضلوع عظيم
ولربما استيأست ثم اقول لا ... إن الذي ضمن النجاح كريم

وقال إعرابى : لقد كنت انكر البيضاء ،فصرت انكر السوداء،فياخير مبدول ، ويا شر بدل . وقال اعرابى :

إذا الرجال ولدت اولادها ... وجعلت اسقامها تعتادها
فاضطربت من كبر أعضادها ... فهى زروع قددنا حصادها

٢ ﴿ قولهم فى الاستطعام ﴾

قدم اعرابي من بنى كنانة ، على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال :اني والله ماأعرف سببا بعد الاسلام والرحم ،أقوي من رحلة مثلي من أهل السن والحسب ، اليك من بلاده بلا سبب ، ولا وسيلة ، الا دعائك الي المكارم، ورغبتك فى المعروف ، فان رأيت أن تضعنى من نفسك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل ، فوصله وأحسن اليه .

خرج المهدي يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع اعرابية من جانب المسجد وهى تقول : قوم مبطلون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ، بادت رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية رسوله ﷺ ، فهل من امرىء يجبرهم ، كلأه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ، فأمر نصير الخادم ، فدفع اليها خمسمائة درهم .

الشيباني قال : أقبل اعرابي ، الى مالك بن طوق ، فأقام بالرحبة حينا ، وكان الاعرابي من بنى أسد ، صعلوكا في عباءة صوف ، وشملة شعر ، فكلما أراد الدخول منعه الحجاب ، وشتمه العبيد ، وضربه الأشراط ، فلما كان فى بعض الايام ، خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة ، فعارضه الاعرابي ، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك ، حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الامير ، إنى عائذ بالله من شر أشراطك هؤلاء ، فقال مالك : دعوا الأعرابي ، هل من حاجة يا أعرابي ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، أن تصغى الى بسمعك ، وتنظر الي بطرفك ، وتقبل الي بوجهك ، قال : نعم ، فأنشأ الاعرابى يقول :

ببابك دون الناس أنزلت حاجتى ... وأقبلت أسعى حوله وأطوف
ويمنعني الحجاب والستر مسبل ... وانت بعيد والشروط صفوف
يدورون حولى فى الجلوس كأنهم ... ذئاب جياع بينهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا ... فأصدف عنه إنني لضعيف
ومالى من الدنيا سواك ولا لمن ... تركت وزائى مربع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف ... ومن هو فيها نازل وحليف
تخطيت أعناق الملوك ورحلتى ... اليك وقد حنت اليك صروف

فجئتك أبغى اليسر منك فمر بي ببابك من ضرب العبد صنوف
فلا تجعلن لى نحو بابك عودة فقلبي من ضرب الشروط مخوف

فاستضحك مالك حتى كاد ان يسقط عن فرسه ، ثم قال لمن حوله: من يعطيه درهما بدرهمين ؟ وثوبا بثوبين ؟ فوقعت عليه الثياب والدراهم، من كل جانب حتي تحير الاعرابي ، ثم قال له : هل بقيت لك حاجة ياأعرابي؟ قال : أما اليك فلا، قال : فالى من؟ قال : الي الله أن يبقيك للعرب ، فانها لا تزال بخير ما بقيت لها.

دخل إعرابي الى هشام بن عبد الملك، فقال ياأمير المؤمنين ، أتت علينا ثلاثة أعوام ، فعام أذاب الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام أنقى العظم ، وعندكم أموال ، فان تكن لله فبثوها فى عباد الله، وإن تكن للناس فلم تحجب عنهم، وإن تكن لكم فتصدقوا إن الله يجزي المتصدقين ، قال هشام :هل من حاجة غير هذه ياأعرابي ؟ قال : ما ضربت اليك أكباد الابل ، أدرع الهجير، وأخوض الدجي ، لخاص دون عام ، فأمر له هشام بأموال ، فرقت فى الناس وأمر للاعرابي بمال فرقه فى قومه .

العتبي قال : كانت الاعراب تنتجع هشام بن عبد الملك ، بالخطب كل عام فتقدم اليهم الحاجب يأمرهم بالايجاز ، فقام اعرابي ، فحمد الله واثني عليه، ثم قال ، ياأمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ، والمنع مبغضة فلان نحبك خير من أن نبغضك ، فأعطاه وأجزل له .وقال اعرابي للمأمون

قل للامام الذى ترجى فضائله رأس الانام وما الاذناب كالراس
إنى أعوذ بهرون وخضرته وبابن عم رسول الله عباس

من أن تشد رحال العيس راجعة الي اليمامة بالحرمان واليأس

٣ ﴿ قولهم فى المواعظ والزهد ﴾

ابو حاتم، عن الاصمعى، قال: دخل اعرابي على هشام بن عبد الملك، فقال له: عظني يااعرابي، فقال: كفي بالقرآن واعظا، اعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) ثم قال ياأمير المؤمنين، هذا جزاء من يطفف فى الكيل والميزان، فماظنك بمن أخذه كله. ووعظ اعرابي أخاله أفسد ماله فى الشراب، فقال: لا الدهر يعظك ولا الايام تنذرك، ولا الشيب يزجرك، والساعات تحصي عليك، والانفاس تعد منك، والمنايا تقاد اليك، أحب الامور اليك أعودها بالمضرة عليك. وقيل لاعرابي: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خلال فيه، لانه متلف للمال، مذهب للعقل، مسقط للمروءة. وقال اعرابي: الدراهم مياسم، تسم حمدا وذما فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له، وما كل من أعطى مالا أعطي حمدا، ولا كل عديم ذميم. أخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أنت للمال اذا أمسكته فاذا أنفقته فالمال لك

وهذا نظير قول ابن عباس، ونظر الى درهم فى يد رجل، فقال: انه ليس لك حتى يخرج من يدك. قال وسمعت اعرابيا يقول لابن عمه: سأتخطى ذنبك الى عذرك، وان كنت من احدهما على شك، ومن الآخر على يقين، ولكن ليتم المعروف منى اليك ولتقوم الحجة لي عليك. قال اوسمعت

اعرابيا يقول : الله مخلف ما أتلف الناس ، والدهر متلف ما أخلفوا ، وكم من ميتة عليها طلب الحياة ، وكم من حياة سببها التعرض للموت . وقيل لاعرابي وقد مرض : انك تموت ، قال : واذا مت فالى أين يذهب بي؟ قالوا الي الله، قال : فما كراهتي أن يذهب بي الى من لم أر الخير الا منه. ونظر عثمان الى اعربى في شملته غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، ناتىء الجبهة فقال له : أين ربك ؟ قال : بالمرصاد . وقال : من ثقل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع الي الناس بما يكرهون ، قالوا فيه مالا يعلمون . الاصمعي قال : سمعت اعرابيا ينشد

واذا أظهرت أمرا حسنا فليكن أحسن منه ما تسر

فمسر الخير موسوم به ومسر الشر موسوم بشر

وقال اعرابي : والله لولا أن المروءة ثقيل محملها ، شديد مؤونتها ، ما ترك اللئام للكرام شيئا . احتضر اعرابي فقال له بنوه : عظنا يا أبت ، فقال : عاشروا الناس معاشرة ان غبتم حنوا اليكم ، وان متم بكوا عليكم . ودخل اعرابي على بعض الملوك في شملة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : إن الشملة لا تكلمك ، وانما يكلمك من هو فيها . أبو حاتم ، عن الاصمعي ، قال : خرج الحجاج ذات يوم فاصحر ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغدى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا الا اعرابيا فى شملة ، فأتوه به فقال له : هلم ، قال له قد دعاني من هو أكرم منك فأجبته قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالي ، دعاني الي الصيام فأنا صائم ، قال : صوم فى مثل هذا

اليوم على حر ؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه ، قال : فافطر اليوم وصم غدا قال : ويضمن لي الامير ان أعيش الي غد ؟ قال : ليس ذلك الي قال فكيف تسألني عاجلا بآجل ليس اليه سبيل قال : انه طعام طيب قال : والله ما طيبه خبازك ولاطباخك ولكن طيبته العافية ، قال الحجاج: تاالله ما رأيت كاليوم ، أخرجوه عني .

قام عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه ، بالجبانة ، فاذا هو بأعرابي فقال : ما تصنع ههنا يا أعرابي فى هذه الديار الموحشة ؟ قال : وديعة لى ههنا يا أمير المومنين ، قال : وما وديعتك ؟ قال بنى لي دفنته ، فأنا أخرج اليه كل يوم أندبه ،قال : فأندبه حتى أسمع ، فأنشد يقول :

يا غائبا ما يؤوب من سفره   عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لي سكنا   فى طول ليلي نعم وفي قصره
شربت كأسا أبوك شاربها   لا بد يوما له على كبره
يشربها والانام كلهم   من كان فى بدوه وفى حضره
فالحمد لله لاشريك له   الموت فى حكمه وفى قدره
قد قسم الموت فى العباد فما   يقدر خلق يزيد فى عمره

٤ ﴿ قولهم فى المدح ﴾

مدح اعرابي رجلا فقال : يصم اذنيه عن استماع الخنى،ويخرس لسانه عن التكلم به ، فهو الماء الشريب ، والمصقع الخطيب.ودخل اعرابي على بعض الملوك فقال : إن جهلا ان يقول المادح بخلاف مايعرف من المدوح ، واني والله ما رأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك ، وأنشد :

مالى أري أبوابهم مهجورة وكان بابك مجمع الاسواق
حابوكأم هابوكأم شاموا الندي بيديك فاجتمعوا من الآفاق
إني رايتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

وانشد اعرابي في بني المهلب

قدمت على آل المهلب شاتيا قصيا بعيد الدار في زمن المحل
فما زال بي الطافهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم اهلي

٥ ﴿قولهم في الذم﴾

ذكر اعرابي قوما فقال: لهم بيوت تدخل حبوا، الي غير نمارق ولا وسائد، فصح الالسن برد السائل، جعد الاكف عن النائل.

وسافر اعرابي الى رجل فحرمه، فقال لما سئل عن سفره: ماربحنا في سفرنا، الا ما قصرنا من صلاتنا، فاما الذي لقينا من الهواجر، ولقيت منا الاباعر، فعقوبة لنا، فيما فسدنا من حسن ظننا، ثم انشا يقول:

رجعنا سالمين كما خرجنا وما خابت سرية سالمينا

وقال رجل من العمال لاعرابي: ماأحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة، فقال له: فان عرفت أتجعل لي على نفسك مسألة؟ قال: نعم قال:

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال: صدقت هات مسألتك، قال له: كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدرى، قال: فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك.

٦ ﴿ قولهم في الخيل ﴾

ذكر اعرابى فرسا وسرعته ، فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطانا فى أشطان ، فلما أرسلت لمع لمع البرق ، أقربها اليه الذي تقع عينيه عليه . وقال اعرابي فى فرس الاعور السلمى :

مر كلمح البرق سام ناظره   يسبح أولاه ويطفو آخره
فما يمس الارض منه حافره

٧ ﴿ قولهم فى الغيث ﴾

دخل اعرابى علي سليمان بن عبد الملك ! فقال: أصابتك سماء فى وجهك يا إعرابي؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، غير أنها سماء طخياء، وطفاء ، كأن هواديها الدلاء ، مرجحنة النواحى ، موصولة الآكام ، تكاد تمس هام الرجال، كثير زجلها ، قاصف رعدها ، خاطف برقها ، حثيث ودقها، بطيء سيرها، مثعنجر قطرها ، مظلم نوؤها ، قد لجئت الوحش الي أوطانها ، تبحث عن أصولة بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ! فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاه الشجر وتعلقنا بقنن الجبال ، لكنا جفاء فى بعض الاودية ، ولغم الطريق، فأطال الله للامة بقاءك ، ونسألها فى أجلك ببركتك ، وعادة الله بك على رعيتك، وصلى الله على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أبيك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت محبرة لقد أجدت ، قال : بل محبرة مهدورة يا أمير المؤمنين ، قال، ياغلام أعطه ، فوالله لصدقه أعجب الينا من صفته . قيل لاعرابي : أي الالوان أحسن ؟ قال : قصور بيض ، فى حدائق خضر . ابن عمران المخزومى: أتيت مع أبي واليا على المدينه من قريش ، وعنده إعرابي يقال له ابن مطير،

وإذا مطر جود ، فقال له الوالي صفه ، فقال : دعني أشرف وأنظر ، فأشرف ونظر ، ثم نزل فقال :

كثرت كـكثرة قطره أطباؤه ... فاذا تجلت فاضت الاطباء
وله رباب هيـدب لزفيره ... قبل التنعق ديمـة وطفـاء
وكأن بارقه حريق تلتقي ... ريح عليه عرفج وألاء
وكأن ريقه ولما يحتبل ... دون السماء عجاجة طخيـاء
مستضحك مستعبر بدوامع ... لم يجرها بعيونها الاقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يؤلف بينه وبكاء
حيران متبع صباه يقوده ... وجنوده كنف له ورعاء
ثقلت كلاه فبهرت أصلابه ... وتبعجت عن مائه الاحشاء
غر محجلة دوالج ضمنت ... حمل اللقاح وكلها عـذراء
سحم فهن اذا عبسن فواحم ... سود وهن اذ ضحكن وضاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق فى لجج السواحل ماء

٧ ﴿ قولهم فى البلاغة والايجاز ﴾

قيل لاعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أحسنهم لفظا ، وأسرعهم بديهة ـ شبيب بن شبة قال: لقيت اعرابيا فى طريق مكة ، فقال: تكتب ؟ قلت : نعم، قال : ومعك دواة؟ قلت: نعم، فأخرج قطعة جراب من كمه: ثم قال، ا كتب ولا تزد حرفا، ولا تنقص، هذا كتاب كتبه عبدالله بن عقيل، لأمته لؤلؤة، اني اعتقتك لوجه الله، واقتحام العقبة، فلا سبيل لي، ولا لاحد عليك، الا سبيل الولاء والمنة علي وعليك من الله وحده، ونحن فى الحق سواء ثم قال : ا كتب شهادتك

وقال : ضل اعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدي ، فرفع رأسه اليه شاكراً ، فقال : ما أدري أأقول رفعك الله فقد رفعك ، أم أقول نورك الله فقد نورك ، أم أقول حسنك الله فقد حسنك ، أم أقول عمرك الله فقد عمرك ولكن أقول جعلني الله فداك . وقيل لاعرابى وقد أدخل ناقته فى السوق ليبيعها : صف لنا ناقتك ، قال : ما طلبت عليها قط الا ادركت ، وما طلبت الا فت ، قيل له : فلم تبيعها ؟ قال : لقول الشاعر :

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر كرائم من رب بهن ضنين

وقيل لاعرابي : ما عندكم فى البادية طبيب ؟ قال : حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار

٨ (قولهم فى الاعراب)

الاصمعى قال : قلت لاعرابي أتهمز اسرائيل ؟ قال : إني اذا لرجل سوء قلت له : أفتجر فلسطين ؟ قال : إنى اذا القوي . وسمع اعرابي أبا المكنون النحوى وهو يقول فى دعائه يستنسق : اللهم ربنا ، وإلهنا وسيدنا ، ومولانا ، فصل على محمد نبينا ، ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به ، كاحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثم ارسخه على هامته ، كرسوخ السجيل علي هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثا مريعا ، مجللا ، مسحنفرا ، هزجا ، سفوحا ، طبقا ، غدقا ، مثعنجرا ، صخبا ، فقال الاعرابى : ياخليفة نوح ، الطوفان ورب الكعبة ! دعني حتي آوي الي جبل يعصمنى من الماء

٩ ﴿قولهم فى الدين﴾

قال اعرابي الدين ذل بالنهار ، وهم بالليل . الاصمعي قال : اختصم إعرابيان الي بعض الولاة فى دين لاحدهما على صاحبه ، فجعل المدعي عليه

يحلف بالطلاق والعتاق ! فقال له المدعي ، دعني من هذه الايمان ، واحلف بما أقول لك : لا ترك الله لك خفا ، يتبع خفا : ولا ظلفا يتبع ظلفا ، وأحتك من اهلك ومالك حت الورق من الشجر ، ان لم يكن لي هذا الحق قبلك ، فاعطاه حقه ولم يحلف له : الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها اعرابي أبدا ، لا أورد الله لك صادرة ، ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك.

١٠ ﴿ قولهم في النوادر والملح ﴾

الشيباني قال : خرج أبو العباس أمير المومنين متنزها بالانبار ، فأمعن في نزهته ، وانتبذ من أصحابه ، فوافي خباء لاعرابي ، فقال له الاعرابي : ممن الرجل؟ قال : من كنانة ؟ قال : من اى كنانة ، قال : من أبغض كنانة الي كنانة . قال : فانت اذا من قريش ، قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبغض قريش الي قريش ؟ قال : فانت اذا من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أي ولد عبد المطلب ؟ : قال من أبغض ولد عبد المطلب الي ولد عبد المطلب . قال : فانت اذا امير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب اليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وامر له بجائزة .

الشيباني : قال لما خرج الحجاج متصيدا بالمدينة ، وقف علي اعرابي يرعي إبلا فقال له : يا إعرابي ، كيف رايت سيرة اميركم الحجاج ؟ قال له الاعرابي غشوم ظلوم ، لا حياه الله ، فقال : فلم لا شكوتموه الي امير المؤمنين عبد الملك ؟ قال فاظلم وأغشم ، فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ إلي الاعرابي فاخذ وحمل ، فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له الحجاج ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه يا حجاج ، قال : ماتشاء يا اعرابي ، قال : السر الذي

بيني وبينك احب ان يكون مكتوما ،قال:فضحك الحجاج.وامر بتخلية سبيله

محمد بن وضاح ، يرفعه الى ابي هريرة رضي الله عنه قال:دخل اعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس فقام يصلي ، فلما فرغ قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا ، فقال النبي ﷺ لقد حجرت واسعا يااعرابي ، قال: وجيء باعرابي الى السلطان ، ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة،قال:هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي ، وانتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي .

اخذ الحجاج اعرابيا الصابالمدينه،وأمر بضربه،فلماقرعه بسوط قال : يارب شكرا ، حتى ضربه سبعمائة سوط فلقيه أشعب ،فقال له : اتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ان الله تعالى يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) قال : هذا فى القرآن ؟ قال : نعم فقال الاعرابي :

يارب لاشكر فلا تزدني أسأت فى شكرى فاعف عني
باعد ثواب الشاكرين مني

وغزا اعرابي مع النبي ﷺ فقيل له:مارأيت مع رسول الله ﷺ فى غزاتك هذه؟قال : وضع عنا نصف الصلاة وأرجو فى الغزاة الاخري أن يضع النصف الباقي.جلس اعرابي الي مجلس أيوب السختياني،فقيل له:يااعرابى لعلك قدرى قال : وما القدري فذكر له محاسن قولهم ، قال:أنا ذاك ، ثم ذكر له مايعيب الناس منهم فقال : لست بذاك ،قال : فلعلك مثبت ، قال:وما المثبت؟فذكر

محاسنهم فقال : أنا ذاك ، ثم ذكر ما يعيب الناس منهم ، فقال : لست بذاك ، قال أيوب هكذا يفعل العاقل ، يأخذ من كل شيء أحسنه . الاصمعي قال : سمع اعرابي جريرا ينشد :

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني وكاد يقتلني يوما بنعمان
وكاد يقتلني يوما بذي خشب وكاد يقتلني يوما بسلمان

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات لا يموت هـنا أبدا .

وهذا شبيه بقول اعرابية فى ابنها ، وكان لها ابن شديد العرام ، كثير القتال للناس مع ضعف أسر ، ورقة عظم ، فواثب مرة فتى من الاعراب فقطع الفتى أنفه ، فأخذت أمه دية انفه ، فحسن حالها بعد فقر مدقع ، ثم واثب آخر فقطع أذنه ، فأخذت دية أذنه ، فزادت في المال وحسن الحال ، ثم واثب آخر فقطع شفته ، فأخذت دية شفته ، فلما رات ما صار عندها من الابل والبقر ، والغنم والمتاع لجوارح ابنها ذكرته في ارجوزة لها تقول فيها :

احلف بالمروة حلفا والصفا انك خير من تفاريق العصا

قلت لاعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تقطع ساجورا ، ثم يقطع الساجور أوتادا ، ثم تقطع الاوتاد شظايا .

حضر اعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمر الي ما بين يديه فقال له الحاجب : مما يليك فكل يا اعرابي فقال : من اجدب انتجع ، فشق ذلك علي سليمان وقال للحاجب : اذا خرج عنا فلا يعد الينا .

بلغني عن محمد بن يزيد بن معاوية ، انه كان نازلا بحلب على الهيثم بن عدي فبعث الي ضيف له من عذرة أعرابي ، فقال له : حدث أبا عبدالله

بما رايت فى حضر المسلمين من الاعاجيب ، قال : نعم رايت امورا معجبة منها انني دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالي، وإذا انا بدور متباينة، وإذ اخصاص بيض بعضها الى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون، وعليهم ثياب حكوا بها أنواع الزهر ، فقلت لنفسي: هذا أحد العيدين، الفطر، أو الاضحى، ثم رجع الي ما عزب من عقلي ، فقلت : خرجت من أهلى فى عقب صفر، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فبينا أنا واقف أتعجب، إذ أتاني رجل، فأخذ بيدى ، فادخلنى بيتا قد نجد ، وفى وجهه فرش ممهدة ، وعليها شاب ينال فرع شعره كتفيه ، والناس سماطين ، فقلت فى نفسي : هذا الامير الذي يحكي لنا جلوسه وجلوس الناس حوله ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الامير ورحمة الله ؟ قال : فجذب رجل بيدى وقال : ليس بالأمير اجلس، قلت: فمن هو ؟ قال : عروس قلت : واثكل أماه ، لرب عروس بالبادية قد رأيته أهون على أصحابه من قلامة ، فلم ألبث ان أدخلت الرجال علينا آنات مقدورات من خشب ، أما ماخف منها فتحمل حملا ، واما ماثقل فيدحرج ، فوضعت امامنا ، وحلق القوم عليها حلقا، ثم أتينا بخرق بيض، فالقيت عليها ، فهممت والله ان اسأل القوم خرقة منها أرقع بها قميصى ، وذلك إنى رأيت لها نسجا متلاحما لا يتبين له سدي ولا لحمة ، فلما بسط القوم أيديهم ، اذا هو يتمزق سريعاً ، واذا صنف من الخبز لا أعرفه ، ثم أتينا بطعام كثير ، من حلو ، وحامض وحار ، وبارد، فأكثرت منه وانا لا أعلم مافى عقبه من التخم والبشم، ثم أتينا بشراب أحمر ، فى عساس بيض ، فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لى به ، لأني أخاف ان يقتلنى ، وكان الى جانبي رجل ناصح لي احسن الله عنى جزاءه

كان ينصحني بين أهل المجلس ، فقال لي يا إعرابي انك قدا كثرت من الطعام فان شربت الماء هي بطنك، فلما ذكر البطن ذكرت شيئاً أوصاني به الاشياخ، قالوا لا تزال حيا مادام بطنك شديدا ،فاذا اختلف فأوص ، فلم أزل اتداوى بذلك الشراب ولا أمله حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي،ولا عهدلى به، واقتدار على أمري ، وكان الي جانبي الرجل الناصح ، فجعلت نفسي تحدثني بهتم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى ،فبينا نحن كذلك ،هجم علينا شياطين أربعة، أحدهم قد علق جعبة فارسيه مفتحة الطرفين، قد شبكت بالخيوط،وقد ألبست قطعة فرو ، كأنهم يخافون عليها القر ، ثم بدا الثاني ، فاستخرج من كمه هنة ، فوضع طرفها فى فيه ، فصوت فيها ثم جلس على حجزتها ، فاستخرج منها صوتا مشاكلا بعضه بعضا ، ثم بدا الثالث ، وعليه قميص وسخ ، وقد غرق رأسه بالدهن ، معه سرتان ، فجعل يمر أحداهما على الاخري،ثم بدا الرابع،عليه قميص قصير ، وسراويل قصيرة ، فجعل يقفز صلبه ويهز كتفيه ، ثم التبط بالارض ، فقلت : معتوه ورب الكعبة ، ثم مابرح مكانه ، حتى كان أغبط القوم عندي، ثم أرسلت الينا النساء ان امتعونا من لهوكم، فبعثوا بهم اليهن ،وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا ، وكان معنا فى البيت شاب لا آنة له ، فعلت الاصوات له بالدعاء ، فخرج بخشبة فى يده ، عينها فى صدرها ، فيها خيوط اربعة،فاستخرج من جوانبها عودا فوضعه على أذنه ، ثم زم الخيوط الظاهرة ، فلما أحكمها عرك اذنها ، فنطق فوها ، فاذا هي أحسن قينة رأيتها قط ، فاستخفني حتى قمت من مجلسي ، فجلست إليه ، فقلت : بأبي أنت وأمي ،ماهذه الدابة ؟ قال :ياإعرابي هذا البربط ، قلت فما هذه الخيوط ؟ قال : أما الاسفل فزير ، والذى يليه

مثني ، والذي يليه مثلث ، والذي يليه بم ، فقلت : آمنت بالله .

وحضر اعرابي سفرة سليمان بن عبدالملك ، فلما أتي بالفالوذج ، جعل يسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ماتأكل ياإعرابي؟ فقال : بلي ياأمير المؤمنين، انى لأجدريقا هنيئاً، ومزدردا لينا ، وأظنه الصراط المستقيم، الذي ذكره الله فى كتابه ، قال : فضحك سليمان ،وقال : أزيدك منه يااعرابي، فانهم يذكرون أنه يزيد فى الدماغ ، قال : كذبوك ياأمير المؤمنين ، لو كان كذلك ،لكان رأسك مثل رأس البغل . وحضر سفرة سليمان اعرابي ، فنظر الي شعرة فى لقمة الاعرابي ، فقال : أري شعرة فى لقمتك ياإعرابي ، قال: وأنك لتراعيني مراعاة من يبصر الشعرة فى لقمتي ، والله لا واكلتك أبدا ، فقال : استرها ياإعرابي فانها زلة ، ولا أعود الي مثلها .

١٢ فى الاجوبة

قال احمد بن عبد ربه: قد مضى قولنا فى كلام الاعراب خاصة ونحن قائلون بعون الله فى الجوابات التي هى أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطلبا ، وأغمضه مذهبا ، وأضيقه مسلكا ، لان صاحبه يعجل مناجاة الفكرة ، واستعمال القريحة ، يروم فى بديته ، نقض ما أبرم القائل فى رويته فهو كمن أخذت عليه الفجاج ، وسدت عليه المخارج ، قد اعترض للاسنة ، واستهدف للمرامي ، لا يدرى ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما يفجؤه من خصمه ، فيقرعه بمثله ، ولا سيما اذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه ، بعد أن رأي فيه واحتفل، وجمع خواطره واجتهد، وترك الرأي يغب

حتي يختمر ، فقد كرهوا الرأى الفطير ، كما كرهوا الجواب الدبري، فلا يزال فى نسخ الكلام واستئناسه حتى اذا اطمأن شارده ، وسكن نافره ، صك به خصمه جملة واحدة، ثم قيل له أجب ولا تخطىء ، واسرع ولا تبطىء، فتراه جاء بجواب من غير اناة ولا استعداد يطبق المفاصل، وينفذ المقاتل، كما يرمى الجندل بالجندل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عراه، وينقض به مرائره ، ويكون جوابه على أكثر كلامه ، كسحاب لبدت عجاجه، فلا شيء أعضل من الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الالد، الذي يقرع صاحبه، ويسرع منازعه، بقول كمثل النار فى الحطب الجزل .

قال ابو الحسن: أسرع الناس جوابا عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب . وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا مع اصابة معنى، وإيجاز لفظ، وقال رجل لعقيل : انك لخائن حيث تركت أخاك وترغب الي معاوية، قال: أخون مني والله من سفك دمه بين أخي وابن عمي أن يكون أحدهما أميرا .

١ ﴿ جواب ابن عباس رضي الله عنهما لمعاوية وأصحابه ﴾

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية ، وفيهم عبدالله بن عباس، وكان جريئا على معاوية ، حقارا له : فبلغه عنه بعض ما غمه فقال معاوية: رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيين دون الناس ، فحفظت الميت فى الحى ، والحي فى الميت ، استعملك علي يابن عباس علي البصرة ، واستعمل عبيد الله أخاك على اليمن ، فلما كان من الامر ما كان ، هنأتكم ما في أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم ، وقلت آخذ اليوم واعطى غدا ، وعلمت ان بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لاخذت بحلاقيمكم ، وقيأتكم ما اكلتم،

لا يزال يبلغني عنكم ما لا تبرك له الابل ، وذنوبكم الينا أكثر من ذنوبنا اليكم ، خذلتم عثمان بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني بصفين ، ولعمري لبنو تيم وعدي ، أعظم ذنوبا منا اليكم ، إذ صرفوا عنكم هذا الامر ، وسنوا فيكم هذه السنة ، فحتى متى أغضي الجفون على القذى، وأسحب الذيول على الاذى ، وأقول لعل الله وعسي ، ما تقول يا ابن عباس ؟ قال: فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين، لم يكن لابي من مال الا ما فضل لابيك ، وكان ابوك كذلك لابي، ولكن من هنأ اباك باخاء ابي اكثر ممن هنا ابي باخاء أبيك نصر ابي اباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الاسلام ، واما استعمال علي إيانا فلنفسه دون هواه، وقد استعملت انت رجالا لهواك لا لنفسك ، ابن الحضرمي على البصرة فقتل، وابن بشير بن أرطاة على اليمن فخان ، وحبيب بن مرة على الحجاز فرد ، والضحاك بن قيس الفهرى على الكوفة فحصب ،ولو طلبت ماعندنا وقينا أعراضنا، وليس الذى يبلغك عنا بأعظم من الذى يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم الينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنها ، وأما خذلنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفين فعلى تركك الحق وادعائك الباطل، وأما اغراؤك إيانا بتيم وعدي فلو أردناها ماغلبونا عليها ، وسكت . فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابن حرب عظيم القدر فى الناس ... حتي رماه بما فيه ابن عباس

مازال يهبطه طورا ويصعده ... حتى استقاد وما بالحق من باس

لم يتركن خطة مما يذلله الا كواه بها في فروة الراس

وقال ابن أبى مليكة : مارأيت مثل ابن عباس ، إذرأيته رأيت أفصح الناس ، فاذا تكلم فاعرب الناس ، واذا أفتي فأفقه الناس، مارأيت أكثر صوابا ، ولا أحضر جوابا من ابن عباس . عثمان الحرامى ، قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال . يابني هاشم والله ان خيرى لكم لممنوح ، وان بابي لكم لمفتوح ، ولما نظرت فى أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا ، إنكم لترون أنكم أحق بما في يدى منى ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا ،وقصر بنا عن قدرنا ،فصرت كالمسلوب والمسلوب لاحمد له ، وهذا مع إنصاف قائلكم ، واسعاف سائلكم ، قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله مامنحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك فالله أوسع منك ، ولئن اغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه الا ما لرجل من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان ، حق في الغنيمة ، وحق في الفيء ، فالغنيمة ماغلبنا عليه ، والفيء مااجتنيناه ، لولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ، ولا حافر ، أكفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاني ، فانك لاتهر ، ولا تنشج . الشعبي قال : دخل الحسين بن علي يوما علي معاوية ، ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش ، فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين ، وأجلسه علي سريره ، وقال : تري هذا القاعد يعنى ابن الزبير فانه ليدركه الحسد لبني عبد مناف ، فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله ﷺ . لكن ان شئت اعلمتك فضل الزبير على أبيك

أبي سفيان فعلت . فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي فقال يابن الزبير ان مولاي ما منعه من الكلام ، إلا أن يكون طلق اللسان ، رابط الجنان فان نطق نطق بعلم ، وان صمت صمت بحلم ، غير أنه كف الكلام ، وسبق الي السنان ، فاقرت بفضله الكرام ، وأنا الذي أقول :

فيم الكلام لسابق في غاية والناس بين مقصر ومبلد
ان الذي يجرى ليدركه شأوه ينمي بغير مسود ومسدد
بل كيف يدركه نور بدر ساطع خير الانام وفرع آل محمد

فقال معاوية : صدق قولك ياذكوان ، أكثر الله فى موالي الكرام مثلك ، فقال ابن الزبير : ان ابا عبد الله سكت وتكلم مولاه ولو تكلم لاجبناه أو لكففنا عن جوابه اجلالا له ، ولا جواب لهذا العبد ، قال ذكوان: هذا العبد خير منك ! قال رسول الله ﷺ : مولي القوم منهم ، فأنا مولى رسول الله ﷺ ، وأنت ابن العوام بن خويلد ، فنحن أكرم ولاء ، وأحسن فعلا قال ابن الزبير : اني لست أجيب هذا ، فهات ما عندك ، فقال معاوية : قاتلك الله يابن الزبير ، ما أعياك وأبغاك ! أتفخر بين يدى أمير المؤمنين وابي عبد الله ، إنك المتعدى لطورك ، الذي لا تعرف قدرك ، فقس شبرك بفترك ثم تعرف كيف تقع بين عرانين بني عبد مناف ، أما والله لئن دفعت في بحور بني عبد شمس ، لتقطعنك بأمواجها ، ثم لتوهنن بك فى أجاجها ، فما بقاؤك فى البحور اذا غمرتك ، وفى الامواج اذا بهرتك ، هنالك تعرف نفسك ، وتندم على ما كان من جرأتك ، وتمنى ما أصبحت فيه من أمان ، وقد حيل بين العير والنزوان ، فاطرق ابن الزبير مليا ، ثم رفع رأسه ،

فالتفت الي من حوله ثم قال : أسألكم بالله أتعلمون أن أبي حواري رسول الله ﷺ وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله ﷺ ؟ وان أمى اسماء بنت أبي بكر الصديق وأمه هند آكلة الاكباد ، وجدي الصديق وجده المشدوخ ببدر رأس الكفر ، وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب وعمته أم جميل حمالة الحطب ، وجدتي صفية وجدته حمامة ، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد ﷺ وزوج عمته شر ولد آدم ابو لهب سيصلى نارا ذات لهب، وخالتي عائشة أم المؤمنين وخالته أشقى الاشقين ، وانا عبد الله وهو معاوية ، قال له معاوية ويحك يا ابن الزبير ، كيف تصف نفسك بما وصفتها ، والله مالك في القديم من رياسة ، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قد نالك وسدناك قديما وحديثا ، لا تستطيع لذلك إنكارا ، ولا عنه فرارا ، وان هؤلاء الحضور ليعلمون أن قريشا قد اجتمعت يوم الفجار على رياسة حرب بن أمية ، وان أباك واسرته تحت رايته ، راضون بامارته ، غير منكرين لفضله ، ولا طامعين في عزله ، ان أمر أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فما زالت فينا القيادة ، وعز الولاية ، حتى بعث الله عز وجل محمدا ﷺ ، فانتخبه من خير خلقه من أسرتي لا أسرتك وبني أبي لا بني أبيك ، فجحدته قريش أشد الجحود، وأنكرته أشد الانكار وجاهدته أشد الجهاد ، الا من عصم الله من قريش ، فما ساد قريشا وقادهم الا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقي ورئيس الهدى منا ، ورئيس الضلالة منا ، فهديكم تحت راية مهدينا ، وضالكم تحت راية ضالنا ، فنحن الارباب وأنتم الاذناب ، حتى خلص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم

شركه ، وعصمه بالاسلام من عبادة الاصنام ، فكان في الجاهلية عظيما شأنه وفى الاسلام معروفا مكانه ، ولقد أعطى يوم الفتح مالم يعط أحد من آبائك وإن منادي رسول الله ﷺ نادى من دخل المسجد فهو آمن . ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، وكانت داره حرما لا دارك ولا دار أبيك ، وأما هند فكانت امرأة من قريش ، فى الجاهلية عظيمة الخطر ، وفى الاسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصديق فبتصديق عبد مناف سمي صديقا لا بتصديق عبد العزي ، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ ببدر ، فلعمري لقد دعا الي البراز هو وأخوه وابنه فلو برزت اليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء كما قد طاب ذلك غيركم فلم يقبلوهم حتى برز اليهم اكفاؤهم من بنى أبيهم ، فقضى الله منايا هم بأيديهم ، فنحن قتلنا ونحن قتلنا ، وما أنت وذاك ، وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرفت وسميت ام المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، واما صفية فهي أدنتك من الظل ولولاها لكنت ضاحيا ، وأما ما ذكرت من ابن عمك وخال أبيك سيد الشهداء فكذلك كانوا رحمهم الله ، ونخرهم وارثهم لي دونك ولا نخر لك فيهم ، ولا ارث بينك وبينهم ، وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش اينا اجود فى الازم ، واحزم فى القدم ، وأمنع للحرم ، لا والله ما أراك منتهيا حتي تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم ، وقدم اليهم الخيول ، وخدعتم أم المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله ﷺ ، اذ مددتم على نسائكم السجوف ، وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا ، فلم ينجه ذلك ان طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد بأيدى العبيد ،

وأما أنت فأفلت بعد أن خمشتك براثينه ، ونالتك مخالبه،وايم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها ، او لتصبحن منها صباح أبيك بوادى السباع،وما كان ابوك المدهن خدعه ، ولكنه كما قال الشاعر :

تناول سرحان فريسة ضيغم فقضقضه بالكف منه وحطما

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير ، وذكر له الحسين فقال: ان يطلب هذا الامر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وان يتركه يتركه لمن هو فوقه وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة،ولا ترده مودة ، يسومكم خسفاً ، ويوردكم تلفا ، قال ابن الزبير: اذاً والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد ، حافاتها الاسل ، لها دوي كدوي الريح، تتبع غطريفا من قريش ، لم تكن أمه براعية ثلة ، قال معاوية: أنا ابن هند اطلقت عقال الحرب ، وشربت عنفوان المكرع ، وليس للآكل الا الفلذة ، ولا للشارب الا الرنق .

قال الحسن بن على ، لحبيب بن سلمي الفهري ، رب مسير لك فى غير طاعة الله ، قال : اما مسيري الي ابيك فلا . قال : بلى ولكنك اطعت معاوية عن دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك فى دنياك ، لقد قعد بك في آخرتك ،ولو كنت اذ فعلت شرا قلت خيرا ، كنت كما قال الله عز وجل : (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله:(بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

قدم عبد الله بن جعفر ، على عبد الملك بن مروان،فقال له يحى بن الحكم: ما فعلت خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ، يسميها رسول الله ﷺ طيبة،وتسميها خبيثة لقد اختلفتما في الدنيا، وستختلفان فى الاخرة، قال يحي :لان أموت

بالشام أحب الى من أموت بها ، قال : اخترت جوار النصاري على جوار رسول الله ﷺ ؟ قال يحي . ماتقول فى على وعثمان ؟قال ماقاله من هو خير مني ، فيمن هو شر منهما (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم)

٢ ﴿ مجاوبة بين معاوية وأصحابه ﴾

قال معاوية يوما وعنده الضحاك بن قيس، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص : ما أعجب الاشياء ؟ قال الضحاك بن قيس : اكداء العاقل، واجداء الجاهل ، وقال سعيد بن العاص : اعجب الأشياء ما لم ير مثله، وقال عمرو بن العاص: أعجب الاشياء غلبة من لا حق له ، ذا الحق على حقه ، قال معاوية أعجب من هذا أن تعطى من لا حق له ، ماليس له بحق من غير غلبة .

وقال معاوية لابن الزبير : تنازعنى هذا الأمر كأنك أحق به مني؟ قال : لم لا أكون أحق به منك يامعاوية وقد أتبع أبي رسول الله ﷺ على الايمان ، وأتبع الناس أباك على الكفر، قال معاوية : غلطت يابن الزبير، بعث الله ابن عمي نبياً فدعا أباك فأجابه ، فما أنت الا تابع لى ، ضالا كنت أو مهديا .

العتبي قال دعا معاوية : مروان بن الحكم ، فقال له : أشر على فى الحسين قال: تخرجه معك إلى الشام ، فتقطعه عن أهل العراق ، وتقطعهم عنه ، فقال أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به ، فان صبرت عليه صبرت على ما أكره وإن أسأت اليه كنت قد قطعت رحمه ، فأقامه ، وبعث إلي سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عثمان أشر على فى الحسين ، فقال : والله إنك ما تخاف الحسين الا على من بعدك ، وإنك لتخلف له قرنا إن صارعه ليصرعنه ، وإن سابقه

ليسبقنه ، فذر الحسين منبت النخلة ، يشرب من الماء ، ويصعد فى الهواء ، ولا يبلغ إلى السماء ، قال : فما غيبك عني يوم صفين ؟ قال : تحملت الحرم وكفيت الحزم ، وكنت قريباً لو دعوتنا لاجبناك ، ولو ثلمت لرقعناك ، قال معاويه : يا أهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

٣ ﴿ مجاوبة بين بنى أمية ﴾

قال : لما أخرج أهل المدينة ، عمرو بن سعيد الاشدق ، وكان وليهم بعد الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، قال عمرو بن سعيد لمعاوية : ان الوليد بن عتبة هو أمر أهل المدينة باخراجى ، فارسل اليه وتوثقه ، فارسل اليه معاوية، فلما دخل عليه قال له عمرو : أوليد أنت أمرت باخراجى ؟ قال : لا ورحمك أبا أمية ، ولا أمرت أهل الكوفة باخراج أبيك ، بل كيف أطاعني أهل المدينة فيك الا أن تكون عصيت الله فيهم ، إنك لتحل عري ملك شديدة عقدتها ، وتمتري اخلاف فتنة سريعة درتها ، وما جعل الله صالحا مصلحا ، كفاسد مفسد .

جلس يوما عبد الملك بن مروان ، وعند رأسه خالد بن عبد الله بن أسيد ، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن أسيد ، وأدخلت عليه الاموال التي جاءت من قبل الحجاج ، حتي وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الامانة ، لا ما فعل هذا ، وأشار الي خالد ، استعملته على العراق فاستعمل كل ملط غاش ، فأدوا العشرة واحدا ، وأدي الي من العشرة واحدا ، واستعملت هـذا على خراسان ، وأشار الى أمية ، فأهدي الي برذونين حطمين ، فان استعملتكم ضيعتم ، وان عزلتكم قلتم : استخف بنا ، وقطع أرحامنا ، فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهله رجلان ، سامع مطيع مناصح وعدو مبغض

مكاشح ، فأما السامع المطيع المناصح ، فانا جزيناه ليزداد ودا الى وده ، وأما المبغض المكاشح فاناداريتا ضغنه وسللنا حقده ، وكثرنا لك المودة فى صدور رعيتك ، وان هذا جبي الاموال، وزرع لك البغضاء فى قلوب الرجال، فيوشك أن تنبت البغضاء ، فلا أموال ولا رجال، فلما خرج ابن الاشعث، قال عبد الملك: هذا والله ماقال خالد .

لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ، وولاها عبد الله بن أبي سرح، دخل عليه عمرو ، وعليه جبة فقال له : ما حشو جبتك ياعمرو؟ قال: أنا قال: قد علمت انك فيها ثم قال : أشعرت ياعمرو ان اللقاح درت بعدك البانها بمصر ؟ قال لانكم أعجفتم أولادها .

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابن لسليمان بن عبد الملك كلام، فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان ، ان شئت فأقلل ، وان شئت فاكثر، ما كان ابوك الا حسنة من حسنات أبي ، لان سليمان هو الذى ولي عمر بن عبد العزيز. وقال الحجاج لرجل من الخوارج: والله انك من قوم أبغضهم، قال له: ادخل الله اشدنا بغضا لصاحبه الجنة. وقال الحجاج لامرأة من الخوارج والله لاعدنكم عدا ، ولا حصدنكم حصدا، قالت له: لله يزرع وانت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق؟ وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج، فقال لاصحابه: ماتقولون فيها ؟ قالوا . عاجلها القتل ايها الامير، قالت الخارجية: لقد كان وزراء صاحبك خيرا من وزرائك ياحجاج ، قال لها : ومن صاحبي؟ قالت : فرعون استشارهم فى موسى فقالوا : أرجه واخاه . قال الاشعث بن قيس لشريح القاضي :لشد ما ارتفعت ؟ قال فهل رايت ذلك ضرك ، قال لا ، قال: فأراك

تعرف نعمة الله على وتجهلها على نفسك . نازع محمد بن الفضل بعض قرابته في ميراث فقال له : يازنديق ، قال له : ان كان ابي كما تقول وانا مثله فلا يحل لك ان تنازعني هذا الميراث ، اذ كان لا يرث دين دينا .

وتكلم الناس عند معاوية في يزيد ابنه اذ أخذ له البيعة ، وسكت الاحنف ، فقال له : مالك لا تقول ابا بحر ! قال : اخافك ان صدقت ، واخاف الله ان كذبت قال معاوية يوما : ايها الناس ان الله فضل قريشا بثلاث فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : (وانذر عشيرتك الاقربين) فنحن عشيرته ، وقال : (وانه لذكر لك ولقومك) فنحن قومه ، وقال : (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ونحن قريش ، فأجابه رجل من الانصار فقال : على رسلك يامعاوية ، فان الله يقول : (وكذب به قومك) وأنتم قومه وقال : (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) وأنتم قومه وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » وأنتم قومه ، ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتنا لزدناك ، فأفحمه . وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ﷺ : اللهم « ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه .

٤ ﴿ مجاوبة الامراء والرد عليهم ﴾

قال معاوية ، لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهلك اذ سموك

جارية قال : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معـاوية ، وهى الانثى من الـكلاب قال : لا أم لك ، قال : أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها في أيدينا ، قال : انك لتهددني ، قال : انك لم تفتحنا قسرا ، ولم تملكنا عنوة ، ولـكنك أعطيتنا عهدا وميثاقا ، وأعطيناك سمعا وطاعة ، فان وفيت لنا وفينا لك ، وإن فزعت الى غير ذلك فانا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حدادا ، قال له معاوية : لا أكثر الله فى الناس أمثالك ، قال جارية : قل معروفا وراعنا ، فان شر الدعاء المحتطب .

عدد معاوية بن أبى سفيان ، على الاحنف ذنوبا ، فقال : ياأمير المؤمنين لم ترد الامور على أعقابها ، أما والله ان القلوب التي ابغضناك بها لبين جوانحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ، ولئن مددت فترا من غدر ، لنمدن باعا من ختر ، ولئن شئت لتصفين كدر قلوبنا بصفو حلمك ، قال : فانى أفعل .

قال معاوية لعدى بن حاتم : مافعلت الطرفات ياابا طريف؟ يعني اولاده قال : قتلوا ، قال ما أنصفك ابن أبي طالب ، إذا قتل بنوك معه ، وبقي له بنوه قال : لئن كان ذلك ، لقد قتل هو ، وبقيت أنا بعده ، قال له معاوية : ألم تزعم أنه لا يختنق فى قتل عثمان عنزان ، قال : قد والله خنق فيه التيس الاكبر ، قال معاوية : أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ، ولا بد أن أتبعها ، قال عدى : لا أبالك شم السيف فان سل السيف نسل السيف ، فالتفت معاوية الى حبيب بن سلمة فقال : اجعلها فى كتابك فانها حكمة .

الشيباني ، عن أبي الحباب الـكندى ، عن ابيه ، أن معاوية بن أبي سفيان ، بينا هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيبا ،

فكان آخر كلامه أن لعن عليا ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : ياأمير المؤمنين ، إن هذا القائل ماقال آنفا ، لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم. فاتق الله ، ودع عنك عليا ، فقد لقي ربه ، وأفرد في قبره ،وخلا بعمله ،وكان والله المبرز سيفه ، الطاهر ثوبه ،الميمون نقيبته، العظيم مصيبته، فقال معاوية: ياأحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ،وقلت ماترى ، وايم والله لتصعدن المنبر فتلعننه طوعا أو كرها ، فقال له الأحنف : ياأمير المؤمنين إن تعفني فهو خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لاتجرى فيه شفتاي أبدا ، قال: قم فاصعد المنبر ، قال الاحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل، قال : وما أنت قائل ياأحنف ان انصفتني ؟ قال : أصعد المنبر فأحمد الله بماهو أهله، وأصلي على نبيه ﷺ ، ثم أقول:أيهاالناس إن أمير المومنين معاوية أمرني ان ألعن عليا ، وأن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا وادعى كل واحد منهما انه بغى عليه وعلى فئته ، فاذا دعوت فأمنو رحمكم الله ، ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتك ، وانبياءك ، وجميع خلقك ، الباغي منهما على صاحبه ، والعن الفئة الباغية ، اللهم العنهم لعنا كثيرا ، أمنوا رحمكم الله ، يامعاوية لاأزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ، ولو كان فيه ذهاب نفسي ، فقال معاوية : اذاً نعفيك ياأبا بحر .

وقال معاوية لعقيل بن ابي طالب : إن عليا قد قطعك ووصلتك، ولا يرضيني منك الا أن تلعنه على المنبر قال : أفعل فأصعد فصعد ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوه، فعليه لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين ، ثم نزل.

فقال له معاوية : إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بيني وبينه ، قال : والله لازدت حرفا ، ولا نقصت آخر ، والكلام الى نية المتكلم .

الهيثم بن عدي قال:قال معاوية لأبي الطفيل : كيف وجدك على علي؟ قال وجد ثمانين مثكلا قال : فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسى والي الله اشكو التقصير . وقال مرة اخري : ابا الطفيل قال : نعم قال : انت من قتلة عثمان ؟ قال : لا ولكن ممن حضره ولم ينصره ، قال : وما منعك من نصره ، قال : لم ينصره المهاجرون والانصار فلم أنصره ، قال : لقد كان حقه واجباً ، وكان عليهم أن ينصروه ، قال : فما منعك من نصرته ياأمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ماطلبي بدمه نصرة له ؟ فضحك أبوالطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان كما قال الشاعر :

لاعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني زاداً

دخل زيد بن علي ، على هشام بن عبدالملك ، فلم يجد موضعاً يقعد فيه ، فعلم أن ذلك فعل به على عمد ، فقال : ياأمير المؤمنين ، انه لايكبر أحد فوق تقوي الله ، ولا يصغر دون تقوي الله ، قال له هشام : بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها انك ابن أمة ، قال زيد : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله ، وأما قولك اني ابن أمة فهذا اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن ابن امة من صلبه خير البشر محمد ﷺ ، واسحق ابن حرة اخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ، فلما خرج من عنده قال : ما احب احد قط الحياة الا ذل ، قال له حاجبه : لايسمع هذا الكلام منك احد ، وقال زيد بن علي :

شرده الخسوف وازرى به كذاك من يكره حر الجلاد
محتفي الرجلين يشكو الوجا تقرعه اطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة والموت حتم فى رقاب العباد

ثم خرج بخراسان فقتل ، وصلب فى كناسة .

دخل رجل من قيس ، علي عبدالملك بن مروان ، فقال : زبيرى والله لا يحبك قلبي ابداً قال : يا أمير المؤمنين ، انما يجزع من فقد الحب النساء ، ولكن عدل وانصاف . وقال عمر بن الخطاب ، لابى مريم الحنفى قاتل زيد بن الخطاب : والله لا يحبك قلبي ابداً ، حتى تحب الارض الدم ، قال : يا امير المؤمنين فهل تمنعني لذلك حقاً ؟ قال : لا قال : فحسبي . دخل يزيد ابن مسلم ، على سليمان بن عبدالملك ، فقال : على امرىء أوطأك رسنه وسلطك على الامة لعنة الله ، قال : يا أمير المؤمنين انك رأيتني والامر مدبر عني ، ولو رأيتنى والامر مقبل على ، لعظم فى عينك ما استصغرت منى ، قال : أتظن الحجاج استقر فى قعر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ان الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فضعه من النار حيث شئت وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث : بلغني أن كندة تدعيك ، قال : لا خير فيمن لا يتقى رهبة ، ولا يدعى رغبة . قال مروان بن الحكم ، للحسن ابن دلجة : إني أظنك أحمق قال : ما يكون الشيخ اذا أعمل ظنه ؟ وقال مروان لحويطب بن عبدالعزى وكان كبيراً مسناً : أيها الشيخ أخر إسلامك حتى سبقك الاحداث ، فقال : الله المستعان ، والله لقد هممت بالاسلام غير مرة كل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ، ويقول يضع من قدرك ، وتترك

دين ابائك لدين محدث ، وتصير تابعاً ، فسكت مروان . جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من على ، فقال له رجل من بني تميم : ياأمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم ، فالتفت معاوية إلي زياد فقال : هذا رجل فاستوص به . قال معاوية يوما : يامعشر الانصار لم تطلبون ماعندى ، فوالله لقد كنتم قليلا معي ، كثيراً مع على ، ولقد فللتم حدى يوم صفين ، حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم ، ولقد هجوتموني بأشد من وخز الاسل ، حتى اذا أقام الله منا ماحاولتم ميله ، قلتم : ارع فينا وصية رسول الله ﷺ ، هيهات أبي الخبير المذر ، فأجابه قيس بن سعد قال : أما قولك جئناك نطلب ما عندك فبالاسلام الكافى فقدما سواه ، لا ما تمت به من الاحزاب ، وأما فللناحدك يوم صفين ، فأمر لانعتذر منه ، وانما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتها عنك ، وأما هجاؤنا إياك فقول يثبت حقه ، ونزول باطله ، وأما وصية رسول الله ﷺ ، فمن يؤمن بها يحفظها من بعده ، فدونك أمرك يامعاوية ، فانما مثلك كما قال الشاعر :

يالك من قبرة بمعمر خلالك الجو فبيضي واصفرى

مر عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون ، وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففروا وثبت ابن الزبير ، فقال له عمر : كيف لم تفر مع أصحابك ؟ قال : لم اجترم فاخافك ، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسع لك . وقال عبد الله بن الزبير ، لعدى بن حاتم : متي فقئت عينك ؟ قال : يوم قتل ابوك ، وهربت عن خالتك ، وانا للحق ناصر ، وانت له خاذل ، وكان فقئت عينه يوم الجمل . كان المسور بن مخرمة جليلا نبيلا ، وكان يقول فى يزيد بن معاوية انه يشرب الخمر ، فبلغه ذلك ،

فكتب الي عامله بالمدينة ، ان يجلده الحد ، ففعل ، فقال المسور فى ذلك .

ايشر بها صرفا يفض ختامها ابو خالد ويجلد الحد مسور

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، على خالد بن عبد الله القسري ، بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرض به : ان هنا رجالا يداينون فى اموالهم ، فاذا فنيت يداينون فى اعراضهم ، فعلم القرشي انه يعرض به فقال : اصلح الله الامير ان رجالا تكون اموالهم اكثر من مروءاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ، ورجال لا تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم ، فاذا تقدت ادانوا على سعة ما عند الله فخجل خالد وقال : أما انك منهم ما علمت . وقال المنذر بن الجارود العبدى ، لعمرو بن العاص : أي رجل أنت لو لم تكن أمك ممن هى ؟ قال : أحمد الله اليك ، لقد فكرت فيها البارحة فجعلت أنقلها فى قبائل العرب ، فما خطرت لي عبد القيس ببال : خرج ابراهيم النخعى ، وقام سليمان الاعمش يمشى معه ، فقال ابراهيم : إن الناس اذا رأونا قالوا أعور وأعمش ، قال : وما عليك أن يأثموا ونؤجر ، قال : وما عليك أن يسلموا ونسلم . وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، فقلت لمن أنت يا أسود ، قال لسيد الحي يا أصلع ، قلت : ما أغضبك من الحق ، قال لي : الحقَ أغضبك ، قلت : أو لست بأسود ؟ قال : أو لست بأصلع ؟ وكان رجل يحدث بأخبار بني اسرائيل ، فقال له الحجاج بن خيثمة ، كيف كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال : خيثمة ، فقال له رجل من ولد أبي موسي الاشعري : أين وجدت هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاص . بعث بلال ابن أبي بردة ، فى ابن أبي علقمة الممرور ، فلما أتي قال : أندري لم بعثت إليك ؟ قال . لا ادري قال .

بعثت اليك لاضحك بك قال : لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه ، يعرض له بجذه أبي موسى ، فغضب عليه بلال وأمر به الى الحبس ، فكلمه الناس وقالوا: إن المجنون لا يعاقب، ولا يحاسب، فأمر باطلاقه، وأن يؤتى به اليه ، فأتي به في يوم سبت ، وفى كمه طرائف ، أتحف بها في الحبس ، فقال له بلال: ما هذا الذى فى كمك ؟ قال : من طرائف الحبس ، قال : ناولنى منها، قال: هو يوم السبت ليس يعطى فيه ولا يؤخذ ، يعرض بعمة كانت له من اليهود. خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك ، يوما بحمص فى يوم مطر عليه طيلسان ، وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : افسدت ثوبك ابا عبد الله قال : وما يضرك ؟ قال : وددت انك وهو فى النار قال : وما ينفعك . لما قدم عبد الملك بن مروان المدينة، نزل دار مروان ، فمر الحجاج بخالد بن يزيد ابن معاوية ، وهو جالس فى المسجد ، وعلي الحجاج سيف محلي ، وهو يخطر متبخترا في المسجد ، فقال له رجل من قريش : ماهذه التخطارة ؟ فقال خالد : بخ بخ هذا عمرو بن العاص ، فسمعه الحجاج فمال إليه ، فقال : قلت هذا عمرو بن العاص ، والله ماسرني ان العاصى ولدني ولا ولدته، ولكن إن شئت أخبرتك من أنا ، أنا ابن الاشياخ من ثقيف ، والعقائل من قريش، والذى ضرب مائة الف بسيفه هذا ، كلهم يشهد على أبيك بالكفر ، وشرب الخمر، حتى أقروا أنه خليفة ، ثم ولى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص . قال رجل من بنى أبى لهب ، لوهب بن منبه : ممن الرجل ؟ قال : رجل من اليمن، قال: فما فعلت أمكم بلقيس ، قال : هاجرت مع سليمان لله رب العالمين ، وأمكم حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد. وقال رجل لابن شبرمة : من عندنا خرج

العلم إليكم قال :نعم ثم لم يرجع إليكم .وقال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة فى منامي ، فرأيت جميع مافيها من القصور ، فقلت: لمن هذه ؟ فقيل لى: للعرب ، قال له رجل من الموالي : أصعدت الغرف ؟ قال لا قال : تلك لنا . قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لي اليك حاجة قال : بحاجة أقضيها ياأمير المؤمنين ، فسل حاجتك قال: أريد أن تهب لى دورك وضياعك بالطائف. قال : قد فعلت قال : وصلتك رحم فسل حاجتك قال : حاجتي اليك ان تردها على ياأمير المؤمنين قال : قد فعلت .

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى اليك حاجة قال : وأنا لي اليك حاجة قال : وما حاجتك ؟ قال : فتقضيها قال : نعم، فلما توثق منه قال : فان حاجتى اليك أن لا تسألنى حاجة . قال عبدالملك بن الحجاج . لو كان رجل من ذهب لكنته ، قال له رجل من قريش : وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدني أمة بيني وبين آدم ماخلا هاجر ، فقال له : لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب . تنازع الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، في بعض الامر فقال الزبير : أنا ابن صفية قال عثمان : هى أدنتك من الظل ولولا ذاك لكنت ضاحيا . سأل رجل من قريش ، رجلا من بني قيس بن ثعلبة ، ممن أنت ؟ قال :من ربيعة ، قال له القرشي : لا أثر لكم ببطحاء مكة ، قال القيسي. آثارنا في أكناف الجزيرة مشهورة، ومواقفنا في يوم ذي قار معروفة، فاما مكة فسواء العاكف فيه والباد ، كما قال الله تعالي فأفحمه . قدم اعرابي البصرة، فدخل المسجد الجامع وعليه عمامة قد كورها على رأسه فرمى بطرفه يمنة ويسرة فلم ير فتية أحسن وجوها ، ولا اظهر زيا، من فتية حضروا حلقة عتبة

المخزومي ، فدنا منهم وفى الحلقة فرجة فطبقها ، فقال له عتبة: ممن انت يااعرابى قال : من مذحج قال : من زيدها الاكرمين ، أو من مرادها الاطيبين ، قال : لست من زيدها ، ولا من مرادها ، ولكني من حماة اعراضها ، وزهرة رياضها بني زبيد قال : فأفحم عتبة حتي وضع قلنسوته عن راسه وكان اصلع ، فقال له الاعرابي فانت ياأصلع ممن انت ، قال: انا رجل من قريش قال : فمن بيت نبوتها او من بيت مملكتها ، قال من ريحانتها بني مخزوم قال والله لو تدري لم سميت بنو مخزوم ريحانة قريش ، ما فاخرت بها أبدا ، إنما سميت ريحانة قريش لخور رجالها ، ولين نسائها ، قال عتبة : والله لا نازعت إعرابيا بعدك أبدا . قال أحمد بن أبي دواد : دخلت على الواثق فقال : ما زال قوم اليوم فى ثلبك ونقصك فقلت: ياأمير المؤمنين لكل أمريء منهم ما اكتسب والذي تولي كبره منهم له عذاب عظيم ، فالله ولي جزائه، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ضاع امرؤ انت حافظه ، ولا ذل من كنت ناصره ، فماذا قلت لهم ياأمير المؤمنين ؟ قال يا أبا عبد الله قلت :

وسعي الي بعيب عزة نسوة جعل المليك خدودهن نعالها

وقال ابو العيناء الهاشمى ، قلت لابن أبي دواد إن قوما تضافروا على قال : (يد الله فوق ايديهم) قلت : انهم جماعة قال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) قلت: ان لهم مكرا قال : (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) قال: أبو العيناء فحدثت به احمد بن يوسف الكاتب فقال : ما يرى ابن ابي دواد الا أن القرآن إنما انزل عليه .

١٢ الخطب

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الاجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أزهانهم ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه، فى الخطب التي يتخير لها الكلام، وتفاخرت بها العرب فى مشاهدهم ونطقت بها الائمة على منابرهم ، وشهرت بها فى مواسمهم، وقامت بها على رؤس خلفائهم، وتباهت بها فى أعيادهم ومساجدهم، ووصلتها بصلواتهم، وخوطب بها العوام واستجزلت لها الالفاظ ، وتخيرت لها المعانى

إعلم أن جميع الخطب على ضربين ، منها الطوال ، ومنها القصار، ولكل ذلك موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه . فاول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي ﷺ ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين ، والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط الينا ، ووقع عليه اختيارنا، ثم نسمح بصدر من خطب البادية ، وقول الاعراب خاصة ، لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه وموارده ومصادره . قال عبد الملك بن مروان، لخالد بن سلمة القرشي المخزومى من أخطب الناس ؟ قال : أنا قال : ثم من قال . شيخ جذام ، يعني روح بن زنباع قال : ثم من قال : أخيفش ثقيف يعنى الحجاج ، قال ثم من قال : أمير المؤمنين . وقال معاوية ، لما خطب الناس عنده فا كثروا . والله لارمينكم بالخطيب المصقع ، قم يازياد . وقال محمد كاتب المهدى ، وكان شاعرا رواية وطالبا للنحو علامة قال : سمعت أبا داود يقول ، وجري شيء من ذكر الخطب وتحبير الكلام فقال تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق فى غير أهل البادية نقص، والنظر في عيون الناس عى، ومسح اللحية

هلك، والخروج عما بنى عليه الكلام اسهاب. قال وسمعته يقول: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وحليها الاعراب، وبهاؤها تخيير اللفظ، والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه. وأنشدني بيتاً له في خطباء اياد:

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

وأنشدني في عي الخطيب واستعانته بمسح العثنون وفتل الاصابع:

ملئ ببهر والتفات وسعلة ... ومسحة عثنون وفتل الاصابع

مر بشر بن المعتمر، بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانهم الخطابة، فوقف بشر يستمع، فظن ابراهيم أنه إنما وقف ليستفيد، أو يكون رجلا من النظارة، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحاً، واطووا عنه كشحاً، ثم دفع اليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره، فيها خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن نفسك تلك الساعة اكرم جوهراً وأشرف حسباً. وأحسن في الاسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطا، وأجلب لكل عين من لفظ شريف، ومعنى بديع واعلم أن ذلك أجدي عليك مما يعطيك يومك الأطول، بالكد، والمطاولة، والمجاهدة بالتكليف، والمعاودة، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً، وخفيفاً على اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه، ونجم من معدنه، وإياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريماً، فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعني الشريف، اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله إلى أن تكون اسوأ حالا منك قبل أن تلتمس

إظهارها ، وترهن نفسك بملابستها ، وقضاء حقها ، فكن فى ثلاثة منازل ، فأول ذلك أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، أو فخما سهلا ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفا ، وقريبا معروفا ، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وأما عند العامة ان كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس يتضع أن يكون من معاني العامة ، وانما مدار الامر على الشرف مع الصواب ، واحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامي والخاصي ، فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة لفظك ، ولطف مداخلك ، وقدرك في نفسك ، على أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الالفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الاكفاء ، فأنت البليغ التام ، فقال له ابراهيم بن جبلة : جعلت فداك أنا أحوج إلي تعلمي هذا الكلام من هؤلاء الغلمة

١ ﴿ خطبة رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ﴾

أن الحمد لله نحمده ونستغفره ، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوي الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذي هو خير ، أما بعد ، أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم ، فاني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، فى موقفي هذا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلي أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم أشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها

إلي الذي ائتمنه عليها ، وأن ربا الجاهلية موضوع ، وأن أول ربا ابدأ به ربا عمى العباس بن عبدالمطلب ، وأن دماء الجاهلية موضوعه ، وأن أول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعه بن الحرث بن عبدالمطلب، وأن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة ، والسقاية ، والعمد قود ، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ، فقيه مائة بعير ،فمن زاد فهو من أهل الجاهلية،أيها الناس ان الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم،أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ماحرم الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة ، وذا الحجة ،والمحرم،ورجب،الذي بين جمادي وشعبان ، الا هل بلغت ، اللهم اشهد ، أيها الناس ان لنسائكم عليكم حقا ، وان لكم عليهن حقا ، لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين واطعنكم ،فعليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لانفسهن شيئا ، أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ،فاتقوا الله في النساء،واستوصوا بهن خيرا أيها الناس انما المؤمنون اخوة ، فلا يحل لامريء مال اخيه الا عن طيب نفسه إلا هل بلغت ، اللهم اشهد ،فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم ،

به اعناق بعض ، فاني قد تركت فيكم ما ان اخذتم لم تضلوا ، كتاب الله ، واهل بيتي ، الا هل بلغت ، اللهم اشهد ، ايها الناس ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد كلكم لآدم . وآدم من تراب . اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى . الا هل بلغت . قالوا . نعم قال . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . ايها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية في اكثر من الثلث . والولد للفراش . وللعاهر الحجر . من ادعى الي غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

٢ ﴿ وخطب أبو بكر يوم السقيفة ﴾

أراد عمر الكلام ، فقال أبو بكر : على رسلك ، ثم حمد الله ، وأثني عليه ، ثم قال : أيها الناس نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحما برسول الله ﷺ ، أسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان) فنحن المهاجرون . وأنتم الانصار ، اخواننا في الدين ، وشركاؤنا في الفيء ، وأنصارنا على العدو ، آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيرا ، فنحن الامراء ، وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب الا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا على اخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله ،

وخطب أيضا ، حمد الله ، وأثني عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد وليته عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل

فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه ، أقول قولي هذا . واستغفر الله لي ولكم :

٣ ﴿ خطبة لعمر بن الخطاب ﴾

أيها الناس . انه قد أتي على زمان وانا أري ان قراءة القرآن تريدون به الله عز وجل وما عنده ، فخيل الى أن قوما قرءوه يريدون به الناس والدنيا ، ألا فأريدوا الله بأعمالكم ، ألا انما كنا نعرفكم اذ يتنزل الوحي ، وإذ رسول الله بين أظهرنا ، ينبئنا من أخباركم ، فقد انقطع الوحي ، وذهب النبي فأنما نعرفكم بالقول ، الا من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا ، وأحببناه عليه ، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا ، وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم ، الا واني انما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم ، الا من رابه شيء من ذلك ، فليرفعه الي ، فوالذى نفسي بيده ، لأقصنكم منه ، فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن بعثت عاملا من عمالك ، فأدب رجلا من رعيتك ، فضربه أتقصه منه؟ قال : نعم ، والذي نفس عمر بيده ، لأقصنه منه ، فقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ،

٤ ﴿ وخطب أيضاً فقال ﴾

ايها الناس ، اتقوا الله في سريرتكم وعلانيتكم وأمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة ، فأقبل أحدهم على موضع يخرقه فنعوه ، فقال : هو موضعي ، ولى ان احكم فيه ، فان اخذوا على يده سلم وسلموا ، وان تركوه هلك وهلكوا معه ، وهذا مثل ضربته لكم ، رحمنا الله واياكم

٥ ﴿ وخطب إذ ولى الخلافة ﴾

صعد المنبر ، فحمدالله ، واثني عليه ، ثم قال: ياأيها الناس إني داع فأمنوا، اللهم اني غليظ فليني لأهل طاعتك ، وموافقة الحق ابتغاء وجهك ، والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على اعدائك ، وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلم مني لهم ، ولا اعتداء عليهم، اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف، قصدا من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سمعة ، واجعلني ابتغى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقني خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم اني كثير الغفلة والنسيان ، فألهمني ذكراك على كل حال ، وذكر الموت في كل حين ، اللهم اني ضعيف عند العمل لطاعتك ، فارزقني النشاط فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لاتكون الا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوي ، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسي ، واصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات، اللهم ارزقني التفكر والتدبر ، بما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له، والمعرفه بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك مابقيت ، إنك على كل شيء قدير.

وكان آخر كلام أبي بكر الذي اذا تكلم به ، عرف أنه قد فرغ من خطبته اللهم اجعل خير زماني آخره : وخير عملي خواتمه : وخير ايامي يوم القاك وكان آخر كلام عمر الذي اذا تكلم به . عرف انه فرغ من خطبته « اللهم لاتدعني في غمرة ، ولا تأخذني على غرة ، ولا تجعلني من الغافلين»

٧ ﴿ خطبة لعثمان بن عفان ﴾

لما ولى عثمان بن عفان رضي الله عنه: قام خطيبا ، فحمد الله، واثنى عليه ،

وتشهد ، ثم ارتج عليه ،فقال: أيها الناس : ان أول كل مركب صعب وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا ،

٧ ﴿ خطب لعلي ﴾

قالوا : ولما اغار سفيان بن عوف، علي الانبار في خلافة علي رضي الله عنه، وعليها حسان البكرى فقتله ، وأزال تلك الخيل عن مسارحها، فخرج علي رضى الله عنه ،حتى جاس علي باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد، فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل، وأشمله البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف، ومنعه النصف، الاواني دعوتكم الي قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا سرا وإعلانا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم فى عقر دراهم الا ذلوا ، فتوا كلتم وتخاذلتم ،وثقل عليكم قولي فاتخذتموه وراءكم ظهريا ، حتي شنت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد، قد بلغت خيله الانبار ، وقتل حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسارحها اوقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة ولمسلمة ، والاخرى المعاهدة ، فينزع حجلها وقلبها ورعاثها ، ثم نصرفوا افرين ، ماكلم رجل منهم ، فلو أن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفا ، ما كان عندي ملوما ، بل كان جديرا ، فواعجباً من جد هؤلاء فى باطلهم، وفشلكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وترحا ، حين صرتم غرضا يرمي ، يغار عليكم إلا تغيرون،وتغزون ولا تغزون ، ويعصي الله وترضون ، فاذا أمرتكم بالمسير ليهم فى أيام الحر قلتم حمارة القيظ،أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالمسير اليهم ضحى فى الشتاء ، قلتم أمهلنا حتي ينسلخ عنا هذا القر، كل هذا فرار

من القر والحر ، فانتم والله من السيف أفر ، ياأشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام أطفال ، وعقول ربات الحجال ، وددت ان الله أخرجني من بين أظهركم ، وقبضني الى رحمته من بينكم ، واني لم أركم ولم أعرفكم ، وريم والله صدرى غيظا ، وجرعتموني الموت انفاسا ، وافسدتم على رأيي بالعصيان . والخذلان ، حتى قالت قريش ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، لله أبوهم وهل منهم أحد أشد لها مراسا ، وأطول تجربة مني ، لقد مارستها وأنا ابن عشرين فها أنذا الآن قد نيفت على الستين . ولكن لا رأي لمن لا يطاع !

(وخطبة) له رضى الله عنه ـ قام فيهم فقال: أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهن الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم تقولون فى المجالس كيت وكيت ، فاذا جاء القتال قلتم حياد ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليل بأباطيل ، وسألتموني التأخير وفاء للدين المطول ، لا يدفع الظليم الذليل ، ولا يدرك الحق بالجد ، أي دار بعد داركم تمنعون ، أم مع أي امام بعدي تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ، أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع فى نصرتكم فرق الله بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم من هو خير لي منكم ، وددت والله ان لي بكل عشرة منكم ، رجلا من بنى فراس بن غنم ، صرف الدينار بالدرهم .

وخطب اذا استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فاقبلوا اليه مع ابنه الحسن رضي الله عنه ، فقام فيهم خطيبا فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلي الله علي سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآخر المرسلين ، اما بعد ، فان الله بعث محمدا عليه الصلاة والسلام الى الثقلين كافة ، والناس فى اختلاف ، والعرب بشر المنازل مستضيئون

الثاءات بعضهم على بعض ، فرأب الله به الثأي ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب والضغائن المخشنة للصدور ، ثم قبضه الله عز وجل ، مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله مغفوراً ذنبه ، كريماً عند ربه نزله ، فيالها مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الاقربين ووليَ ابو بكر فسار بسيرة رضيها المسلمون ، ثم ولي عمر ، فسار بسيرة أبي بكر رضى الله عنهما ، ثم ولي عثمان ، فنال منكم ونلتم منه ، حتى اذا كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني ، فقلتم لي بايعنا ، فقلت لكم لا أفعل ، وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتم كفي فجذبتموها ، وقلتم لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ، وتداككتم على تداكك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت انكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير ، ثم مالبثا أن استاذناني للعمرة ، فسار إلى البصرة ، فقتلا بها المسلمين ، وفعلا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست بدون واحد ممن مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت ، اللهم انهما قطعا قرابتي ، ونكثا بيعتي وألبا علي عدوي ، اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما ، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا

وخطب أيضاً فقال : أيها الناس ، احفظوا عني خمسا ، فلو شددتم اليها المطايا حتى تنضوها ، لم تظفروا بمثلها ، الا لا يرجون أحدكم الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستحي أحدكم اذا لم يعلم أن يتعلم ، فاذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ألا وأن الخامسة الصبر ، فان الصبر من الايمان ، بمنزلة الرأس من الجسد ، من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له ، ولا خير في قراءة الا بتدبير ، ولا في عبادة الا بتفكير ، ولا في حلم الا بعلم ، ألا

أنبئكم بالعالم كل العالم ، من لم يزين لعباد الله معاصى الله ، ولم يؤمنهم مكره ، ولم يوئسهم من روحه ، ولا تنزلوا المطيعين الجنة ، ولا المذنبين الموحدين النار ، حتى يقضى الله فيهم بأمره ، لا تأمنوا على خير هذه الامة عذاب الله ، فانه يقول : (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ولا تقنطوا شر هذه الامة من رحمة الله ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

﴿ خطب معاوية ﴾

قال القحذمى : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة ، تلقاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك ، وأعلى كعبك ، قال : فوالله مارد عليهم شيئاً ، حتى صعد المنبر ، فحمدالله ، وأثني عليه ، ثم قال : أما بعد ، فانى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ، ولقد رضت لكم نفسى على عمل ابن ابى قحافة ، وأردتها على عمل عمر فسلكت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سنيات عثمان ، فأبت على ، فسلكت بها طريقاً لى ولكم فيه مؤاكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ، فان لم تجدوني خيركم ، فاني خير لكم ولاية ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وان لم يكن منكم الا مايستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبر أذني ، وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله ، فاقبلوا مني بعضه ، فان أتاكم مني خير فاقبلوه ، فان السيل اذا جاء بثري وان قل أغني ، وإياكم والفتنة ، فانها تفسد المعيشة ، وتكدر النعمة ، ثم نزل :

وصعد منبر المدينة فحمدالله ، وأثني عليه ، ثم قال : ياأهل المدينة ، اني لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق ، يعيبون الشيء وهم فيه ، كل

امرىء منهم شيعة نفسه ، فاقبلونا بما فينا فان ما وراءنا شر لكم ، وأن معروف زماننا منكر زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأته ولو قد أتى فالرتق خير من الفتق ، وفى كل بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاوية الوفاة ، ويزيد غائب . دعا بمسلم بن عقبة المرى . والضحاك بن قيس الفهرى . وقال لهما: أبلغا عني يزيد وقولا له انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعاهده ، وانظر أهل العراق ، فان سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله عنهم ، فان عزل عامل واحد أهون عليك من سل مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علام أنت عليه منهم ، ثم انظر أهل الشام، فاجعلهم الشعار دون الدثار، فان رابك من عدو ريبة ، فارمهم به ، فان أظفرك الله فاردد أهل الشام الي بلادهم، لا يقيموا في غير بلادهم ، فيتأدبوا بغير آدابهم، لست أخاف غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، فأما عبد الله بن عمر، فرجل قد وقذه الورع ، وأما الحسين : فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه: واما ابن الزبير : فانه خب ضب: فان ظفرت به فقطعه إربا إربا. ومات معاوية. فقام الضحاك ابن قيس خطيبا : فقال. ان أمير المؤمنين كان انف العرب. وهذه أكفانه: ونحن مدرجوه فيها . ومخلون بينه وبين ربه. فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .. فصلي عليه الضحاك . ثم قدم يزيد: فلم يقدم أحد على تعزيته. حتى دخل عليه عبد الله بن همام . فأنشأ يقول .

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقة ... واشكر حباء الذي بالملك حاباكا
لا رزء اعظم فى الاقوام قد علموا ... مما رزئت ولا عقبي كعقباكا

اصبحت راعي أهل الدين كلهم فـأنت ترعاهم والله يرعاكـا
وفي معاوية الباقي لنا خلف إما نعيت فلا يسمع بمنعاكا

قال . فافتتح الخطباء بالكلام

ولما مرض معاوية مرض وفاته . قال لمولى له . من بالباب ؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك : قال : ويحك لم ؟ فوالله ما لهم بعدي الا الذى يسوءهم : وأذن للناس فدخلوا : فحمد الله : وأثنى عليه واوجز: ثم قال. ايها الناس انا قد اصبحنا فى دهر عنود . وزمن شديد . يعد فيه المحسن مسيئا . ويزداد الظالم فيه عتوا : لا ننتفع بما علمنا . ولا نسأل عما جهلنا. ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا . فالناس على اربعة اصناف. منهم من لا يمنعه من الفساد فى الارض الا مهانة نفسه : وكلال حده: ونضيض وفره. ومنهم المصلت لسيفه. المجلب برجله . المعلن بشره : وقد شرط نفسه :واوبق دينه لحطام ينتهزه. أو مقنب يقوده . او منبر يفرعه : وليس المتجران تراها لنفسك ثمنا. وبما لك عند الله عوضا . ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة :ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه . وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه. وزخرف نفسه للامانة : واتخذ ستر الله ذريعة الي المعصية . ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه : وانقطاع سببه . فقصرت به الحال عن حاله: فتحلى باسم القناعة . وتزيا بلباس الزهادة . وليس ذلك فى مراح ولا مغدي . وبقى رجال اغضى ابصارهم ذكر المرجع : واراق دموعهم خوف المضجع. فهم بين شريد ناد : وبين خائف منقمع . وساكت مكعوم . وداع مخلص . وموجع ثكلان قد اخملتهم التقية . وشملتهم الذلة . فهم فى بحر اجاج. افواههم ضامرة. وقلوبهم

فرحة . قد وعظوا حتى ملوا . وقهروا حتي ذلوا. وقتلوا حتي قلوا. ألا فلتكن الدنيافى اعينكم . اصغر من حثالة القرظ . وقرادة الحلم . واتعظوا بمن كان قبلكم . قبل ان يتعظ بكم من بعد كم . وارفضوها ذميمة. فقد رفضت من كان اشفق بها منكم.

شبيب ابن شبة عن ابي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ، ونبدؤهم بالسلام ، فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عيد ، وعليه قميص كتان ، وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فمثلنا بين يديه ، وسلمنا عليه ، فقال : أنتم جماعة وأنا واحد ، السلام على والرد عليكم ، وسلم فرددنا ، وقربت له دابته ، فأعرض عنها ، ومشاومشينا ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثني عليه وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال: وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا ، فردوا على فقرائهم حتي نستوى نحن بهم ، وا كون أنا اولهم ، ثم قال: مالي وللدنيا ، أم مالي ولها ونكلم فأرق ، حتى بكي الناس جميعا ، يمينا وشمالا ، ثم قطع كلامه ونزل ، فدنا منه رجاء بن حيوة فقال له: ياأمير المؤمنين : كلمت الناس بما أرق قلوبهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوج ما كانوا اليه ، فقال يارجاء إني ا كره المباهاة .

٨ ﴿ خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد ﴾

لما قتل الوليد بن يزيد ، قام خطيبا ، فحمد الله ، وأثني عليه ، ثم قال: أما بعد ، أيها الناس انى ماخرجت اشرا ولا بطرا ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ، ومابي اطراء نفسي ، ولا تزكية عملى ، واني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربى ، ولكني خرجت غضبا لله ودينه ، وداعيا الى كتابه وسنة نبيه ، حين درست معالم الهدى ، وأطفيء نور أهل التقوي ، وظهر الجبار العنيد ،

المستحل الحرمة ، والراكب البدعة ، والمغير السنة ، فلما رأيت ذلك ، أشفقت ان غشيتكم ظلمة ، لاتقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت أن يدعو كثيرا من الناس الي ماهو عليه ، فيجيبه من أجابه منكم ، فاستخرت الله فى أمري ، وسألته أن لايكلني الي نفسى ، وهو ابن عمى في نسبي ، وكفيء فى حسبي ، فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، ولاية من الله وعونا بلا حول مني ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته ، وولايته وعزته ، أيها الناس ان لكم على ان وليت اموركم ، انلا اضع لبنة على لبنة ، ولا حجرا على حجر ، ولا انقل مالا من بلد الي بلد حتى أسد ثغره ، وأقيم مصالحه ، بما تحتاجون اليه ، وتقوون به ، فان فضل شيء رددته الي البلد الذي يليه ، ومن هو أحوج البلدان اليه ، حتى تستقيم المعيشة بين المسلمين ، وتكونوا فيه سواء ، فان أردتم بيعتى علي الذي بذلت لكم فانا لكم به ، وان ملت فلا بيعة لى عليكم ، وان رأيتم أحد أقوي عليها مني فأردتم بيعته ، فانا أول من يبايعه ، ويدخل فى طاعته ، أقول قولي هذا ، واستغفر الله لى ولكم .

خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة ، فحمد الله ، وأثني عليه ، وقال : ايها الناس اتقوا الله ، فقام اليه رجل ، فقال : أذكرك من ذكرتنا به ياامير المؤمنين ، قال ابو جعفر : سمعا سمعا ، لمن فهم عن الله وذكر به ، واعوذ بالله ان اذكر به وانساه ، فتأخذني العزة بالاثم ، لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين ، واما انت والتفت الي الرجل ، فقال : والله ماالله اردت بها ، ولكن ليقال قام فقال ، فعوقب فصبر ، واهون بها لو كانت العقوبة ، وانا انذركم ايها الناس اختها ، فان الموعظة علينا نزلت ، وفينا انبتت ، ثم رجع الي موضعه من الخطبة .

وخطب بمكة فقال : ايها الناس انما انا سلطان الله فى ارضه ، اسوسكم بتوفيقه ، وتسديده ، وتأييده ، وحارسه على ماله ، اعمل فيه بمشيئته ، وارادته ، واعطيه باذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلا ، ان شاء الله ان يفتحني فتحني لاعطائكم وقسم أرزاقكم ، وان شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا إلي الله وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به فى كتابه ، إذ يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) أن يوفقني للرشاد والصواب وأن يلهمنى الرأفة بكم والاحسان اليكم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

خطبة لسليمان بن على — (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ، قضاء مبرم ، وقول فصل ، ماهو بالهزل ، الحمدلله الذي صدق عبده ، وأنجز وعده وبعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضا ، والفيء إرثا ، والدين هزؤاً ، وجعلوا القرآن عضين ، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكأين تري من بئر معطلة ، وقصر مشيد ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد ، أمهلوا والله حتي نبذوا الكتاب ، واضطهدوا العترة ، ونبذوا السنة ، واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ، ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد ، أو تسمع لهم ركزاً .

خطبة المهدي — الحمد لله الذى ارتضى الحمد لنفسه ، ورضي به من خلقه ، أحمده على آلائه ، وأمجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه ، توكل راض بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

لاشريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلي أمة جاهلية ، مختلفة أمية ، أهل عداوة وتضاغن و وفرقة وتباين قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرناؤهم ، فاستشعرهم الردي ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة ، وان الله لسميع عليم ، أوصيكم عباد الله بتقوي الله ، فان الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، واحثكم على اجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاء الى ما يقرب من رحمته ، وينجي من سخطه ، وينال به ما لديه من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب . يوم توقفون بين يدى الجبار ، وتعرضون فيه على النار ، يوم لا تكلم نفس الا بأذنه ، فنهم شقي وسعيد ، يوم يفر المرء من اخيه ، وامه وابيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ، ولاهم ينصرون ، يوم لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعدالله حق . فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فان الدنيا دار غرور ، وبلاء وشرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلب وانتقال قد افنت من كان قبلكم ، وهى عائدة عليكم ، وعلى من بعدكم ، من ركن اليها صرعته ، ومن وثق بها خانته ، ومن املها كذبته ، ومن رجاها خزلته ، عزها ذل

وغناها فقر، والسعيد من تركها، والشقي فيها من آثرها، والمغبون فيها من باع حظه من دار آخرته بها، فالله الله عباد الله، والتوبة مقبولة، والرحمة مبسوطة، وبادروا بالاعمال الزكية في هذه الايام الخالية، قبل ان يؤخذ بالكظم، وتندموا فلا تنالون الندم، في يوم حسرة وتأسف، وكآبة وتلهف، يوم ليس كالايام وموقف ضنك المقام، إن أحسن الحديث، وأبلغ الموعظة، كتاب الله، يقول الله تبارك وتعالى: (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) أعوذ بالله العظيم، من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ... الى آخر السورة) ... أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، وأرضي لكم طاعة الله، واستغفر الله لي ولكم.

٩ خطبة زياد البتراء

عن أبي بكر الهذلي قال: قدم زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان وإليه خراسان، وسجستان، والفسق بالبصرة ظاهر فاش، فخطب خطبة بتراء، لم يحمد الله فيها، وقال غيره: بل قال: الحمد لله على افضاله وإحسانه ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه، اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا، اما بعد، فان الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله علي النار، ما فيه سفهاؤكم، وتشتمل عليه حلماؤكم، من الامور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كانكم لم تقرؤا كتاب الله، ولم تسمعوا بما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته، والعذاب العظيم لاهل معصيته، في الزمن السرمدي الذي لا يزول، اتكونون كمن طرفت عينه الدنيا،

وسددت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية. الا تذكرون انكم احدثتم فى الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه، من تركـكم هذه المواخير المنصوبة، والضعيفة المسلوبة، فى النهار المبصر، والعدد غير قليل، الم يكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل، وغارة النهار قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، كل امرىء منكم يذب عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة، ولا يرجو معادا، ما انتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم، حتى انتهكوا حرم الاسلام، ثم اطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب، حرام على الطعام والشراب، حتي اسويها بالارض هدما واحراقا، انى رايت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به اوله، لين فى غير ضعف، وشدة في غير عنف، واني اقسم بالله، لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم اخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، او تستقيم لي قناتكم، ان كذبة الأمير بلقاء مشهورة، فاذا تعلقتم على بكذبة، فقد حلت لـكم معصيتى، من نقب منكم عليه، فانا ضامن لما ذهب له، فاياي ودلج الليل، فاني لا أوتي بمدلج الا سفكت دمه، وقد اجلتكم فى ذلك بقدر ما يأتي الخبر الـكوفة ويرجع اليكم، وإياى ودعوى الجاهلية، فاني لا اجد احداً دعا بها الا قطعت لسانه، وقد احدثتم أحداثا لم تكن، وقد احدثنا لـكل ذنب عقوبة، فمن أغرق قوما أغرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا، فـكفوا عني السنتكم وأيديكم، اكف عنكم يدى ولسانى، ولا يظهرن من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم، الا

ضربت عنقه ، وقد كانت بيني وبين قوم إحن ، فجعلت ذلك دبر أذني، وتحت قدمي ، فمن كان محسنا فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي ، لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له سترا ، حتى يبدي لي صفحته، فان فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم، وأعينو على أنفسكم ، فرب مبتئس بقدومنا سيسر، ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذى خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا، بمناصحتكم لنا، واعلموا انه مهما أقصر فيه، فلن أقصر عن ثلاث ، لست محتجبا عن طالب حاجة ،ولو اتاني طارقا بليل ، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه، ولا مجمرا لكم بعثا ، فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فانهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم ، فيشتد لذلك اسفكم، ويطول له حزنكم ، ولا تدركوا حاجتكم، مع انه لو استجيب لكم فيهم، لكان شرا لكم ، اسأل الله ان يعين كلا على كل، وايم الله ان لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امريء منكم ان يكون من صرعاى ، ثم نزل . فقام اليه عبدالله ابن الاهتم فقال : اشهد ايها الامير ، لقد اوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، قال له : كذبت ، ذاك داود ﷺ ، فقام الاحنف بن قيس فقال : انما الثناء بعد البلاء ، والحمد لله بعد العطاء ، وانا لن نثني حتى نبتلي : قال له زياد : صدقت

١٠ ﴿ خطبة قس بن ساعدة الايادي ﴾

ابن عباس ، قال : قدم وفد اياد على رسول الله ﷺ ، فقال : ايكم يعرف قس بن ساعدة الايادى ؟ قالوا : كلنا نعرفه ، قال : فما فعل ؟ قالوا : هلك ، قال : ما انساه بسوق عكاظ ، فى الشهر الحرام ، على جمل له احمر ، وهو يخطب الناس ويقول : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، إن فى السماء لخبرا ، وان في الارض لعبرا ، سحائب تمور ، ونجوم تغور ، فى فلك يدور . ويقسم قس قسما : ان لله دينا هو ارضى من دينكم هذا ، ثم قال : مالي ارى الناس يذهبون ولا يرجعون ، ارضوا بالاقامة فأقاموا ، ام تركوا فناموا ؟ ايكم يروي من شعره ؟ فأنشأ بعضهم :

في الذاهبين الاولين — من القرون لنا بصائر
لما رايت مواردا — للموت ليس لها مصادر
ورايت قومى نحوها — تمضى الاكابر والاصاغر
لا يرجع الماضي ولا — يبقى من الباقين غابر
أيقنت اني لا محا — لة حيث صار القوم صائر

الي هنا انتهى مختارات الجزء الثاني من العقد الفريد

١٤ التوقيعات

﴿ والفصول ، والصدور ، وادوات الكتابة ، واخبار الكتاب ﴾

قال احمد بن محمد بن عبد ربه ، قد مضي قولنا في الخطب وفضائلها ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه . في التوقيعات والفصول ، والصدور وادوات الكتابة

واخبار الكتاب ، وفضل الايجاز، اذكان اشرف الكلام كله حسنا، واوقعه قدرا واعظمه من القلوب موقعا ، واقله على اللسان عملا، مادل بعضه على كله، وكفي قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك ان تقل حروفه، وتكثر معانيه ومنه قولهم ، رب اشارة ابلغ من لفظ ، اليس ان الاشارة تبين مالا يبينه الكلام ، وتبلغ مايقصرعنه اللسان ، ولكنها اذا قامت مقام اللفظ، وسدت مسد الكلام ، كانت ابلغ لخفة مؤنتها ، وقلة عملها ، وقال النبي ﷺ «ابغضكم الي الثرثارون المتشدقون » يريد اهل الاكثار ، والتقعير في الكلام ، ومن كلام العرب الاختصار ، والاطناب، والاختصار عندهم احمد في الجملة وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له ، وقد تومي الى الشيء فتستغني عن التعبير بالايماء، كما قالوا: لمحة دالة .

وبعث لمروان بن محمد ، قائد من قواده غلاما أسودا ، فأمر عبد الحميد الكاتب ان يكتب اليه يلحاه ويعنفه ، فكتب وا كثر ، فاستثقل ذلك مروان واخذ الكتاب، فوقع في اسفله ، اما انك لو علمت عدداً اقل من واحد ، ولونا شراً من اسود لبعثت به .

وتكلم ربيعة الرأى فأكثر ، واعجبه اكثاره ، فالتفت لاعرابي الى جنبه ، فقال له : ما تعدون البلاغة عندكم ؟ قال له : حذف فضول الكلام ، وايجازالصواب ، قال : فما تعدون العى ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم ، فكانما القمه حجراً .

﴿ استفتاح الكتب ﴾ ابراهيم بن محمد الشيباني ، قال : لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم ، حتى انزلت سورة هود، وفيها بسم الله مجريها ومرساها

فكتب بسم الله ، ثم نزلت بسورة بني اسرائيل ، قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ، فكتب بسم الله الرحمن ، ثم نزلت بسورة النمل ، انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سنة . وكان رسول الله ﷺ يكتب الي اصحابه ، وامراء جنوده ، من محمد رسول الله الى فلان ، وكذلك كانوا يكتبون إليه يبدءون بأنفسهم ، فمن كتب اليه وبدأ بنفسه ، أبو بكر ، والعلاء بن الحضرمي ، وغيرهما ، وكذلك كتب الصحابة ، والتابعون ، ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك ، فأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب بعضهم بعضا ، فجرت به سنة الوليد الي يومنا هـذا ، الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ، ويزيد الكامل ، فانهما عملا بسنة رسول الله ﷺ ، ثم رجع الامر الي رأي الوليد والقوم عليه الى اليوم .

٢ ﴿ ختم الكتاب وعنوانه ﴾ وأما ختم الكتاب وعنوانه ، فان الكتب لم تزل مشهورة ، غير معنونة ولا مختومة ، حتي كتبت صحيفة المتلمس ، فلما قرأها ، ختمت وعنونت ، وكان يؤتى بالكتاب فيقال : من غني به ؟ فسمي عنوانا

٣ ﴿ تاريخ الكتاب ﴾ لا بد من تاريخ الكتاب ، لانه لا يدل على تحقيق الاخبار ، وقرب عهد الكتاب ، وبعده ، الا بالتاريخ

٤ ﴿ الأمى ﴾ أما قوله تعالي : (النبي الامى) فانما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب ، والأمية فى النبي ﷺ فضيلة ، لأنها أدل على صدق ماجاء به أنه من عند الله ، لا من عنده ، وكيف يكون من عنده ، وهو لا يكتب ولا يقرأ ، ولا يقول الشعر ولا ينشده . قال المأمون لابي العلاء المنقرى : بلغني انك أمى ، وأنك لا تقيم الشعر ، وأنك تلحن فى كلامك ، فقال :

يأمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه ، وأما الامية وكسر الشعر ، فقد كان النبي ﷺ أميا ، وكان لاينشد الشعر ، فقال له المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك ، فزدتني رابعا ، وهو الجهل ، أما علمت ياجاهل ، أن ذلك فى النبي ﷺ فضيلة ،وفيك وفى أمثالك نقيصة.

٥ ﴿ من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا ﴾ سرجون بن منصور الرومى ، كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ،وعبد الملك بن مروان ، الى أن أمره عبد الملك بأمر ، فتواني فيه ، ورأي منه عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : ان سرجون يدل علينا بصناعته ، وأظن انه رأى ضرورتنا اليه فى حسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحولت الحساب من الرومية الى العربية ، قال : افعل ، قال : انظرني اعاني ذلك ، قال : لك نظرة ماشئت ، فحول الديوان ، فولاه عبدالملك جميع ذلك ، وقحذم جد الوليد بن هشام القحذمي ، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية الي العربية .

٦ ﴿ صفة الكتاب ﴾ — قال ابراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آلة الكتابة ، ان يكون الكاتب نقي الملبس ، نظيف المجلس ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الاشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقر التركيب :

٧ ﴿ ماينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه ﴾ — قال ابراهيم الشيباني : أول ذلك حسن الخط ، الذى هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحي الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأنس الاخوان عند الفرقة ، ومحادثهم

على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الامور ، وقيل للشعبي: أى شيء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

٨ ﴿ فضل الكتابة ﴾ — قال أبو عثمان الجاحظ :مارأيت قوما أنفذ طريقة فى الأدب من هؤلاء الكتاب ، فانهم التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا . وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب ، فأمر بحبسهم ، فرفعوا إليه رقعة ، ليس فيها الا هذا البيت :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا   فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم ، وأمر بتخلية سبيلهم .

٩ ﴿ مايجوز فى الكتابة ومالا يجوز ﴾

قال ابراهيم بن محمد الشيباني :اذا احتجت الي مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء ، والكتاب والخطباء ،والادباء والشعراء،وأوساط الناس ، وسوقتهم فخاطب كلا على قدر جلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وفطنته ونباهته ، ولكل مكتوب اليه قدر ووزن ، ينبغى للكاتب أن لايجاوزه عنه ، ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الاحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام في قوله:

وأراك تفعل ماتقول وبعضهم   مذق الحديث يقول مالا يفعل

وهذا معني صحيح فى المدح ، ولكنهم اجلوا اقدر الملوك أن يمدحوا بما تمدح به العوام ، لان صدق الحديث ، وإيجاز الوعد ، وإن كان من المدح،فهو واجب على العامة ، والملوك لا يمدحون بالفرائض الواجبة، إنما يحسن مدحهم بالنوافل ، وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك ، والمعني الملتبس ، فيتخير من الالفاظ أرجحها لفظا، وأجزلها وأشرفها جوهرا،وأكرمها حسبا،

وأليقها فى مكانها، وأشكلها فى موضعها ، فان حاولت صنعة رسالة ،فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت، وعاير الكلمة بمعايرها إذا سنحت، ولا تجعل اللفظة قلقة فى موضعها ، نافرة عن مكانها ، فانك متى فعلت هجنت الموضع الذى حاولت تحسينه ، وأفسدت المكان الذي أردت اصلاحه ، فان وضع الالفاظ فى غير أمكانها ، وقصدك بها الى غير مصافها ، كترقيع الثوب الذي لم تشابه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاؤه ، وخرج من حد الجدة ، وتغير حسنه ، كما قال الشاعر :

إن الجديد إذا ما زيد فى خلق يبين للناس أن الثوب مرقوع

وقد رأينهم شبهوا المعني الخفى ، بالروح الخفي ، واللفظ الظاهر ، بالجثمان الظاهر ، واذا لم ينهض بالمعني الشريف الجزل ، لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقا ، وتضاءل المعنى الحسن ، تحت اللفظ القبيح ، كتضاؤل الحسناء ، في الاطمار الرثة . (قيل) لجعفر بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب فى المعني البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير . (وقيل) لاعرابي : ما البلاغة ؟ فقال . حذف الفضول ، وتقريب البعيد . (وقيل) للخليل بن احمد ما البلاغة ؟ فقال : ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاه . (وقيل) لخالد بن صفوان ما البلاغة ؟ فقال: اصابة المعني ، والقصد للحجة . (وقيل) لابراهيم الامام: ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والاصابة.

١٠ ﴿قولهم فى الاقلام﴾

قالوا القلم أحد اللسانين ، وهو المخاطب للغيوب بسائر القلوب . « وقال » ثمامة بن أشرس : ما أثرته الاقلام ، لم تطمع فى دراسته الايام .

« وقال » أبو عبد الله : لا يقال كأس إلا إذا كان فيه شراب ، وإلا فهي زجاجة ، ولا مائدة الا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خوان،ولا قلم الا اذا برى وإلا فهي قصبة .

١١ ﴿ توقيعات الخلفاء ﴾

﴿ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾ — كتب اليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه ، فوقع في أسفل كتابه : ابن ما يكنك من الهواجز وأذى المطر « ووقع » الي عمرو بن العاص : كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك .

﴿ عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾ — وقع في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم ، وذكروا أنه أمر بوجء أعناقهم : فان عصوك فقل إني برىء مما تعملون (ووقع) في قصة رجل شكا عيلة . قد أمرنا لك بما يقيمك ، وليس في مال الله فضل للمسرف .

﴿ على بن أبي طالب كرم الله وجهه ﴾ — وقع في كتاب جاءه من الاشتر النخعي . فيه بعض ما يكره : من لك بأخيك كله ، وفي كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء : قيمة كل امرىء ما يحسن .

﴿ معاوية بن أبى سفيان ﴾ كتب اليه ربيعة بن عسل اليربوعى ، يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر الف جذع :أدارك في البصرة أم البصرة في دارك؟

﴿ يزيد بن معاوية ﴾ — كتب اليه مسلم بن عقبة المرى بالذي صنع أهل الحرة ، فوقع في أسفل كتابه: فلا تأس على القوم الفاسقين .

﴿ عبد الملك بن مروان ﴾ — كتب اليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسي منهم ، ويستأذنه فى قتل أشرافهم فوقع له : إن من يمن السائس أن يتآلف به المختلفون ، ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون. وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الاشعث : بضعفك قوى

﴿ سليمان بن عبد الملك ﴾ — كتب قتيبة بن مسلم ، الى سليمان يتهدده بالخلع ، فوقع فى كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

﴿ عمر بن عبد العزيز ﴾ — كتب بعض العمال اليه يستأذنه فى مرمة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم . والى بعض عماله فى مثل ذلك : حصنها ونفسك بتقوي الله ، والى عامله على الكوفة وكتب اليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده .

١٢ ﴿ توقيعات بنى العباس ﴾

﴿ ابو جعفر ﴾ — وقع الي أهل الكوفة ، وشكوا عاملهم : كما تكونوا يؤمر عليكم ، وفى قصة رجل شكا عيلة : سل الله من رزقه ، وفى قصة رجل شكا الدين : ان كان دينك فى مرضاة الله قضاه ، وفى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذوا ارزاقهم منه : لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينهبوا

﴿ المهدي ﴾ — وقع فى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا اشخاصه الى بابه . قد أنصف القارة من راماها ، وفى قصة رجل حبس فى دم : ولكم

في القصاص حياة يا أولي الالباب

﴿ هارون الرشيد ﴾ — وقع في قصة البرامكة : انبتته الطاعة ،وحصدته المعصية ، وفي قصة متظلم : لايجاوز بك العدل ، ولا يقصر بك دون الانصاف

﴿ المأمون ﴾ — وقع في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة ياعمرو عمر نعمتك بالعدل ، فان الجور يهدمها ، وفي قصة متظلم من أخيه: فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون .

١٣ ﴿ توقيعات الامراء والكبراء ﴾

﴿ زياد ﴾ — وقع في قصة متظلم : كفيت،وفي قصة رجل شكا اليه عقوق ابنه : وربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد

﴿ جعفر بن يحي ﴾ — وقع في قصة محبوس : لكل أجل كتاب . وفي مثله : العدل أوثقه والتوبة تطلقه ، وفي رجل شكا بعض عماله قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فاما عدلت ، وإما اعتزلت ، وفي قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يدر لغيرك كما درلك ، والى متنصل من ذنب : حكم الفلتات ، خلاف حكم الاصرار

﴿ الفضل بن سهل ﴾ كتب في قصة قوم قطعوا الطريق : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الآية.وفي امرىء قاتل شهد عليه العدول ، فشفع فيه : كتاب الله أحق أن يتبع

﴿ طاهر بن الحسين ﴾ — وقع في رقعة متنصح : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين.

١٤ ﴿ توقيعات العجم ﴾

رفع رجل الي كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم ، وخبثت ضمائرهم ، منهم فلان ، وفلان ، فوقع فى أسفل كتابه: انما أملك ظاهر الاجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأفحص عن الاعمال لا عن السرائر . ووقع كسرى فى رقعة مدح : طوبي للممدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلا . وكتب إليه متنصح ان قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة فعابوه وثلبوه ، فوقع لئن كانوا نطقوا بألسنة شتي ، لقد اجتمعت مساويها على لسانك ، فجرحك ارحب ، ولسانك أكذب. ووقع انوشروان الى صاحب خراجه : ما استغزر الخراج بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور . ووقع فى قصة محبوس : من ركب مانهي عنه ، حيل بينه وبين مايشتهي . ووقع فى قصة رجل ذكر ان بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله : لا تصلح العامة الا ببغض الحيف على الخاصة ، فان كنت صادقا أبحتك جميع مايملكه ، فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته .

﴿ فى المودة ﴾ ـ لسعيد بن عبد الملك ـ لنحن أحق بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصلة ، الا أنك أحق بالفضل الذي سبقت اليه .

﴿ في وصاة ﴾ ـ كتب الحسن بن وهب ، الي مالك بن طوق فى أبي الشيص ـ كتابي إليك خططته بيميني ، وفرغت له ذهنى ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها منى ؟ أتراني أقبل العذر فيها ، وأقصر فى الشكر عليها . وابن ابي الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ، ما عدانا الي غيرنا ، فاكتف بهذا منا .

(فصل) ـ كتابي إليك كتاب معني بمن كتب له ، واثق بمن كتب اليه ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

(في عتاب) لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين ـ أما بعد ، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، وأعقبته جفاء من غير ذنب ، فأطمعني أولك في اخائك ، وآيسني آخرك من وفائك ، فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، فأقمنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف .

(لابن المدبر) ـ وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل ، والتقريع اللطيف ، فلولا ماغلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعت غما لعتابك ، الذي لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقه والفطنة ، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ، فلا أعدمني الله رضاك .

(فى التنصل) ـ أنت أعزك الله أعلم بالعفو والعقوبة، من أن تجازيني بالسوء على ذنب لم اجنه بيد ولا لسان ، بل جناه علي لسان واش، فأما قولك انك لا تسهل سبيل العذر، فأنت أعلم بالكرم، وارعي لحقوقه، وأقعد بالشرف، وأحفظ لذمامه ، من أن ترديد مؤملك صفرا من عفوك إذا التمسه ، ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعا فيه ، وذريعة له

لابراهيم بن العباس: الكريم أوسع ما تكون مغفرته اذا ضاقت بالمذنب معذرته.

* (الشكر) *ـ للحسن بن وهب، من شكرك على درجة رفعته اليها، أو ثروة افدته إياها ، فإن شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكت به ، وقمت بين التلف وبينه ، فلكل نعمة من نعم الدنيا حد

تنتهي اليه ، ومدي يوقف عنده ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف، خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف ، وأطالت الشكر؟ وتجاوزت قدره، وأنت من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منك الي ظل ظليل ، وكنف كريم ، فكيف شكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجتهد ؟

﴿ المدح ﴾ — أن مما يطمعني في بقاء النعمة عندك ، ويزيدني بصيرة فى العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحقها ، واستوجبتها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الاجناس أن تتآلف ، وشأن الاشكال أن تتقاوم ، وكل شيء يتقلقل الى معدنه ، ويحن الى عنصره ، فاذا صادف منبته ، ونزل فى مغرسه ضرب بعرقه ، وسبق بفرعه ، وتمكن تمكن الاقامة ، وتفتك تفتك الطبيعة

﴿ وفصل ﴾ — إني فيما أتعاطى من مدحك ، كالمخبر من ضوء النهار الزاهر ، والقمر الباهر ، الذى لا يخفي على كل ناظر ، وأيقنت أنى حيث انتهى بي القول منسوب الي العجز ، مقصر عن الغاية ، فانصرفت من الثناء عليك الي الدعاء لك ، ووكلت الاخبار عنك ، الى علم الناس بك

﴿ محمد بن الجهم ﴾ — إنك لزمت من الوفاء طريقة محمودة عرفت مناقبها وشهرت محاسنها ، فتنافس الاخوان فيك ، يبتدرون ودك ، ويتمسكون بحبلك فمن اثبت الله له عندك ودا ، فقد وضع حلته موضع حرزها .

﴿ الادب ﴾ — قد آن بأن تدع ما تسمع بما نعلم ، ولا يكن غيرك فيما يبلغه أوثق من نفسك فيما تعرفه .

* للعتابي * — أما بعد ، فان قريبك من قرب منك خيره ، وابن عمك من

عمك نفعه ، وعشيرتك من أحسن عشرتك ،وأهدى الناس الي مودتك،من أهدى بره اليك .

* الي خليفة وأمير * — كتب الحجاج بن يوسف ، الي عبد الملك بن مروان : ياأمير المؤمنين ، إن كل من عنيت به فكرتك فما هو الا سعيد يؤثر أو شقي يوتر . وكتب محمد بن عبدالملك الزيات،إن حق الاولياء على السلطان تنفيذ أموالهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم،وأن يميز بينهم،فيقدم محسنهم ويؤخر مسيئهم ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم،

* وفصل له * — إن الله أوجب لخلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ولعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة ، وإحياء السنن الصالحة ، فاذا أدي كل الي كل حقه ، كان ذلك سببا لتمام المعونة،واتصال الزيادة،واتساق الكلمة ودوام الالفة . وكتب طاهر بن الحسين ، حين أخذ بغداد ، الي ابراهيم بن المهدى ، أما بعد : فانه عزيز على أن أكتب الي أحد من بيت الخلافه بغير كلام الامرة وسلامها ، غير انه بلغني عنك أنك مائل الهوى والرأي للناكث المخلوع ، فان كان كما بلغني فقليل ما كتبت به لك ، وان يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته .

﴿ فصول لعمرو بن بحر الجاحظ في الادب ﴾ ـ أما بعد ، فان العقل والهوى ضدان ، فقرين العقل التوفيق ، وقرين الهوي الخذلان ، والنفس طالبة فبأيهما ظفرت كانت في حزبه ـ أما بعد ، فكفي بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة ، وبذكرك الموت زاجرا

أما بعد فان احتمال الصبر على لذع الغضب أهون من إطفائه بالشتم والقذع (وله في وصاة) أما بعد، فان أحق من أسعفته في حاجته، وأجبته الي طلبته، من توسل اليك بالامل، ونزع نحوك بالرجاء ـ أما بعد، فما أقبح الاحدوثة من مستمنح حرمته، وطالب حاجة رددته، ومثابر حجبته، ومنبسط اليك قبضته، ومقبل عليك بعنانه لويت عنه، فتثبت في ذلك، ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم (وله في استنجاز وعد) ـ أما بعد، فقد رسفنا في قيود مواعيدك، وطال مقامنا في سجون مطلك، فاطلقنا أبقاك الله من ضيقها وشديد غمها، بنعم منك مثمرة، أو لا مريحة ـ أما بعد فان شجرة مواعيدك قد أورقت، فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل ـ اما بعد، فان سحائب وعدك قد برقت، فليكن وبلها سالما من صواعق المطل والاعتلال، (وله في الاعتذار) ـ أما بعد، فنعم البديل من الزلة الاعتذار، وبئس العوض من التوبة الاصرار ـ أما بعد، فان أولي الناس عندى بالصفح، من أسلمه الي ملك التماس رضاك، من غير مقدرة منك عليه ـ أما بعد، فان كنت ذممتني على الاساءة، فلم رضيت لنفسك المكافأة (وله في التعازي) ـ أما بعد، فان الماضي قبلك الباقي لك، والباقي بعدك المأجور فيك، وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ـ أما بعد، فان في الله العزاء من كل هالك، والخلف من كل مصاب، وانه من لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة.

كتب معاوية الي عمرو بن العاص، وبلغه عنه أمر: وفقك الله لرشدك، بلغني كلامك، فاذا أوله بطر، وآخره خور، ومن أبطره الغني أذله الفقر، وهما ضدان مخادعان للمرء عن عقله، وأولي الناس بمعرفة الدواء، من يبين له

الداء والسلام (فأجابه) ـ طاولتك النعم ، وطاولت بك،علو انصافك يؤمن سطوة جورك ، ذكرت اني نطقت بما تكره ، وأنا مخدوع ، وقد علمت اني ملت الى محبتك ، ولم أخدع ، ومثلك شكر مسمي معتذر ، وعفا زلة معترف

١٥ (كتاب الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم)

قال ابن عبد ربه : قد مضى قولنا فى التوقيعات والفصول والصدور والكتابة ، وهذا ماألفناه في أخبار الخلفاء وتواريخهم وأيامهم وكتابهم وحجابهم

١ ـ أخبار الخلفاء ـ نسب المصطفي ﷺ ، هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة . وولد عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، وقال بعضهم : بعد الفيل بثلاثين يوما ، وأوصى اليه وهو ابن أربعين عاما ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا،هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول ، مات يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول،وكان عمره ستين سنة .

٢ ـ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ـ هو عبدالله بن أبى قحافة (واسمه عثمان) بن عمر وبن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة . وأمه أم الخير ابنة صخر ابن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وكاتبه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت : وحاجبه رشيد مولاه . وعلى القضاء عمر بن الخطاب ، وعلى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى

الاخرة سنه ثلاث عشرة هجرية،وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وكان نقش خاتمه- نعم القادر الله - ودفن مع رسول الله ﷺ وفضائله شهيره لا تعد .

٣ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ ابن نفيل بن عبدالعزي بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك . وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وهاشم هو ذو الرمحين . ولي الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الاخرة سنه ١٣ هـ وطعن يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، فكانت ولايته عشر سنين ودفن مع صاحبيه وفضائله مشهورة فى الكتب .

٤ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميه بن عبدشمس بن عبدمناف.وأمه أروى بنت كريز بن حبيب بن عبدشمس . ولي الخلافة آخر ذي الحجة سنة ٢٣ هـ وقتل يوم الجمعة صبيحة عيد الاضحي سنة ٣٥ هـ فكانت ولايته ١٢ سنة و ١٦ يوما وعمره ٨٤ سنة وكان زوج رقية وبعدها أم كلثوم بنتى النبى ﷺ .

٥ ـ على بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بويع بالخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ وقتل بالكوفة يوم الجمعة لسبعة أيام بقين من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعمره ٥٨ سنة وأخفي قبره ولم يترك غير ٣٠٠ ذرهم وكانت حروبه ومآثره وبلاغته من أعجب ماسمع

٦ ـ الحسن بن على بن أبى طالب . وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ

بويع بالخلافة فى شهر رمضان سنة ٤٠ ه ثم اصطلح مع معاوية وسلم اليه الأمر فى شهر جمادي الاولي سنة ٤١ ه فكانت ولايته سبعة أشهر وسبعة أيام ومات بالمدينة سنة ٤٩ ه وعمره ٤٦ سنه ودفن بالبقيع

٧ ـ معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . بويع بالخلافة سنة ٤١ ه ومات بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ٦٠ ه وعمره ٦٣ سنة ومدة خلافته ١٩ سنه و ٩ أشهر و ٢٧ يوما وفضائله مشهورة .

٨ ـ يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . ولي الخلافة في رجب سنة ٦٠ ه ومات فى النصف من ربيع الاول سنة ٦٤ ه وكانت ولايته أربع سنين وأياما . وفى مدته قتل الحسين بن على رضى الله عنه وذلك مشهور وعمره ٣٨ سنه .

٩ ـ معاوية بن يزيد بن معاوية . استخلف فى شهر ربيع الاول سنة ٦٤ ه وكان عمره ٢١ سنه ومات بعد أبيه بأربعين يوما . كان فيها مريضا

١٠ ـ عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . وهو أول دوله بني أمية ، بويع بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٦٥ ومات فى نصف شوال سنة ٨٦ وعمره ٦٣ سنه وهو الذى ولى الحجاج العراق وخرج عليه كثير منهم المختار بن عبيد ، وعبد الله بن الزبير وغيرهم .

١١ ـ الوليد بن عبد الملك بن مروان . بويع بالخلافة فى النصف من شوال سنة ٨٦ ومات يوم السبت فى النصف من ربيع الاول سنة ٩٦ ه وعمره ٤٤ سنه وكانت ولايته عشر سنين الا شهور . وهو الذي بنى مسجد دمشق

وكانت له أياد كثيرة فى الكرم .

١٢ ـ سليمان بن عبد الملك بن مروان . بويع فى ربيع الاول سنة ٩٦ ﻫ ومات يوم الجمعه ١٠ صفر سنة ٩٩ ﻫ وعمره ٤٣ سنه ومدة ولايته سنتين وعشرة أشهر ونصفا .

١٣ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان . وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . ولي الخلافة يوم الجمعة ١٠ صفر سنة ٩٩ ومات يوم الجمعه ٢٤ رجب سنة ١٠١ بدير سمعان من أرض حمص ، وهو أعدل بنى مروان بلا منازع وسيرته وفضائله مملوءة بالحسنات رضي الله عنه

١٤ ـ يزيد بن عبد الملك بن مروان . وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بويع يوم الجمعة ٢٤ رجب سنة ١٠١ ﻫ ومات يوم الجمعه ٢٦ شعبان سنة ١٠٦ ﻫ وعمره ٢٤ سنه ومدة ولايته أربع سنين وشهر . وكان متهتكا

١٥ ـ هشام بن عبد الملك بن مروان . بويع يوم الجمعة ٢٦ شعبان سنة ١٠٦ ﻫ ومات بالرصافة يوم الاربعاء ٣ ربيع الاول سنة ١٢٥ ﻫ وعمره ٥٣ سنه ومدة ولايته ٢٠ سنه وكان مقدا ماكريما ذا همة عالية

١٦ ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان . بويع يوم الاربعاء ٣ ربيع الآخر سنة ١٢٥ وقتل يوم الخميس ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٢٦ ﻫ وعمره ٣٦ سنه ومدة ولايته سنة وشهرين و٢٢ يوما وكان فاسقا متهتكا ليس له شغل غير الخمر والقيان.

١٧ ـ يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان . وأمه ابنة يزد جرد ابن كسري بويع في أول رجب سنة ١٢٦ ومات بدمشق ٢٠ ذي الحجه سنة

١٢٤ وعمره ٣٩ سنة وكان يسمى بالناقص . لانه نقص أعطيات الجند

١٨ ـ ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك . بويع يوم وفاة أخيه ومكث أربعة أشهر ولم يتم له الامر ولم تجتمع عليه الامة وقدم مروان وخلفه . ثم عفا عنه وأمنه

١٩ ـ مروان بن محمد بن مروان ـ بويع فى ربيع الآخر سنة ١٢٧ هـ وقتل بأبى صير قرية من قري مصر فى ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ وعمره ٥٠ سنة وهو آخر خلفاء بنى أمية ولما تولت دولة العباسيين أفنتهم قتلا وتغريبا ففر منهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الي الاندلس وأسس بها دولة عظيمه ويعرف بصقر قريش ومن آثارها قصر الحمراء المشهور الآن باسبانيا وبلغت هذه الدولة من سمو المكانة وعظم السلطان وشدة البأس ماهو مشهور بكتب التاريخ

١٦ أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة

قال أحمد بن عبد ربه رضى الله تعالى عنه : نحن قائلون بعون الله في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، اذ كان هؤلاء الذين جردنا لهم كتابنا هذا ، قطب الملك الذي عليه مدار السياسة ، ومعادن التدبير ، وينابيع البلاغة ، وجوامع البيان ، هم راضوا الصعاب حتي لانت مقاودها ، وخزموا الانوف حتي سكنت شواردها ، ومارسوا الامور ، وجربوا الدهور ، فاحتملوا أعباءها ، واستفتحوا مغالقها ، حتي استقرت قواعد الملك ، وانتظمت قلائد الحكم ، ونفذت عزائم السلطان ،

﴿من اخبار زياد﴾

كان زياد عاملا لعلى بن أبي طالب على فارس ، فلما مات علي ، وبايع الحسن معاوية عام الجماعة ، بقي زياد بفارس ، وقد ملكها وضبط قلاعها ، فاغتم به معاوية فأرسل الى المغيرة بن شعبة ، فلما دخل قال : لكل نبأ مستقر ، ولكل سر مستودع ، وأنت موضع سرى ، وغاية ثقتي ، فقال المغيرة : ياأمير المؤمنين ان تستودعني سرك ، تستودعه ناصحا شفيقا ، ورعا صديقا ، فماذاك ياأمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت زيادا واعتصامه بأرض فارس ومقامه بها ، وهو داهية العرب ، ومعه الاموال ، وقد تحصن بأرض فارس وقلاعها ، يدبر الامور ، فما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فاذا هو قد أعادها جذعة ، قال له المغيرة : أتأذن لى فى إتيانه قال : نعم ، فخرج إليه ، فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مستقبل الشمس ، فقام اليه زياد ، ورحب به ، وسر بقدومه وكان له صديقا ، فلما تفاوضا فى الحديث ، قال له المغيرة : أعلمت أن معاوية استخفه الوجل ، حتى بعثني إليك ، ولا نعلم أحدا يمد يده إلى هذا الامر غير الحسن ، وقد بايع معاوية ، فخذ لنفسك قبل التوطين ، فيستغني عنك معاوية قال : أشر علي وارم الغرض الاقصي فان المستشار مؤتمن ، قال : أرى ان تصل حبلك بحبله ، وتسير اليه ، وتعير الناس أذنا صماء ، وعينا عمياء ، قال : يابن شعبة لقد قلت قولا لايكون غرسه فى غير منبتة ، لا أصل له يغذيه ، ولا ماء يسقيه ، كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشجيه ... وتغرس الا فى منابتها النخل

ثم قال أرى ويقضي الله .

قال عمر بن عبد العزيز وذكر زياداً : سعى لاهل العراق سعى الام البرة ، وجمع لهم جمع الذرة . قال العتبي كان فى مجلس زياد مكتوب الشدة فى غير عنف ، واللين فى غير ضعف ، المحسن يجازى بأحسانه ، والمسيء يعاقب باساءته ، الاعطيات فى أيامها ، لا احتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر .

قدم شريح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة ، فكان زياد يجلس فى جنبه ويقول له : إن حكمت بشيء ترى غيره أقرب الي الحق منه فاعلمنيه . فكان زياد يحكم فلا يرد شريح عليه ، فيقول زياد لشريح : ما ترى فى هذا الحكم؟ حتي أتاه رجل من الانصار فقال: إنى قدمت البصرة والخطط موجودة فاردت أن أختط لي ، فقال لي بنو عمي وقد اختطوا ونزلوا: أين تخرج عنا أقم معنا واختط عندنا ، فوسعوا لى فاتخذت فيهم داراً وتزوجت ، ثم نزغ الشيطان بيننا فقالو لي : أخرج عنا ، فقال زياد : ليس لكم ذلك منعتموه أن يختط والخطط موجودة ، وفى أيديكم فضل فاعطيتموه ، حتى اذا ضاقت الخطط أخرجتموه وأردتم الاضرار به ، لا يخرج من منزله ، فقال شريح : يامستعير القدر ارددها فقال زياد : يامستعير القدر احبسها ولا ترددها — قال محمد بن سيرين: القضاء بما قال شريح ، وقول زياد حسن :

ولما عزل عمر بن الخطاب ، زيادا عن كتابة أبى موسي ، قال له: أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لاعن واحدة منهما ، ولكن كرهت أن أحمل العامة على فضل عقلك .

٢ من أخبار الحجاج

قال أبو وائل : أرسل الحجاج الي فقال لى : ما اسمك ؟ فقلت : ما أرسل الى الامير حتى عرف اسمي ، قال لى: متى هبطت هذه الارض قلت: حين سا كنت أهلها ، قال : كم تقرأ من القرآن قلت اقرأ منه ما إن اتبعته كفاني ، قال : اني أريد أن استعين بك على بعض عملي ، قلت : إن تسعن بي تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء ، وإن تدعني فهو أحب الي وان تقحمني أتقحم قال : إن لم أجد غيرك أقحمتك، وإن وجدت غيرك لا أقحمك قلت : وأخري أكرم الله الامير ، إني ماعلمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك ، واني والله لاتعار من الليل فاذكرك فما يأتيني النوم حتى أصبح ، هذا ولست لك على عمل فأعجبه ذلك ، وقال : هيه ، فاعدت عليه الحديث ، قال أبو وائل : فقمت فعدلت عن الطريق كاني لا أبصر ، فقال : اهدوا الشيخ، أرشدوا الشيخ .

قال الشعبي : أتي بي الحجاج موثقا ، فلما جئت باب القصر لقيني يزيد بن مسلم كاتبه ، فقال : انا لله ياشعبي لما بين دفتيك من العلم ، وليس اليوم بيوم شفاعة ، قلت له : فما المخرج ؟ قال : بؤ للامير بالشرك والنفاق على نفسك، وبالحري أن تنجو ، ثم لقيني محمد بن الحجاج ، فقال لي مثل مقالة يزيد ، فلما دخلت على الحجاج قال لى : وانت ياشعبي فيمن خرج علينا ؟ قلت : اصلح الله الامير ، نبا بنا المنزل ، واجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وضاق الملك ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة اتقياء ، ولا فجرة اقوياء، قال : صدق والله مابروا بخروجهم علينا ، ولا قووا ، اطلقوا عنه.

قدم الحجاج ، على الوليد بن عبد الملك وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت اليه أم البنين ، من هذا الاعرابي المستلئم في السلاح عندك وأنت في غلالة ؟ فبعث اليها هذا الحجاج بن يوسف ، فاعادت الرسول اليه تقول والله لان يخلو بك ملك الموت ، أحب الى من أن يخلو بك الحجاج ، فأخبره الوليد بذلك وهو يمازحه ، فقال : ياأمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فانما المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، فلا تطلعها على سرك ، ومكايدة عدوك ، فلما دخل الوليد عليها أخبرها بمقالة الحجاج فقالت : حاجتي أن تأمره غدا يأتيني مسلما ، ففعل ذلك فأتاها الحجاج ، فحجبته فلم يزل قائما ، ثم قالت له : إيه ياحجاج ؟ أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك عبد الله بن الزبير ، وابن الاشعث ، أما والله لولا أن الله علم أنك من شرار خلقه ، ما ابتلاك برمي الكعبة ، وقتل ابن ذات النطاقين ، أول مولود في الاسلام ، وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء ، وبلوغ أوطاره منهن ، فان كن ينفرجن عن مثلك ، فما أحقه بالاخذ عنك ، وان كن ينفرجن عن مثله ، فغير قابل لقولك ، أما والله لقد نفض كساء أمير المؤمنين الطيب عن غدائرهن . بعثك في أعطية أهل الشام حتى كنت في أضيق من القرق قد أظلتك رماحهم وأثخنتك صفاحهم ، وحتى كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم ، فما نجاك الله من عدو أمير المؤمنين الا بحبهم إياه ، ولله در القائل ، اذ نظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك :

أسد علي وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الوغى بل كان قلبك في مخالب طائر

صدعت غزالة جمعه بعساكر ... تركت كتائبه كامس الدابر

ثم قالت اخرج نخرج مذموما مدحورا .

وخطب الحجاج أهل العراق فقال : ياأهل العراق ، بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال : من ملك على عشر رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه الي عنقه ، حتي يفكه العذل ، أويوبقه الجور ، وايم الله إني لاحب الى أن احشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا .

وأراد أن يحج ، فاستخلف محمدا ولده على أهل العراق ، ثم خطب فقال : ياأهل العراق ! ياأهل الشقاق ، إني أردت الحج ، وقداستخلفت عليكم محمد ولدي ، وأوصيته فيكم بخلاف ماأوصي به رسول الله ﷺ في الانصار ، فإنه أوصي فيهم أن يقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، واني أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وأنكم قائلون بعدي مقالة لا يمنعكم عن أظهارها الا خوفي ، لا أحسن الله له الصحابة ، وأناأعجل لكم الجواب فلا أحسن الله عليكم الخلافة ، ثم نزل .

قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق ؟ قال : خير منزل لو أدركت بها أربعة لتقربت الي الله بدمائهم قيل : ومن هم ؟ قال : مقاتل بن مسلم ، ولي سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الاموال . فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم ، فقال : لمثل هذا فليعمل العاملون . وعبد الله بن ظبيان ، قام فخطب خطبة أوجز فيها ، فنادي الناس من أغراض المسجد أكثر الله فينا أمثالك ، قال : لقد سألتم الله شططا . وسعيد بن زرارة ، كان ذات يوم جالسا على الطريق فمرت به امرأة فقالت : ياعبدالله أين الطريق الي مكان كذا ؟ فغضب وقال

أمثلي يقال ياعبد الله ؟ وأبو سماك الحنفي، أضل ناقته فقال . لئن لم يردها على لا صليت أبدا فلما وجدها قال : علم أن يميني كانت برا . قال ناقل هذا الحديث: ونسي الحجاج نفسه ، وهو خامس الاربعة ، بل هو أفسقهم ، وأطغاهم ؟

مات الحجاج في آخر أيام الوليد فتفجع عليه، وولى يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج مكانه ، فكفى وجاوز ، فقال الوليد : مات الحجاج، ووليت مكانه يزيد ابن أبي مسلم ، فكنت كمن سقط منه درهم ، فأصاب دينارا .

ولما مات الحجاج : دخل الناس على الوليد يعزونه ، ويثنون على الحجاج خيرا ، وعنده عمر بن عبد العزيز ، فالتفت اليه ليقول فيه ما يقول الناس، فقال: ياأمير المؤمنين ، وهل كان الحجاج الا رجلا منا ، فرضيها منـــه .

٣ ﴿ أخبار البرامكة ﴾

قال سهل بن هرون : اني لاحصل ارزاق العامة بين يدى يحي بن خالد ، في بناء خلا به داخل سرادقه ، وهو مع الرشيد بالرقة ، وهو يعقد جملا بكفه ، إذ غشيته سامة ، فأخذته سنة فغلبته عيناه، فقال: ويحك ياسهل، طرق النوم شفرى ، وأكلت السنة خواطرى ، فما ذلك ؟ قلت : ضيف كريم أن قربته روحك ، وأن منيته عنتك ، وان طردته طلبك ، وان أقصيته أدركك وأن غالبته غلبك ، قال : فنام أقل من فواق بكية ، أو نزع ركية ، ثم انتبه مذعورا ، فقال : ياسهل لامر ما كان والله ، لقد ذهب ملكنا ، وولى عزنا، وانقضت أيام دولتنا ، فقلت : وما ذاك أصلح الله الوزير ؟ قال: كان منشدا أنشدني :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فأجبته من غير روية ولا إجالة فكرة :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

قال : فوالله مازلت أعرفها منه ، وأراها ظاهرة فيه إلى الثالث من يومه ذلك ، فاني لفي مقعدي بين يديه ، أكتب توقيعات فى أسافل كتبه لطلاب الحاجات اليه ، قد كلفني اكمال معانيها ، باقامة الوزن فيها ، اذ وجدت رجلا سعى اليه ، حتى ارتمى مكبا عليه ، فرفع رأسه فقال: مهلا ويحك ما اكتتم خير ، ولا استتر شر قال : قتل أمير المؤمنين جعفرا الساعة قال: وقد فعل؟ قال نعم قال فما زاد على أن رمى القلم من يده وقال : هكذا تقوم الساعة بغتة

وكانت أم جعفر بن يحيي ، وهى فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قحطبة أرضعت الرشيد مع جعفر ، لانه كان ربي فى حجرها ، وغذى برسلها ، لان أمه ماتت عن مهده ، فكان الرشيد يشاورها ، مظهرا لاكرامها ، والتبرك برأيها ، وكان آلى وهو في كفالتها ، ان لا يحجبها ، ولا استشفعته لاحد الا شفعها ، وآلت أم جعفر ، أن لا دخلت عليه الا مأذونا لها ، ولا شفعت لاحد مقترف ذنبا ، قال سهل : فكم أسير فكت ! ومبهم عنده فرجت ، ومستغلق فتحت .

واحتجب الرشيد بعد قدومه ، فطلبت الاذن عليه من دار الباقونة ومتت بوسائلها اليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ، محتفية فى مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظئر أمير المؤمنين بالباب فى حالة تقلب شماتة الحاسد الى شفقة ام الواحد ، فقال الرشيد: ويحك

ياعبد الملك أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية ، قال : ادخلها ياعبد الملك فرب كبد غذتها وكربة فرجتها ، وعورة سترتها ، قال سهل :

فما شككت يومئذ فى النجاة بطلابها ، وإسعافها بحاجتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد اليها داخلة محتفية ، قام محتفيا ، حتى تلقاها بين عمد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ، ومواضع ثدييها ، ثم أجلسها معه فقالت : يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ، ويجفو ناخوفا لك الاعوان ، ويحردك بناالبهتان وقد ربيتك فى حجري ، واخذت برضاعك الامان من عدوى ودهري فقال لها : وما ذلك ياأم الرشيد ؟ قال سهل : فآيسني من رأفته تركه لكنيتها آخرا ، ماأطمعني من بره بها أولا ، قالت : ظئرك يحي ، وأبوك بعد أبيك ولا أصفه باكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، واشفاقه عليه ، وتعرضه للحتف فى شأن موسي أخيه ، قال لها : ياأم الرشيد ، أمر سبق ، وقضاء حم وغضب من الله نفذ ، قالت : ياأمير المؤمنين ، يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال : صدقت فهذا مما لم يمحه الله ، فقالت : الغيب محجوب عن النبيين ، فكيف عنك ياأمير المومنين ، قال سهل : فأطرق الرشيد مليا ثم قال:

وإذا المنية أنشبت اظفارها الفيت كل تميمة لاتنفع

قالت بغير روية : ماانا ليحيي بتميمة ياامير المؤمنين ، وقد قال الاول :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرا يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله عزوجل : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فاطرق هارون مليا ثم قال : يا أم الرشيد اقول :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت : يا امير المؤمنين وانا اقول

سنقطع في الدنيا إذا ماقطعتني يمينك فانظر اي كيف تبدل

قال هرون : رضيت قالت فهبه لي فقد قال رسول الله ﷺ : «من ترك شيئاً لله لم يوجده الله فقده »، فأكب هرون ملياً ثم رفع راسه يقول : لله الامر من قبل ومن بعد قالت : يا امير المؤمنين : ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، واذكر ياامير المؤمنين اليتك ما استشفعت الا شفعتني ، قال : واذكري يا ام الرشيد ، اليتك ان لا شفعت لمقترف ذنبا ، قال سهل : فلما رأته صرح بمنعها ، ولاذ عن طلبها ، أخرجت حقا من زمرذة خضراء ، فوضعته بين يديها ، قال الرشيد: ماهذا؟ ففتحت عنه قفلا من ذهب ، فأخرجت منه ذوائبه ، وثناياه ، قد غمست جميع ذلك في المسك ، فقالت : ياأمير المؤمنين أستشفع اليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك، ليحي عبدك، فأخذ هارون ذلك فلثمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديد ، وبكي أهل المجلس ، ومر البشير الي يحي ، وهو لايظن الا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه، فلما أفاق رمي جميع ذلك في الحق ، وقال لها : لحسن ما حفظت الوديعة قالت : وأهل للمكافأة أنت ، فسكت واقفل الحق ودفعه اليها وقال. (إن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الي اهلها) قالت: والله يقول «واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ويقول : (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) قال: وماذلك ياام الرشيد؟ قالت: ما اقسمت لي به ان لا تحجبني ولا تمهنى ،قال: ياام الرشيد اتشريه محكمة فيه ! قالت : انصفت ، وقد فعلت غير مستقيلة لك ، ولا راجعة عنك ، قال .بكم ؟

قالت : برضاك عمن لم يسخطك ، قال : ياأم الرشيد أمالي عليك من الحق مثل الذى لهم؟ قالت : بلى أنت أعز على وهم أحب الي قال : فتحكمي فى ثمنه بغيرهم، قالت: بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه، وقامت عنه، وبقى مبهوتا يحير لفظة ، قال سهل :وخرجت فلم تعد، ولا والله مارأيت لها عبرة، ولا سمعت لها أنة

واعتل يحيى فى الحبس ، فلما أشفى ، دعا برقعة فكتب فى عنوانها، ينفذ أمير المؤمنين عهد مولاه يحي بن خالد، وفيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم الي موقف الفصل، وأنت على الاثر والله حكم عدل وستقدم فتعلم

فلما ثقل قال للسجان : هذا عهدي توصله الي أمير المؤمنين ، فانه ولي نعمتي ، وأحق من نفذ وصيتى ، فلما مات يحى أوصل السجان عهده الي الرشيد ، قال سهل :وأنا عند الرشيد ، إذا وصلت الرقعة اليه ، فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ، ولا أدرى لمن الرقعة فقلت ياأمير المؤمنين : ألا أكفيك قال كلا ، إني أخاف عادة الراحة ان يتقوى سلطان العجز ، فيحكم بالغفلة ، ويقضي بالبلادة ، ووقع فيها : « الحكم الذى رضيت به فى الآخرة هو أعدى الخصوم عليك ، وهو من لا ينقض حكمه، ولا يرد قضاؤه » قال ثم رمي بالصك إلى فلما رأيته علمت أنه ليحي، وأن الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه .

٤ ﴿ أخبار الطالبين ﴾

لما ولى الخلافة أبو العباس السفاح ، قدم عليه بنو الحسن بن على بن أبى طالب ، فأعطاهم الاموال ، وقطع لهم القطائع، ثم قال لعبدالله بن الحسن: احتكم

على قال : ياأمير المؤمنين بألف الف درهم ، فاني لم أرها قط ،فاستقرضها أبو العباس من ابن أبي مقرن الصيرفى ،وامر له بها ، ثم ان ابا العباس اتي بجوهر مروان ، فجعل يقلبه وعبد الله ابن الحسن عنده، فبكي عبد الله ،فقال مايبكيك ياابا محمد ؟ قال : هذا عند بنات مروان ، وما رأت بنات عمك مثله قط ، فحباه به ، ثم امر ابا مقرن الصيرفى أن يصل اليه ، ويبتاعه منه ، فاشتراه منه بثمانين الف دينار ، ثم حضر خروج بنى حسن ، فأرسل معهم رجلا من ثقاته ، ثم قال له : قم بانزالهم ، ولا تأل فى الطافهم ، وكلما خلوت معهم ، فأظهر الميل اليهم ، والتحامل علينا وعلى ناحيتنا ، وانهم أحق بالامر منا ،واحص لى مايقولون ، وما يكون منهم في سيرهم ومقدمهم .

فلما قدم عبد الله بن حسن المدينة ، اجتمع اليه الفاطميون ، فجعل يفرق فيهم الاموال التى بعث أبو العباس ، فعظم بها سرورهم ، فقال لهم عبد الله : فرحتم ؟ قالوا : وما لنا لا نفرح بما كان محجوبا عنا بأيدي بني مروان ، حتى أتى الله بقرابتنا وبنى عمنا فأصاروه الينا ؟ قال لهم : أفرضيتم أن تنالوا هذا من تحت أيدى قوم آخرين ، فخرج الرجل الذي كان وكله أبو العباس بأخبارهم فأخبره بما سمع من قولهم ، وقوله ، فأخبر أبو العباس أباجعفر ،فزادت الامور شرا ، ثم مات أبو العباس ، وقام أبو جعفر بالامر بعده ، فبعث بعطاء أهل المدينة وكتب الى عامله أن أعط الناس فى أيديهم ، ولا تبعث الي أحد بعطائه وتفقد بني هاشم ، ومن تخلف منهم ممن حضر ، وتحفظ بمحمد وابراهيم ابني عبد الله ، ففعل ، وكتب انه لم يتخلف أحد ، الا محمد وابراهيم ابنا عبد الله، فانهما لم يحضرا ، فكتب أبو جعفر الي عبد الله بن الحسن ، يسأله عنهما ،

ويأمره باظهارها ، ويخبره انه غير غادر بهما ، وذلك سنة ١٣٩ هجرية ، فكتب اليه عبدالله ، أنه لا يدري أين توجها ، وأن غيبتهما غير معروفة

لما وجه المنصور عيسى بن موسى فى محاربة بني عبد الله بن الحسن قال: ياأبا موسى إذا صرت فى المدينة ، فادع محمد بن عبدالله الي الطاعة والدخول في الجماعة ، فان أجابك فاقبل منه ، وأن هرب منك فلا تتبعه ، وان أبي الا الحرب فناجزه ، واستعن بالله عليه ، فاذا ظفرت به ، فلا تخيفن أهل المدينة ، وعمهم بالعفو ! فانهم الأصل والعشيرة ! وذرية المهاجرين والانصار وجيران قبر النبي ﷺ ، فهذه وصيتي اليك لا كما أوصي يزيد، مسلم بن عقبة حين وجهه الى المدينة ، وأمره ان يقتل من ظهر الى ثنية الوداع وان يبيحها ثلاثه ايام ففعل ؛ فلما بلغ يزيد ، تمثل بقول ابن الزبعرى في يوم احد حيث قال :

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

ثم اكتب الي اهل مكة بالعفو عنهم والصفح ، فانهم آل الله وجيرانه وسكان حرمه ، وامنه ، ومنبت القوم والعشيرة ، وعظماء البيت ، والحرم لا يلحد فيه بظلم ، فانه حرم الله الذي بعث فيه محمدا نبيه ﷺ ، وشرف به آباءنا بتشريف الله إيانا فهذه وصيتي ، لا كما اوصي به الذي وجه الحجاج الى مكة ، فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة ، وان يلحد في الحرم بظلم فعل ذلك فلما بلغه الخبر تمثل بقول عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
لنا الدنيا ومن اضحي عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة فبايعه اهل المدينة واهل مكة وخرج ابراهيم اخوه بالبصرة فتغلب على البصرة والاهواز وواسط قال سديف بن ميمون فى ذلك :

إن الحمامة يوم الشعب من حضن ... هاجت فؤاد محب دائم الحزن
إنا لنأمل ان ترتد ألفتنا ... بعد التباعد والشحناء والاحن
وتنقضي دولة احكام قادتها ... فيها كأحكام قوم عابدى وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا ... إن الخلافة فيكم يابنى حسن
لاعز ركن نزار عند نائبة ... إن أسلموك ولا ركن لذى يمن
الست أكرمهم يوما إذا انتسبوا ... عودا وأنقاهم ثوبا من الدرن
وأعظم الناس عند الله منزلة ... وأبعد الناس من عجز ومن أفن

فلما سمع أبو جعفر هذه الابيات استطير بها ، فكتب الي عبد الصمد بن على ، أن يأخذ سديفا فيدفنه حيا ففعل ، قال الرياشى ، فذكرت هذه الابيات لابي جعفر شيخ من أهل بغداد فقال : هذا باطل ، الابيات لعبد الله بن مصعب ، وانما كان سبب قتله سديفا أنه قال أبياتا مبهمة ، و كتب بها الي أبي جعفر ، وهى هذه :

أسرفت في قتل الرعية ظالما ... فاكفف يديك أضلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية ... جرارة يقتادها حسنيها

(خلفاء بني العباس وأخبارهم)

١ـ أبو العباس السفاح ـ عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ولد أول رجب سنة ١٠٤ وبويع بالكوفة ١٢ ربيع الاخر سنة

١٣٤ وتوفى بالانبار ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦ ومدة خلافته ٤ سنين و٨اشهر

٢ ـ أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس . بويع يوم وفاة أخيه . وكان مولده بالشراة ٧ ذي الحجة سنة ٩٥هـ وتوفي بمكة وهو محرم ٧ ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ ودفن بالحجون ومدة خلافته ٢٢ سنة الا ثمانية أيام وعمره ٦٣ سنة

٣ـ المهدي محمد بن عبد الله المنصور . بويع صبيحة وفاة أبيه وكان مولده بالحميمة ١٣ جمادي الاخرة سنة ١٢٦ هـ وتوفى بما سبذان فى المحرم سنة ١٦٩ ومدة خلافته ١٠ سنين و ٤٥ يوما وعمره ٤١ سنة و٨اشهر ويومين

٤ ـ الهادى ـ موسى بن المهدي بويع أول صفر سنة ١٦٩ وتوفي بعيساباذ ١٤ ربيع الاول سنة ١٧٠ ومدة خلافته سنة وشهرين الا أياما وعمره ٢٦ سنة .

٥ـ الرشيد ـ هرون الرشيد بن المهدى . بويع يوم الجمعة ١٤ ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ وولد فى هذه الليلة المأمون ابنه ، وكان مولده في المحرم سنة ١٤٨ وتوفى فى جمادي الاولي سنة ١٩٣ ومدة خلافته ٢٣ سنة وشهرا وستةعشر يوما وعمره ٤٦ سنة و ٥ اشهر ودفن بطوس .

٦ـ الامين ـ محمد بن هارون الرشيد . بويع فى جمادى الاخرة سنة ١٩٣ وقتل يوم الاحد ٢٥ محرم سنة ١٩٨ ومدة خلافته ٤ سنين و٦اشهر وكان مولده بالرصافة سنة ١٧١ فى شوال ومدة الفتنة بينه وبين أخيه سنتين .

٧ ـ المأمون ـ عبد الله بن هرون الرشيد . بويع بعد قتل اخيه فى يوم الخميس ٥ صفر سنة ١٩٨ وكان مولده بالناشرية وتوفى بالبدندون فى

٨رجب سنة ٢١٨ ودفن بطوس ومدة خلافته ٢٠ سنة و٥ اشهر و١٣ يوما وعمره ٤٨ سنة واربعة أشهر إلا أياما

٨ ـ المعتصم بالله بن هرون الرشيد . بويع يوم الجمعة ١٢ رجب سنة ٢١٨ وكان مولده فى شهر رمضان سنة ١٧٨وتوفى بسر من رأي يوم الخميس ١٧ ربيع الاول سنه ٢٢٩ ومدةخلافته٨سنين و٨ اشهر وكان يسمى بالمثمن وكان عالي الهمة شديد القوة وهو أول من اتخذ المماليك من الترك والروم

٩ ـ الواثق هرون بن المعتصم . بويع يوم وفاة أبيه وكان مولده يوم الاثنين ٢٠ شعبان سنة ١٩٦ وتوفى بسر من رأي يوم الاربعاء ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٣٢ ﻫ ومدة خلافته ٥ سنين و٩ اشهر و١٣ يوما وعمره ٣٦ سنة و ٤ اشهر وأياما .

١٠ ـ المتوكل جعفر بن المعتصم بويع يوم الاربعاء ٢٤ ذي الحجة سنة ٢٢٢ وكان مولده يوم الاربعاء ١١ شوال سنة٢٠٦وقتل ليلة الاربعاء ٣ شوال سنة ٢٤٧ ودفن بالقصر الجعفرى ومدة خلافته ١٤ سنة و٩ اشهر و٩ أيام وعمره ٤٠ سنة

١١ ـ المنتصر محمد بن المتوكل بويع يوم مقتل أبيه وكان مولده يوم الخميس ٦ ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ومدة خلافته ستة أشهر وعمره ٢٦ سنة

١٢ ـ المستعين احمد بن محمد بن المعتصم . بويع يوم الاثنين ٤ ربيع الآخر سنة ٢٤٨ﻫ وخلع نفسه يوم الجمعة ٤ محرم سنة ٢٥٢ ومدة خلافته ٣ سنين و٩ اشهر وكان مولده ٤ رجب سنة ٢٢١وقتل بالقادسية بعد خلع نفسه بتسعه اشهر وعمره ٣١ سنة .

١٣ ـ المعتز محمد بن المتوكل. بويع يوم الجمعة ٤ محرم سنة ٢٥٢ وقتل يوم الجمعة أول شعبان سنه ٢٥٥ وكان مولده يوم الخميس ١١ ربيع الآخر سنة ٢٣٢ ومدة خلافته ٣ سنين و ٦ اشهر و ٢٣ يوما وعمره ٢٤ سنة وشهرين وأياما

١٤ ـ المهتدي محمد بن الواثق ـ بويع يوم الاربعاء ٢٩ رجب سنة ٢٥٥ وكان مولده يوم الاحد ٥ ربيع الاول سنة ٢١٩ وقتل بسر من رأى يوم الثلاثاء ١٦ رجب سنة ٢٥٦ ومدة خلافته ١١ شهرا و ١٤ يوما وعمره ٣٧ سنة و ٤ اشهر و ١١ يوما

١٥ ـ المعتمد احمد بن المتوكل. بويع يوم الثلاثاء ١٦ رجب سنة ٢٥٦ وكان مولده يوم الثلاثاء ٢٢ محرم سنة ٢٢٩ وتوفى ببغداد ١٤ رجب سنة ٢٧٩ ومدة خلافته ٢٣ سنة وعمره ٥٠ سنة و ٥ اشهر و ٢٢ يوما

١٦ ـ المعتضد احمد بن الموفق بن المتوكل. بويع يوم وفاة المعتمد. وكان مولده فى جمادى الآخرة سنة ٢٤٣ وتوفى ببغداد ليلة الثلاثاء ٢٣ ربيع الآخر سنة ٢٨٩ ومدة خلافته ٩ سنين و ٩ اشهر و ٤ أيام وعمره ٤٥ سنة و ٩ اشهر وأياما

١٧ ـ المكتفي على بن المعتضد. بويع يوم وفاة أبيه وكان مولده في رجب سنة ٢٦٤ وتوفى ببغداد ليلة الاحد ١٣ ذى القعدة سنة ٢٩٥ ومدة خلافته ٦ سنين و ٦ اشهر و ٢٠ يوما وعمره ٣١ سنة وأربعة أشهر وأياما

١٨ ـ المقتدر جعفر بن المعتضد. بويع يوم وفاة أخيه وكان مولده فى ٢٢ رمضان سنة ٢٨٢ وخلع مرتين في خلافته. الاولى بعد جلوسه بأربعة أشهر وأيام بابن المعتز وبطل الامر من يومه. والثانية بعد ٢١ سنة

وشهرين ويومين واجلس القاهر يومين ورجع المقتدر . وقتل بالشماسية يوم الاربعاء ٢٧ شوال سنة ٣٢٠ ﻫ ومدة خلافته ٢٥ سنه الا ١٥ يوما وعمره ٤٨ سنة وشهرا وعشرين يوما

١٩ ـ القاهر محمد بن المعتضد . بويع يوم الخميس ٢٨ شوال سنة ٣٢٠ وكان مولده ٥ جمادى الاولى سنة ٢٨٧ وخلع وسمل يوم الاربعاء ٥ جمادى الاولى سنة ٣٢٢ ومدة خلافته سنة و ٦ اشهر وستة أيام وعاش الى أيام المطيع .

٢٠ ـ الراضى احمد بن المقتدر . بويع يوم خلع القاهر . وكان مولده فى رجب سنة ٢٩٧ ومات ببغداد يوم الجمعة ١٤ ربيع الاول سنة ٣٢٩ ودفن بالرصافة ومدة خلافته ٦ سنين و ١٠ أيام وعمره ٣١ سنه و ٨ اشهر وأياما

٢١ ـ المتقى ابراهيم بن المقتدر . بويع يوم الاربعاء ٢٠ ربيع الاول سنة ٣٢٩ وكان مولده فى شعبان سنة ٢٩٧ وخلع وسمل يوم السبت ٨ صفر سنة ٣٣٣ ﻫ ومدة خلافته ٣ سنين و ١١ شهرا الا أياما

٢٢ ـ المستكفى عبد الله بن على . بويع فى صفر سنة ٣٣٣ وخلع فى شعبان سنة ٣٣٤ وتوفى سنة ٣٣٩ ومدة خلافته سنة واحدة و ٦ اشهر وأياما ومولده أول سنة ٢٩٢ وعمره ٤٧ سنة

٢٣ ـ المطيع الفضل بن المقتدر . بويع فى ٢٣ شعبان سنة ٣٣٤ وخلع نفسه ببغداد فى ١٧ ذي الحجة سنة ٣٦٣ وكان مولده فى نصف ذى القعدة سنة ٣٠١ ومدة خلافته ٢٩ سنه و ٣ اشهر و ٢٠ يوما .

أيام العرب ووقائعها

قال الفقيه احمد بن عبد ربه رضي الله عنه . قد مضي قولنا في أخبار زياد ، والحجاج ، والبرامكة ، والطالبين ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، في أيام العرب ، ووقائعها ، فانها مآثر الجاهلية ، ومكارم الاخلاق السنية .

قيل لبعض أصحاب رسول الله ﷺ : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم قال : كنا نتناشد الشعر ، ونتحدث باخبار جاهليتنا .

١ ﴿ حرب داحس والغبراء ﴾

قال ابو عبيدة : حرب داحس والغبراء ، بين عبس وذبيان ، وكان السبب الذى هاجها ، أن قيس بن زهير ، وحمل بن بدر ، تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق ، وكان داحس فحلا لقيس ، وكانت الغبراء حجرة لحمل بن بدر ، وتواضعا الرهان على مائة بعير ، وجعلا منتهي الغاية مائة غلوة ، والاضمار أربعين ليلة .

ثم قادوهما الي رأس الميدان ، بعد أن اضمروهما أربعين ليلة ، وفى طرف الغاية شعاب كثيرة ، فأكمن حمل بن بدر ، فى تلك الشعاب فتيانا على طريق الفرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقا ان يردوا وجهه عن الغاية ، قال ، فأرسلاهما فأحضرا ، فلما احضرا خرجت الانثى من الفحل ، فقال حمل بن بدر : سبقتك ياقيس ، فقال قيس : رويدا يعدوان الجرد الى الوعث ، وترشح اعطاف الفحل . قال : فلما اوغلا فى الجرد ، وخرجا الى الوعث ، برز داحس عن الغبراء فقال قيس : جري المذكيات غلاء ، فذهبت مثلا فلما اشارف داحس الغاية ، ودنا من

الفتية ، وثبوا في وجه داحس فردوه عن الغاية ،ففي ذلك يقول قيس بن زهير

وما لاقيت من حمل بن بدر وإخـوته على ذات الاصـاد
همو فخروا على بغـير فخر وردوا دون غايتـه جوادي

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابني بغيض اربعين سنة ، لم تنتج لهم ناقة ولا فرس ، لاشتغالهم بالحرب ، فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الي قيس ابن زهير يطلب منه حق السبق ، فقال قيس . كلا لا مطلتك به ، ثم اخذ الرمح فطعنه به فوق صلبه ، ورجعت فرسه غائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية مالك مائة عشراء وزعموا ان الربيع بن زياد حملها وحده ، فقبضها حذيفة وسكن الناس ثم ان مالك بن زهير نزل اللقاطة من ارض الشربة ، فاخبر حذيفة بمكانه ، فعدا عليه فقتله ، ففي ذلك يقول عنترة الفوارس :

فلله عينا من رأي مثل مالك عقيرة قوم ان جري فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو عبس: مالك بن زهير بمالك بن حذيفة ، وردوا علينا مالنا فابي حذيفة ان يرد شيئاً ، وكان الربيع بن زياد مجاورا لبني فزارة ، ولم يكن في العرب مثله ومثل اخوته ، وكان يقال لهم الكملة ، وكان مشاحنا لقيس بن زهير ، من سبب درع لقيس غلبه عليها الربيع بن زياد فاطرد قيس لبونا لبني زياد فأتي بها مكة ، فعاوض بها عبد الله بن جدعان بسلاح وفي ذلك يقول قيس :

ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشري بادراع وأسياف حداد

وكنت إذا بليت بخصم سوء　　دلفت له بداهية الفؤاد

ولما قتل مالك بن زهير ، قامت بنو فزارة يسالون ويقولون : ما فعل حماركم ؟ قالوا : صدناه ، فقال الربيع : ماهذا الوحي ؟ قالوا : قتلنا مالك بن زهير قال : بئس مافعلتم بقومكم ، قبلتم الدية ، ثم رضيتم بها ، وغدرتم ، قالوا . لولا أنك جارنا لقتلناك ، وكانت خفرة الجار ثلاثا فقالوا له : بعد ثلاث ليال أخرج عنا ، فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه واتاه قيس بن زهير فعاقده ا وفى ذلك يقول الربيع :

فان تك حربكم أمست عوانا　　فاني لم أكن ممن جناها
ولكن ولد سودة ارثوها　　وحشوا نارها لمن اصطلاها
فاني غير خاذلكم ولكن　　سأسعي الآن اذ بلغت مداها

ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان الي بنى فزارة وذبيان ، ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر

٢ يوم ذي حسا لذبيان على عبس

ثم أن ذبيان تجمعت لما أصاب بنو عبس يوم المريقب افنزلوا فتوافوا بذي حسا وهو وادي الصفا من أرض الشربة وبينه وبين قطن ثلاث ليال وبين اليعمرية ليلة فهربت بنو عبس وخافت أن لا تقوم بجماعة بنى ذبيان واتبعوهم حتي لحقوهم ، فقالوا : التفاني أو يقيدوننا ، فاشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد ان لا يناجزوهم ، وان يعطوهم رهائن من أبنائهم حتي ينظروا في أمرهم فتوافقوا أن يكون رهنهم عند سبيع بن عمرو ، احد بنى ثعلبة من بنى ذبيان فدفعوا اليه ثمانية من الصبيان وانصرفوا ، وتكاف عن الناس وكان رأي الربيع

مناجزتهم ، فصرفه قيس عن ذلك فقال الربيع:

اقول ولم املك لقيس نصيحة   ارى ماتري والله بالغيب اعلم
انبقي علي ذبيان فى قتل مالك   فقدحش جاني الحرب نارا تضرم

فمكث رهنهم عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنه مالك : ان عندك مكرمة لاضير إن انت حفظت هؤلاء الاغيلمة ، فكاني بك لومت قد اتاك خالك حذيفة فعصر عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه ، فيقتلهم فلا تشرف بعدها ابدا فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومك ، فلما هلك سبيع اطاف حذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم اليه، فأتي بهم اليعمرية ، فجعل يبرز كل يوم غلاما فينصبه غرضا ويقول: نادا باك. فينادي اباه حتي يقتله

٣ ﴿يوم الهباءة لعبس على ذبيان﴾

ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قائظ الي جنب جفر الهباءة، واقتتلوا من بكرة حتي انتصف النهار ، وحجز الحر بينهم ، وكان حذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركض ، فقال قيس بن زهير : يابني عبس إن حذيفة غدا إذا احتدمت الوديقة مستنقع في جفر الهباءة ، فعليكم بها ، فخرجوا حتي وقعوا على صارف فرس حذيفة ، والحنفاء فرس حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير: هذا اثر الحنفاء وصارف ، فقفوا اثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة، فبصر بهم حمل بن بدر فقال لهم : من ابغض الناس اليكم ان يقف على رءوسكم ؟ قالوا : قيس بن زهير والربيع بن زياد ، فقال : هذا قيس بن زهير قد اتاكم، فلم ينقض كلامه حتى وقف قيس واصحابه على جفر الهباءة ، وقيس يقول لبيكم لبيكم يعني إجابة

الصبية الذين كانوا ينادونهم اذ يقتلون ، وفى الجفر حذيفة وحمل ومالك أبناء بدر، وورقاء بن هلال ، فوقف عليهم شداد بن معاوية العبسي وهو فارس جروة فرسه ، ولها يقول :

ومن يك سائلا عني فاني وجروة كالشجا تحت الوريد
اقوتها بقوتي إن شتونا والحفها ردائي فى الجليد

فحال بينهم وبين خيلهم ، ثم توافت بنى عبس ، فقال حمل : ناشدتك الله والرحم ياقيس ، فقال : لبيكم لبيكم ، فعرف حذيفة انه لن يدعهم، فانتهر حملا وقال : إياك والمأثور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : لئن قتلتني لا تصلح غطفان بعدها فقال قيس : أبعدها الله ولا اصلحها ! وجاءه قرواش بمعبله فقصم صلبه ، وابتدره الحارث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباه بسيفهما حتى دفعا عليه ، وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر ، فقال قيس يرثى حملا:

تعلم ان خير الناس ميت على جفر الهباءة مايريم
ولولا ظلمه مازلت ابكي عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغي والبغى مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومي وقد يستضعف الرجل الحليم
وما رست الرجال وما رسوني فمعوج على ومستقيم

ومثلوا بحذيفة كما مثل هو بالغلمة .

فلما اصيب اهل الهباءه، واستعظمت غطفان قتل حذيفة، تجمعوا وعرفت بنو عبس ان ليس لهم مقام بأرض غطفان ، فخرجوا الى اليمامة ، فنزلوا

باخوانهم بني حنيفة ، ثم رحلوا عنهم ، فنزلوا ببنى سعد بن زيد مناة :

٤ ﴿ يوم الفروق ﴾

ثم ان بني سعد غدروا بجوارهم . فأتوا معاوية الجون فاستجاسوا عليهم وأرادوا اكلهم ، فبلغ ذلك بنى عبس ، فغزوا البلاد ، وقدموا ظعنهم ووقفت فرسان بموضع يقال له الفروق ، واغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محلتهم ، فلم يجدوا الا مواقد النيران ، فاتبعوهم حتى أتوا الفروق ، فاذا بالخيل والفرسان قد توارت ، فانصرفوا عنهم ، ومضي بنو عبس فنزلوا ببني ضبة ، فأقاموا فيهم ، وكان بنو حذيفة من بنى عبس يسمون بنى رواحة ، وبنو بدر بن فزارة يسمون بني سودة ، ثم رجعوا الي قومهم فصالحوهم ، وكان أول من سعي فى الحمالة حرملة بن الاشعر ، فمات فسعي هاشم ابنه ، وله يقول الشاعر :

أحيا أباه هاشم بن حرمله يوم الهباتين ويوم اليعملة
ترى الملوك حوله مرعبلة يقتادا الذنب ومن لاذنب له

٥ ﴿ حرب البسوس وهي حرب بكر ووائل ابنى تغلب ﴾

لم تجتمع معد كلها الاعلى ثلاثة رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب ، فالاول عامر بن الظرب ، والثاني ربيعة بن الحارث ، والثالث كليب بن ربيعة ، وهو الذي يقال فيه اعز من كليب وائل ، وقاد معدا كلها يوم خزازى ، ففض جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معد كلها ، وجعلوا له قسم الملك ، وتاجه ، وتحيته ، واطاعته معد بذلك حينا من دهره ، ثم دخله زهو شديد ، وبغي على قومه ، لما هو فيه من عزة وانقياد معد له ، حتي بلغ من بغية انه كان يحمي مواقع السحاب ، فلا يرعى حماه ، ويجير على الدهر فلا

تخفر ذمته، ويقول وحش ارض كذا في جواري فلا يهاج ، ولا تورد ابل احد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره، حتي قالت العرب اعز من كليب وائل، وكانت بنو جشم ، وبنو شيبان، في دار واحدة بتهامة، وكان كليب قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان ، واخوها جساس ، وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس ، وكانت نازلة في بني شيبان ، مجاورة لجساس ، وكان لها ناقة لها سراب ، ولها تقول العرب اشأم من سراب ، واشأم من البسوس ، فمرت إبل لكليب بسراب ناقة البسوس وهي معقولة ، فلما رات سراب الابل نازعت عقالها حتى قطعته ، وتبعت الابل واختلطت بها حتى انت الى كليب، وهو على الحوض معه مريش وكنانة، فلما رآها انكرها ، فشد عليها بسهم فخزم ضرعها، فنفرت الناقة وهي ترغو ، فلما راتها البسوس قذفت خمارها عن راسها ، وصاحت واذلاه واجاراه .

٦ ﴿مقتل كليب﴾

فأحمست جساسا ، فركب فرساله مغرورا به، واخذ آلته، وتبعه عمرو بن الحرث بن ذهل علي فرسه ومعه رمحه ، حتى دخلا الحي علي كليب ، فقال له ياابا الماجدة عمدت الي ناقة جارتي فعقرتها ؟ فقال له : ماما نعي عن ان اذب عن حماى ، فأحمسه الغضب ، فطعنه جساس فقصم صلبه، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه ، فوقع كليب وهو يفحص برجله ، وقال لجساس : اغثني بشربة ماء ، فقال تجاوزت شبيثا والأحص .

فلما قتل كليب : ارتحلت بنوا شيبان حتي نزلوا بماء يقال له النهى، وتشمر المهلهل اخو كليب ، واسمه عدى بن ربيعة (وانما قيل له المهلهل لانه اول من

هلهل الشعر) واستعد لحرب بكر. وترك النساء والغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه ، فأرسل رجلا منهم الي بني شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الامر ، فأتوا مرة بن ذهل، وهو في نادي قومه، فقالوا له: انكم اتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناب من الابل ، فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وانا كرهنا العجلة عليكم دون الاعذار اليكم ، ونحن نعرض عليكم خلالا أربعا، لكم منها مخرج ، ولنا فيها مقنع ، فقال مرة : وما هي ؟ قال: تحيي لنا كليبا، أو ندفع الينا جساسا قاتله فنقتله به ، أو هماما فانه كفء له ، او تمكننا من نفسك فان فيك وفاء من دمه .

فقال: أما احيائي كليبا فهذا مالا يكون ، وأما جساس فانه غلاو طعن طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوي عليه، وأما همام فانه أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة، وكلهم فرسان قومهم فان يسلموه لي فأدفعه اليكم يقتل بجريرة غيره ، وأما أنا فهل هو الا ان تجول الخيل جولة غدا فأكون أول قتيل بينها ، فما أتعجل من الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان ، أما احداهما فهؤلاء بني الباقون فعلقوا في عنق أيهم شئتم نسعه فانطلقوا به الى رحالكم فاذبحوه ذبح الجزور ، والا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلا من بني وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبذل لنا ولدك، وتسومنا اللبن من دم كليب ووقع الحرب بينهم ، ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها ودعت النمر قاسط فانضمت الي كليب وصاروا يدا معهم على بكر ، ولحق بهم عقيلة بن قاسط ، واعتزلت قبائل بكر بن وائل، وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم علي قتال اخوتهم، واعظموا قتل جساس كليبا بناب من الابل

فظعنت لجيم عنهم، وكفت يشكر عن نصرتهم، وانقبض الحارث بن عباد فى اهله، وهو ابو بجير، وفارس النعامة، وقال المهلهل يرثى كليبا:

بت ليلى بالانعمين طويلا ارقب النجم ساهرا أن يزولا
كيف اهدا ولا يزال قتيل من بني وائل ينسي قتيلا

الى أن قال:

قتلوا ربهم كليبا سفاها ثم قالوا ماإن نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين فى عاطف الـــرحم وتروي رماحنا والخيولا

وقال أيضا يرثيه:

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها إذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتي عزا ومكرمة تحت السفاسف إذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليبا لي فقلت لهم مالت بنا الارض أوزالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من طبيعته ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها زهوا اذا الخيل لحت فى تعاديها
من خيل تغلب ماتلقى أسنتها الا وقد خضبوها من أعاديها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقت الارض وانجابت نواحيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم مالاحت الشمس في أعلا مجاريها

وأول وقعة بينهم كانت بالنهي يوم النهي، فالتقوا بماء يقال له النهى، كانت بنو شيبان نازلة عليه، ورئيس تغلب المهلهل، ورئيس شيبان الحارث

ابن مرة ، فكانت الدائرة لبني تغلب ، وكانت الشوكة فى شيبان ، واستحر القتل فيهم ، الا انه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بني مرة .

٧ ﴿ يوم عنيزة ﴾

ثم التقوا بعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيه لبني تغلب على بني بكر ، فمنها يوم الحنو ، ويوم عويرضان ، ويوم أينق ، ويوم ضرمة ، ويوم مصيان ، هذه الايام كلها لتغلب على بكر ، أصيبت فيها بكر حتي ظنوا أن ليس يستقبلون أمرهم ، وقال مهلهل يصف هذه الايام ، وينعيها على بكر ، فى قصيدة طويلة أولها :

أليلتنا بذي حسم أنيرى ... اذا أنت انقضيت فلا تحورى
وان يك بالذنائب طال ليلى ... فقد أبكي من الليل القصير

وفيها يقول :

فلو نبش المقابر عن كليب ... لاخبر بالذنائب أي زير
كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير
وإنى قد تركت بواردات ... بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد ... وبعض القتل أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا برزت مخباة الخدور
ولولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء :

أكثرت قتل بنى بكر بربهم ... حتي بكيت وما يبكي لهم أحد
آليت بالله لا أرضي بقتلهم ... حتى ابهرج بكرا أينما وجدوا

قال أبو حاتم :أبهرج أدعهم بهرجا لا يقتل فيهم قتيل ، ولا يؤخذ لهم دية . وقال البهرج من الدراهم من اهذا . وقال المهلهل :

يال بكر أنشروا لي كليبا   يال بكر أين أين الفرار

وقال :

قتلوا كليبا ثم قالوا أربعوا   كذبوا ورب الحل والاحرام

حتي تبيد قبيلة وقبيلة   ويعض كل مثقف بالهام

وتقوم ربات الخدور حواسرا   يمسحن عرض ذوائب الايتام

حتي يعض الشيخ بعد حميمه   مما يري ندما على الابهام

٨ ﴿ يوم قضة ﴾

ثم أن مهلهلا أسرف فى القتل ، ولم يبال بأي قبيلة من قبائل بكر أوقع وكان اكثر بكر قعد عن نصرة بني شيبان لقتلهم كليب بن وائل ،فكان الحارث بن عباد اعتزل تلك الحروب حتى قتل ابنه بجير ،ويقال أنه كان ابن أخيه ،فلما بلغ الحارث قتله قال :نعم قتيلا القتيل أصلح بين ابني وائل ،وظن أن المهلهل قد أدرك به ثأر كليب ، وجعله كفئا له ، فقيل له ،انما قتله بشسع نعل كليب ، وذلك أن المهلهل لما قتل بجيرا قال . بؤ بشسع نعل كليب ، فغضب الحارث بن عباد ، وكان له فرس يقال لها النعامة ،فركبها وتولى أمر بكر ، فقتل من تغلب حتى هرب المهلهل ، وتفرقت قبائل تغلب ، فقال فى ذلك الحرث بن عباد :

قربا مربط النعامة منى   لقحت حرب وائل عن حيال

لم أكن من جناتها علم الله   وإني بحرها اليوم صال

قربا مربط النعامة مني ان قتل الكريم بالشسع غال

وكان اليوم الذي شهده الحارث بن عباد ، يوم قضة ويوم تحلاق اللمم وفيه يقول طرفة بن العبد :

سائلوا عنا الذي يعرفنا ما لقينا يوم تحلاق اللمم

وفيه أسر الحارث بن عباد المهلهل وهو لا يعرفه ، واسمه عدي بن ربيعة، فقال الحارث له: دلني على عدي واخلي عنك ، فقال له عدى : عليك العهود بذلك إن دللتك عليه، قال :نعم قال : فأنا عدي ،فجز ناصيته وتركه ،وقال فيه

لهف نفسي على عدى ولم أعرف عديا إذ أمكنتني اليدان

ثم ان المهلهل فارق قومه ، ونزل في بني جنب ، وجنب من مذحج، فخطبوا اليه ابنته ، فمنعهم ، فأجبروه على تزويجها ، وساقوا اليه في صداقها جلودا من أدم ، فقال في ذلك :

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بني الاكرمين من جشم

١٨ فضائل الشعر

قال الفقيه احمد بن عبد ربه : نحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، في فضائل الشعر ، ومقاطعه ومخارجه، إذا كان الشعر ديوان خاصة العرب ، والمنظوم من كلامها ، والمقيد لأيامها ، والشاهد على حكامها ، حتى لقد بلغ من كلف العرب وتفضيلها له ، أن عمدت إلى سبع قصائد من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب، في القباطي المدرجة، وعلقتها في أستار الكعبة، فمنه يقال مذهبة امريء القيس، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات

اختلف الناس في أشعر الشعراء ، قال النبي ﷺ وذكر عنده امرؤ القيس ابن حجر : هو قائدهم، وصاحب لوائهم، وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليه من غطفان : من الذي يقول ؟

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مطلب

قالوا : نابغة بني ذبيان ، قال لهم : فمن الذي يقول ؟

أتيتك عاريا خلقا ثيابي ... على وجل تظن بي الظنون

فألفيت الامانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : هو النابغة قال : هو أشعر شعرائكم .

وقال أبو عمرو بن العلا: طرفة أشعرهم واحدة يعني قصيدته «لخولة أطلال ببرقة ثمهد » وفيها يقول :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشد هذا البيت للنبي ﷺ ، فقال : هذا كلام النبوة

ومن الدليل على عظم قدر الشعر عند العرب ، وجليل خطبه في قلوبهم أنه لما بعث النبي ﷺ بالقرآن المعجز نظمه ، المحكم تأليفه ،وأعجب قريشا ما سمعوا منه قالوا : ما هذا الا سحر ، وقالوا في النبي : شاعر نتربص به ريب المنون ؟

وقال عمر بن الخطاب : أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم ،

وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على رسول الله ﷺ ، فأنشده شعره الذي يقول فيه:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وأنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي : الي أين يا أباليلى ؟ فقال : الي الجنة يارسول الله بك ، فقال النبي : الي الجنة إن شاء الله ، فلما بلغ قوله :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الامر أصدرا

قال النبي : لا يفضض الله فاك ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية ،

قال أبو جرول الجشمى ، وكان رئيس قومه : أسرنا النبي ﷺ يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء ، إذ وثبت بين يديه ، فأنشدته

امنن علينا رسول الله فى حرم فانك المرء نرجوه وننتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعته ، فقال : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ، فقالت الانصار: وما كان لنا فهو لله ولرسوله ، فردت الانصار ما كان في أيديها من الذرارى والاموال .

سئل مالك بن أنس ، من أين شاطر ابن الخطاب عماله ، فقال: أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وان شاعرا كتب اليه يقول :

نحج اذا حجوا ونغزوا إذا غزوا فانى لهم وفر ولسنا بذى وفر

إذا التاجر الهندى جاء بفارة من المسك راحت فى مفارقهم تجري

فدونك مال الله حيث وجدته سيرضون إن شاطرتهم منك بالشطر

قال : فشاطرهم عمر أموالهم .

﴿ قولهم فى المدح ﴾

قال ابن عباس : قال لي عمر بن الخطاب : أنشدنى قول زهير فأنشدته قوله فى هرم بن سنان حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن إذا فزعوا إنس اذا أمنوا مرزءون بهاليل إذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال له عمر : ما كان أحب الي لو كان هذا الشعر فى أهل بيت رسول الله ﷺ .

ودخل ابن هرم بن سنان ، على عمر بن الخطاب ، فقال له : من أنت؟ قال : انا ابن هرم بن سنان ، قال : صاحب زهير ، قال : نعم ، قال : أما انه كان يقول فيكم فيحسن ، قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل ، قال : ذهب ما أعطيتموه ، وبقى ما أعطاكم . وقال الحطيئة : لما حبسه عمر بن الخطاب ، فى هجائه للزبرقان بن بدر ، أبياتا يمدح فيها عمر ويستعطفه ، فلما قرأها عمر عطف له ، وأمر باطلاقه والابيات .

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه القى اليه مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لـكن لانفسهم كانت بها الاثر

٢ ﴿ قولهم في الهجاء ﴾

قال عبد الملك بن مروان : ما هجاني أحد بأوجع من بيت هجاني به ابن الزبير وهو:

فان تصبك من الأيام جائحة لم نبك منك على دنيا ولا دين

وقال بلال ابن جرير : سألت أبي أى شيء هجيت به أشد عليك، قال : قول البعيث :

وكل كليبي صحيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعل

وقال كثير في نصيب ، وكان أسود ويكني أبا الحجناء :

رأيت أبا الحجناء في الناس حائرا ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على ما لاحه من سواده وإن كان مظلوما له وجه ظالم

ذكر محمد بن يزيد النحوي ، رجلا من الشعراء فقال : لقد هجاني ببيتين أنضج بهما كبدى ، فاستنشدوه فأنشدهم :

سألنا عن ثمالة كل حي فكل قد أجاب ومن ثماله

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا الآن زدتهم جهاله

٣ ﴿ ما يعاب من الشعر وليس بعيب ﴾

قال الأعشى : في فرس النعمان وكان يسمي اليحموم،

ويأمر لليحموم كل عشية بقت وتعليق فقد كاد يسنق

فقالوا : ما يمدح أحد من السوقة ، فضلا عن الملوك ، أن يقوم بفرسه ويأمر له بالعلف ، حتى كاد يسنق ، وليس هذا معناه، وانما المعنى فيما قال أبو عبيدة : أن ملوك العرب بلغ من حزمها ونظرها في العواقب ، أن أحدهم

لا يبيت والا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه ، مخافة عدو يفجؤه وحالة تصعب عليه ، فكان للنعمان فرس يقال له اليحموم ، يتعاهده كل عشية ، وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل ، وارتباطها بأفنية البيوت .

قال مروان بن الحكم ، لخالد بن يزيد ، وقد استنشده من شعره فأنشده :

فلو بقيت خلائف آل حرب ولم يلبسهم الدهر المنونا
لاصبح ماء أهل الارض عذبا وأصبح لحم دنياهم سمينا

فقال له مروان : منونا وسمينا والله ما اضطرك اليها الا العجز . وهذا مما لا عجز فيه ، ولا عابه أحد فى قوافي الشعر ، ولا أري العيب فيه الا على من رآه عيبا ، لان الياء والواو يتعاقبان في أشعار العرب كلها ، قديما وحديثا ، قال عبيد ابن الابرص :

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

ومثله من المحدثين أبو نواس :

أجارة بيتينا أبوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

وقد عابوا قوله :

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التى لم تخلق

فقالوا كيف تخافه النطف التي لم تخلق ؟ ومجاز هذا قريب ، إذا لحظ أن من خاف شيئا خافه بجوارحه ، وسمعه وبصره وروحه ، والنطف داخلة فى هذه الجملة ، فهو اذا أخاف أهل الشرك ، أخاف النطف التى فى أصلابهم ، قال الشاعر :

ألا ترنى لمكتئب يخافك لحمه ودمه

٤ اختلاف الشعراء فى المعني الواحد

قد تختلف الشعراء فى المعني الواحد ، وكل واحدمنهم محسن في مذهبه جار فى توجيهه ، وان كان بعضه أحسن من بعض ، ألا ترى أن الشماخ ابن ضرار يقول فى ناقته :

إذا بلغتني وحملت رحلى عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال ابن هانيء فى ضد هذا المعنى ، ماهو أحسن منه في محمد الامين

وإذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام

وقال أيضا :

أقول لناقتي إذ أبلغتني لقد أصبحت منى باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلا ولا قلت اشرقى بدم الوتين

فقدعابوا قول الشماخ ، واحتجوا بقول النبي ﷺ للانصارية المأسورة، التي نجت على ناقة النبي ، إني نذرت يارسول الله ، إن نجاني الله عليها أنحرها، قال بئس ماجزيتها ، ولا نذر لاحد فى ملك غيره .

وقال كثير عزة :

أريد لأنسي ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل مكان

فقالوا : ان كان يحبها فلماذا ينسى ذكرها، ألا قال كما قال مجنون بنى عامر:

فلا خفف الرحمن مابي من الهوي ولا قطع الرحمن عن حبها حبي

فما سرنى أني خلي من الهوى ولوأن لي مابين شرق الى غرب

٥ ﴿ ماأدرك على الشعراء ﴾

دخل العتابى على الرشيد فأنشده :

كان أذنيه اذا تشوفا قادمة أو قلما محرفا

فعلم الناس أنه لحن ، ولم يهتد أحد الي اصلاح البيت غير الرشيد ، فانه قال : تخال أذنيه . وحدث عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، فقال : انى بباب المأمون ، اذ خرج عبد الله بن السمط ، فقال لى : علمت أن أمير المؤمنين علي كماله لايعرف الشعر ؟ قلت له : وبما علمت ذلك ؟ قال : أسمعته الساعة بيتالو شاطرني عليه ملكه لكان قليلا ، قلت له : وما البيت فأنشد :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قلت له : والله لقد حلم عليك اذ لم يؤدبك عليه ، ويلك واذا لم يشتغل بالدنيا ، فمن يدبر أمرها ، الا قلت كما قال جدك في عبد العزيز بن مروان :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومما عيب علي ابن هانيء قوله فى بعض بنى العباس :

كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فقالوا : ان حق الرسول أن يضاف اليه ، لا أن يضاف الى غيره ، ولو اتسع متسع فأجازه ، لكان له مجاز حسن ، وذلك أن يقول القائل من بنى هاشم لغيره من ابناء قريش : منا رسول الله يريد أنه من القبيلة التي نحن منها كما قال حسان :

ومازال فى الاسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير

الى هنا انتهي المختارات من الجزء الثالث من العقد الفريد

٦ ﴿ نوادر من الشعر ﴾

قال المأمون لمحمد بن الجهم : أنشدني بيتا أوله ذم وآخره مدح أولك به كورة ، فأنشد :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم ... حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال :زدني فأنشد:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... فطيب تراب القبر دل على القبر

فولاه الدينور.

قال الرشيد للمفضل الضبي : أنشدني بيتا أوله إعرابي فى شملته ، هب من نومته ، وآخره مدني رقيق ،غذي بماء العقيق ، قال المفضل : هولت على يأأمير المؤمنين ، فما هو ؟ فقال بيت جميل :

ألا أيها النوام ويحكموا هبوا ... أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال المفضل له : فأخبرني عن بيت أوله أكثم بن صيفي فى اصالة الرأي،وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء،فقال هرون: ما هو قال : بيت ابن هانىء حيث يقول:

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ... وداوني بالتي كانت هى الداء

قال : صدقت

كان رجل يدعى الشعر ويستبرده قومه ، فقال لهم :انما تستبردوني من طريق الحسد ، قالوا: فبيننا وبينك بشار العقيلي،فارتفعوا اليه،فقال له: أنشدني فأنشده ، فلما فرغ قال له بشار : إنى لاظنك من أهل بيت النبوة ، قال له :

وما ذلك؟قال : ان الله يقول (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) فضحك القوم وخرجوا عنه .

وقالت العلماء : ما عصى الله بشعر ما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة وولد يوم مات عمر بن الخطاب ، فسمي باسمه ، ثم أنه تاب فى أخر أيامه وتنسك ونذر لله أن يعتق رقبه لكل بيت يقوله من الشعر :

ـ باب من الشعر يخرج معناه فى المدح والهجاء ، قال الشاعر فى خياط أعور يسمى عمرو .

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سوداء فاسأل الناس جميعا امديح ام هجاء

ومثله لحبيب:

انظر فحيث تري السيوف بياض لوامعا أبدا فوق رؤوسهم تتألق

قولهم فى رقة التشبيب ، للعباس بن الاحنف (١)

وليلة ما مثلها ليلة صاحبها بالسعد منجوع
ليلة جئناها على موعد سري وداعي الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفى السا مر عنها وهو مصروع
قامت تثني وهي مرعوبة تود ان الشمل مجموع
حتى اذا ما حاولت خطوة والصدر بالأرداف مدفوع
بكي وشاحاها على مقتها وانما أبكاهما الجوع
فانتبه الهادون من أهلها وصار للموعد مرجوع

(١) وللعباس بن الاحنف ديوان مطبوع بمكتبتنا ومشروح ومضبوط الحركات غاية فى رقة الشعر

ياذا الذى نم علينا لقد قلت ومنك القول مسموع
لا تشغلينى أبدا بعدها إلا ونمامك منزوع
مابال خلخالك ذا خرسة لسان خلخالك مقطوع
عاذلتي فى حبها أقصري هذا لعمرى عنك موضوع

وسمع الفرزدق رجلا ينشد لعمر بن أبي ربيعة شعرا فيه :

فقالت وأرخت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذي رقبة أهلى
فقلت لها مالى بهم من ترقب ولكن سري ليس يحمله مثلى

الي أن قال :

فلما توافقنا عرفت الذى بها كمثل الذى بي حذوك النعل بالنعل

قال : هذا والله الذي أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته .

ومن قول عمر في النحول وشحوب اللون :

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت فيضحى وأيما بالعشى فيحضر
أخا سفر جواب أرض تقاذفت به فلوات فهو اشعث اغبر
قليلا على ظهر المطية ظله سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومنها :

فكان مجنى دون ما كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

قولهم في التوديع :

ودعتها والدمع يقطر بيننا وكذاك كل مودع بفراق
شغلت بتفييض الدموع شمالها ويمينها مشغولة بعناق

وقول حاتم :

اذا ما أتي يوم يفرق بيننا   بموت فكن انت الذي تتأخر

ولمحمد بن أبي أمية الكاتب :

ياغريبا يبكى لكل غريب   لم يذق قلبها فراق حبيب
عزه البين فاستراح الى الدمع   وفى الدمع راحة للقلوب
خاتلته حوادث الدهر حتى   أقصدته منها بسهم مضيب
أى يوم أراك فيه كما كنت   قريبا فأشتكي من قريب

قولهم فى الحمام ـ قال جعفر العكلي وكان لصا :

وقدماها جني فازددت شوقا   بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمى   على عودين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمي   وفى الغرب اغتراب غير دان

ولعوف بن محلم :

ألا ياحمام الايك إلفك حاضر   وغصنك مياد ففيم تنوح

وقال مجنون بنى عامر :

ألا ياحمامات اللوي عدن عودة   فانى الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتنني   وكدت بأشجان لهن أبين
فلم ترعيني مثلهن بواكيا   بكين ولم تذرف لهن عيون

ـ قولهم فى طيب الحديث، قال عدى بن زيد :

فى سماع يأذن الشيخ له   وحديث مثل ماذي مشار

وللقطامي :

فهن ينبذن من قول يصبن به   مواقع الماء من ذي الغلة الصادى

ولجران العود :

فنلنا سقاطا من حديث كأنه ... جني النحل أو أبكار كرم تقطف

ولبشار :

وإنا ليجري بيننا حين نلتقي ... حديث له وشي كوشي المطارف

قولهم فى الرياض ـ للمعلى الطائي :

كان عيون الروض يذرفن بالندي ... عيون يراسلن الدموع على عذل

وللبحتري

شقائق يحملن الندي فكانه ... دموع التصابي فى خدود الخرائد

ومن لؤلؤ كالاقحوان منضد ... على نكت مصفرة كالفرائد

وقال أعشى بكر :

ماروضة فى رياض الحسن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس فيها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الاصل

وللحسن بن وهب :

طلع الربيع علي الرياض فبشرت ... نوء الربيع بجدة وشباب

وغدا السحاب مكللا جو الثرى ... أذيال أسحم حالك الجلباب

فترى السماء إذا أجدر بابها ... فكأنما التحفت جناح غراب

وترى الغصون إذا الرياح تناوحت ... ملتفة كتعانق الاحباب

ولحبيب الطائي :

الروض مابين مغبوق ومصطبح ... من ريق مكتنفات فى الثري دلح

وطف إذا وكفت فى روضة طفقت ... عيون نوارها تبكي من الفرح

وللبحترى في دمشق :

إذا أردت ملات العين من بلد ... مستحسن وزمان يشبه البلدا

يمسي السحاب علي أجبالها فرقا ... ويصبح النبت فى صحرائها بددا

فلست تبصر الا واكفا خضلا ... أويانعا خضرا أو طائرا غردا

كأنما القيظ ولى بعد جيأته ... أو الربيع دنا من بعد مابعدا

﴿ في الألحان واختلاف الناس فيها ﴾

قال أبو عمر واحمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الشعر ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، فى علم الألحان ، واختلاف الناس فيه ، ومن كرهه ومن استحسنه ، وكرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب ، والحكم ، والنوادر ، والامثال ، عطلا من هذه الصناعة ، التى هي مراد السمع ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوي ، ومسلاة الكئيب ، وأنس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت من القلب ، وأخذه بمجامع النفس

﴿فصل فى الصوت الحسن﴾

قال بعض أهل التفسير فى قول الله يزيد في الخلق مايشاء : هو الصوت الحسن .وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ، ويجري فى العروق ، فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتنمو له النفس ، وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ، ومن ذلك كرهوا للطفل أن ينوم على أثر البكاء ، حتي يرقص ويطرب ، وبعد فهل خلق الله شيئا أوقع بالقلوب ، واشد اختلاسا للعقول ، من الصوت الحسن ، وهل على الارض رعديد مستطار الفؤاد ، يغنى

يقول جرير بن الخطفي :

قل للجبان اذا تأخر سرجه   هل أنت من شرك المنية ناجى

الا ثاب اليه روحه ، وقوي قلبه ، أم هل على الارض بخيل قد تقطعت أطرافه لؤما ، ثم غني بقول حاتم الطائى :

يرى البخيل سبيل المال واحدة   إن الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ، ورشحت أطرافه ، أم هل على الارض غريب نازح الدار ، بعيد المحل ، يغني بقول على بن الجهم :

يا رحمتا للغريب فى البلد النـ   ـازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعو   بالعيش من بعده ولا انتفعا

يقول فى نأيه وغربته   عدل من الله كل ما صنعا

الا انقطعت كبده حنينا الى وطنه ، وتشوقا الي سكنه .

٢ ﴿ اختلاف الناس فى الغناء ﴾

احتجوا فى اباحة الغناء ، بحديث عبد الله بن أويس ، ابن عم مالك وكان من أفضل رجال الزهرى ، قال : مر النبي ﷺ بجارية فى ظل فارع ، وهى تغني

هل علي ويحكم   ان لهوت من حرج

فقال النبي : لا حرج ان شاء الله ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء ، فقال . وما بأس ذلك يا ابن أخي ، ومن حجة من كره الغناء ان قال : انه يسعر القلوب ويستفز العقول ويستخف الحليم ، ويبعث علي اللهوى ، ويحض على الطرب ، وهو باطل فى

اصله ، وتأولوا ذلك فى قول الله عز وجل : (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) واخطأوا فى التأويل انما نزلت هذه الاية فى قوم كانوا يشترون الكتب من اخبار السير ، والاحاديث القديمة ، ويضاهون بها القران ، ويقولون انها افضل منه ، وليس من سمع الغناء يتخذ ايات الله هزوا ، واعدل الوجوه فى هذا ، ان يكون سبيله سبيل الشعر فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح .

وقد حدث ابراهيم بن المنذر الخزاعى ! أن ابن جامع السهمي ، قدم مكة بمال كثير ، ففرقه فى ضعفاء أهله ، فقال سفيان بن عيينة : بلغنى ان هذا السهمى قدم بمال كثير ، قالوا . نعم قال : فعلام يعطي ! قالوا . يغنى الملوك فيعطونه قال : وبأي شيء يغنيهم قالوا : بالشعر قال . فكيف يقول فقال له فتى من تلامذته يقول :

أطوف بالبيت مع من يطوف وأرفع من مئزرى المسبل

قال بارك الله عليه ، ما أحسن ماقال ثم ماذا قال .

وأسجد بالليل حتي الصباح وأتلو من المحكم المنزل

قال: وأحسن أيضا أحسن الله اليه ، ثم ماذا قال :

عسى فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربة المحمل

قال : أمسك أمسك أفسد آخرا ماأصلح اولا . ألا تري سفيان رحمه الله حسن الحسن من قوله ، وقبح القبيح ،

كان عبد الله بن عمر ، يحب عبدالله بن جعفر ، فدخل عليه فوجد جارية معها عود فقال : ماهذا ؟ قال ابن جعفر : ماتظن به ياأبا عبد الرحمن قال

أصاب ظنك فلك الجارية قال : ماأراني الاقد أخذتها ، هذا ميزان رومى، فضحك ابن جعفر وقال: صدقت هذا ميزان يوزن به الكلام ، والجارية لك ثم قال : هاتي فغنت :

أياشوقا الي البلد الامين   وحى بين زمزم والحجون

ثم قال له : هل ترى بأسا قال : هل غير هذا قال : لا قال : فما أري بهذا بأسا .

كان معاوية ، يعيب من ابن جعفر سماع الغناء ، فأقبل معاوية عاما من ذلك حاجا ، فنزل المدينة ، فمر ليلة بدار عبد الله بن جعفر ، فسمع عنده غناء على أوتار ، فوقف ساعة يستمع ثم قال مضي وهو يقول : أستغفر الله فلما انصرف من آخر الليل ، مر بداره أيضا ، فاذا عبدالله قائم يصلي ، فوقف ليستمع قراءته فقال : الحمد لله ، ثم نهض وهو يقوو : خلطوا عملا صالحا ، وآخر سيئا ، عسي الله أن يتوب عليهم ، فلما بلغ ابن جعفر ذلك ، أعدله طعاما ، ودعاه الي منزله وأحضر ابن صياد المغني ، ثم تقدم اليه يقول : اذا رأيت معاوية واضعا يده فى الطعام ، فحرك أوتارك وغن ، فلما وضع معاوية يده فى الطعام ، حرك ابن صياد أو تاره وغنى بشعر عدى بن زيد ، وكان معاوية يعجب به

يالبيني أوقدي النارا   إن من تهوين قد جارا

رب نار بت أرمقها   تقضم الهندى والغارا

قال : فأعجب معاوية غناؤه حتى قبض يده عن الطعام وجعل يضرب برجله الارض طربا ، فقال ابن جعفر ياأمير المؤمنين ، انما هو مختار الشعر ، يركب عليه مختار الالحان ، فهل ترى به بأسا :قال ، لا بأس بحكمة الشعر مع

حكمة الالحان

قدم الفرزدق المدينة ، فنزل على الاحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم فقال الاحوص : ألا اسمعك غناء ، قال نعن فغناه :

انسي اذ تودعنا سليمى   بعود بشامة سقى البشام
بنفسى من تجنبه عزيز   على ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لاأراه   ويطرقني اذا هجع النيام

فقال الفرزق : لمن هذا الشعر قال : لجرير ثم غناه .

إن الذين غدوا بلبك غادروا   وشلا بعينك مايزال معينا
غيضن من عبراتهن وقان لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال : لمن ذا الشعر فقال : لجرير ثم غناه .

أسرى لخالدة الخيال ولا أري   شيئاً ألذ من الخيال الطارق
ان البلية من يمل حديثه   فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال : لمن هذا الشعر فقال : لجرير فقال : مااحوجه مع عفافه الى خشونة شعرى ، وما أحوجنى مع فسوقي الي رقة شعره .

٣ ﴿ أصل الغناء ومعدنه ﴾

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي : الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج ، فأما النصب فغناء الركبان والقينات ، وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات ، وأما الهزج فالخفيف كله ، وهو الذي يثير القلوب ، ويهيج الحليم ، وانما كان أصل الغناء ومعدنه فى أمهات القري من بلاد العرب ظاهرا فاشيا وهي المدينة ، والطائف ، وخيبر ، ووادى القري ، ودومة

الجندل ، واليمامة ، وكان أول من غني فى العرب قينتان لعاد ، يقال لهما الجرادتان ، ومن غنائهما :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غماما

وانما غنتا بهذا حين حبس عنهما المطر .

وكان أول من غني فى الاسلام طويس ، وعلم ابن سريج ، والدلال ، ونؤومة الضحى ، ومن غنائه وهو أول صوت غنى فى الاسلام :

قد براني الشوق حتي كدت من شوقى أذوب

٤ ﴿ أخبار المغنين ﴾

أولهم طويس — لما ولي أبان بن عثمان بن عفان المدينة لمعاوية ، قعد فى بهو له عظيم ، واصطف له الناس ، فجاء طويس المغني وقد خضب يديه ، واشتمل على دف له ، وعليه ملاءة مصقولة فسلم ، ثم قال : بأبي وأمى ياأبان ، الحمد لله الذى أرانيك أميرا على المدينة ، إني نذرت لله فيك نذرا ، ان رأيتك أن أخضب يدى ، وأشتمل على دفي ، وآتى مجلس امارانك ، وأغنيك صوتا ، قال : يا طويس ليس هذا موضع ذاك ، قال : بأبى أنت وأمى ، يابن الطيب أبحنى ، قال : هات يا طويس : فحسر عن ذراعيه ، وألقى ردائه ، ومشي بين السماطين وغني :

١٠ بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

فصفق ابان بيديه ، ثم قام عن مجلسه فاحتضنه وقبله بين عينيه ،

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين ، منهم ابراهيم الموصلى ، وابن جامع السهمي ، ومخارق ، وغيرهم ، قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي لما

أفضت الخلافة الي المأمون ، أقام عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء ، ثم كان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى ، ثم واظب على السماع ، وسأل عني فجرحني عنده بعض من حسدني ، فقال : ذلك رجل يتيه على الخلافة ، فأمسك المأمون عن ذكري ، وجفاني كل من كان يصلني ، لما ظهر من سوء رأيه في ، فأضر ذلك بي حتى جاءني يوما علوية فقال : اتأذن لي اليوم في ذكرك ، فاني اليوم عنده فقلت : لا ولكن غنه بهذا الشعر ، فانه سيبعثه على أن يسألك من أين هذا ، فيفتح لك ماتريد ، ويكون الجواب اسهل عليك من الابتداء ، فمضي علوية ، فلما استقر به المجلس ، غناه الشعر الذي أمرت به وهو :

يامشرع الماء قد سدت مسالكه أما اليك سبيل غير مسدود
لحائم حار حتي لا حياة به مشرد عن طريق الماء مطرد

فلما سمعه المأمون قال : ويلك لمن هذا قال : ياسيدي لعبد من عبيدك جفوته واطرحته قال : اسحق قلت : نعم قال : ليحضر الساعة ، قال اسحق فجاءني الرسول ، فصرت اليه ، فلما دخلت قال : ادن فدنوت فرفع يديه مادهما ، فانحنيت فاحتضنني بيديه ، وأظهر من إكرامي وبرى مالو أظهره صديق لي مواس لسرني .

كان ابراهيم بن المهدي ، داهية عاقلا عالما بأيام الناس ، شاعرا مفلقا ، وكان يصوغ فيجيد ، وكان ابراهيم قد خالف على المأمون ، ودعا الي نفسه ، فظفر به المأمون فعفا عنه ، وقال لما ظفر به المأمون :

ذهبت من الدنيا كما ذهبت مني هوي الدهر بي عنها وأهوي بها عني

فان أبك نفسي أبك نفسا عزيزة وان أحتسبها أحتسبها على ضنى

قال : فلما فتحت له أبواب الرضا من المأمون ، غنى بهما بين يديه ، فقال له المأمون : أحسنت والله ياأمير المؤمنين ، فقام ابراهيم رهبة من ذلك وقال: قتلتني والله ياأمير المؤمنين ، لا والله أن جلست حتي تسميني باسمى ، قال: اجلس ياابراهيم ، فكان بعد ذلك آثر الناس عند المأمون ، ينادمه ، ويسامره ويغنيه ، فحدثه يوما فقال : بينا أنا مع أبيك يوما بطريق مكة ، إذا تخلفت عن الرفقة ، وانفردت وحدي ، وعطشت ، وجعلت اطلب الرفقة ، فأتيت الي بئر فاذا حبشي نائم عندها ، فقلت له :ياناأم قم فاسقني ، فقال : ان كنت عطشان فانزل واستق لنفسك ، فخطر ببالي صوت فترنمت به وهو :

كفناني إن مت في درع أروى واسقياني من بئر عروة ماء

فلما سمع نشط مسرورا وقال: والله هذه بئر عروة ، فعجبت ياأمير المؤمنين لماخطر ببالى فى هذا الموضوع ثم ، قال أسقيك أن تغنيني فقلت نعم ، فلم أزل أغنيه وهو يجبذ الحبل حتي سقاني ، وأروي دابتى ، ثم قال أدلك على موضع العسكر على أن تغنيني . قلت: نعم . فلم يزل يعدو بين يدي .وأنا أغنيه حتي أشرفنا على العسكر ، فانصرفت وأتيت الرشيد فحدثته بذلك ، فضحك ثم رجعنا من حجنا ، فاذا هو قد تلقانى وأنا عديل الرشيد ، فلما رآنى قال : مغن والله قيل له : أتقول هذا لأخي أمير المؤمنين ، قال : أى لعمر الله لقد غناني واهدي الي أقطاو تمرا ، فأمرت له بصلة وكسوة . وأمر له الرشيد بكسوة ايضا. فضحك المأمون وقال : غنى الصوت . فغنيته. فافتتن به فكان لا يقترح على غيره . ومن غنائه فى المأمون .

الا إنما المأمون للناس عصمة ... مميزة بين الضلالة والرشد
رأي الله عبد الله خير عباده ... فملكه والله أعلم بالعبد

وكان خالدصامة من احسن الناس ضربا بالعود ، قال : قدمت على الوليد ابن يزيد فى مجلس ناهيك به من مجلس ، فألفيته على سريره ، وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح ، وابن عائشة وابو كميل غزيل الدمشق وكانوا يغنون حتي بلغت النوبة الى فغنيته :

سري همي وهم المرء يسري ... وغاب النجم الاقيد فتر
لهم ما أزال له قرينا ... كأن القلب اودع حر جمر
على بكر أخي فارقت بكرا ... وأي العيش يصلح بعد بكر

فقال : أعد يا صام ففعلت فقال لي : من يقول هذا الشعر قلت : عروة ابن أذينة ، ربي أخاه بكرا ، قال الوليد : لقد حجر واسعا ، هذا والله العيش الذي نحن فيه يصلح على رغم أنفه .

﴿ فى النساء وصفاتهن ﴾

قال صاحب العقد الفريد : قد مضى قولنا فى الغناء واختلاف الناس فيه ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، فى النساء وصفاتهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن ، اذ كان كله مقصورا على الحليلة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، والبلاء كله ، موكل بالقرينة السوء ! التي لا تسكن النفس الي كريم عشرتها ، ولا تقر العين برؤيتها .

فى حكمة سليمان بن داود المرأة العاقلة تبني بيتها ، والسفيهة تهدم ، وقال الجمال كاذب ، والحسن مخلف ، وانما تستحق المدح المرأة الموافقة .

خطب عمرو بن حجر، الى عوف بن محلم الشيباني ابنته، فقال: نعم أزوجكها، على أن أسمي بنيها، وأزوج بناتها، فقال عمرو: أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فنزوجهن أكفاءنا من الملوك، ولكني أصدقها عقارا في كندة، وامنحها حاجات قومها، لا ترد لأحدمنهم حاجة، فقبل ذلك منه أبوها، فلما كان بناؤها به، خلت بها أمها فقالت:

« أي بنية انك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت، الي رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة، يكن لك عبدا، واحفظي له خصالا عشرا، يكن لك ذخرا، أما الاولي والثانية، فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، واما الثالثة والرابعة، فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك الا أطيب ريح، وأما الخامسة والسادسة، فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فان تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة، فالاحتراس بماله، والارعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقديم، وفى العيال حسن التدبير، واما التاسعة والعاشرة، فلا تعصين له أمرا، ولا تفشين له سرا، فانك إن عصيت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تامني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما، والكآبة بين يديه إذا كان فرحا » فولدت له الحارث بن عمرو، جد أمرىء القيس، الشاعر.

ذكروا أن هند بنت عتبة، قالت لأبيها: لا تزوجنى من أحد حتي تعرض على أمره، وتبين لي خصاله، فخطبها أبو سفيان، وسهيل بن عمرو، فدخل عليها أبوها يقول:

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يواسي بفضله وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع
فدونك فاختاري فأنت بصيرة ولا تخدعي إن المخادع يخدع

قالت : يا أبت والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولكن فسر لي أمرهما ، وبين لي خصالهما ، حتى أختار أشدهما موافقة لي ، فبدأ بذكر سهيل ، فقال : في ثروة وسعة من العيش ، أن تابعته تابعك ، وان ملت عنه حط إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله ، وأما الآخر فموسّع عليه ، منظور اليه في الحسب الحسيب ، والرأي الأريب ، مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الطيرة ، فقالت : يا أبت الاول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن تلين بعد ابائها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح دلالها ، فان جاءت بولد أحمقت ، وان انجبت فمن خطأ ما انجبت ، فاطو ذكر هذا عني ، ولا تسمه على بعد ، وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة ، الحرة العفيفة ، واني للتي لا أريب له عشيرة فتغيره ، ولا تصيره بذعر فتضيره ، وأني لأخلاق مثل هذا لموافقة ، فزوجنيه فزوجها من ابي سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد

قال علي بن ابي طالب للنبي ﷺ . لو تزوجت أم هانيء بنت ابي طالب فقد جعل الله لها قرابة فتكون صهرا أيضا ، فخطبها فقالت : والله لهو أحب الي من سمعي وبصري ، ولكن حقه عظيم ، وأنا مؤتمة ، فان قمت بحقه خفت أن اضيع أيتامي ، وان قمت بأمرهم قصرت عن حقه ، فقال النبي ﷺ : خير

نساء ركبن الابل ، نساء قريش ، أحناها على ولد فى صغره ، وأرعاها على بعل في ذات يده ، ولو علمت ان مريم ابنة عمر ان ركبت جملا لاستثنيتها . قال رجل للحسن : ان لي بنية ، فمن تري أن ازوجها ؟ فقال : زوجها ممن يتقى الله ، فان أحبها أكرمها ، وإن ابغضها لم يظلمها . وقيل للحسن : فلان خطب الينا فلانة فقال : أهو موسر من عقل ودين قال : نعم قال: فزوجوه. عن الاصمعي قال : أخبرنى رجل من بنى العنبر ، عن رجل من اصحابه كان مقلا ، فخطب إليه مكثر من مال ، مقل من عقل ، فشاور فيه رجلا يقال له أبو زيد ، فقال : لاتفعل ، ولا تزوج الا عاقلا دينا ، فانه ان لم يكرمها لم يظلمها ، ثم شاور رجلا آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوجها ، فان ماله لها ، وحمقه على نفسه ، فزوجه فرأى منه ما يكره فى نفسه وابنته ، فقال :

ألهفي إذ عصيت أبا يزيد ... ولهفي إذ أطعت أبا العلاء
وكانت هفوة من غير ريح ... وكانت زلقة من غير ماء

١ ﴿ صفة المرأة السوء ﴾ — قال النبي ﷺ : اياكم وخضراء الدمن ، يريد الجارية الحسناء ، في المنبت السوء . وفى حكمة داود المرأة السوء مثل شرك الصياد ، لا ينجو منها الا من رضى الله عنه .

قال بعض الشعراء :

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي ... ولكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت الى القبر عاجلا ... وعذبها فيه نكير ومنكر

٢ ﴿ من أخبار النساء ﴾ — لما قتل مصعب بن الزبير ، زوجة المختار ابن ابي عبيد ، انكر الناس ذلك عليه ، واعظموه ، لانه اتي بما نهي

رسول الله ﷺ ، عنه في نساء المشركين ، فقال عمر بن ابي ربيعة :

ان من اعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلا على غير ذنب إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

ولما خرجت الخوارج بالاهواز ، اخذوا امرأة فهموا بقتلها، فقالت لهم أتقتلون من ينشأ في الحليه وهو في الخصام غير مبين ، فأمسكوا عنها.

﴿في الطلاق﴾

قال الحسن بن على ، لامرأته عائشة بنت طلحة ، امرك بيدك . فقالت قد كان بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه ، فلا أضيعه اذ صار بيدي ساعة واحدة . وقد صرفته اليك فأعجبه ذلك منها . وامسكها .

كان تحت العريان بن الاسود بنت عم له ، فطلقها فتبعتها نفسه: فكتب اليها يعرض لها بالرجوع . فكتبت اليه .

أن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها .

من كان ذا حاجة فالله يكلؤه وقد لهونا به والحبل موصول

وطلق الوليد بن يزيد ، امرأته سعدي ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه، وندم على ما كان منه ، فدخل عليه أشعب ، فقال له . أبلغ سعدى عني رسالة ولك خمسة آلاف درهم ، فقال . عجلها ، فأمر له بها ، فلما قبضها قال . هات رسالتك فأنشد

أسعدي ما إليك لنا سبيل ولا حتي القيامة من تلاق

بلي ولعل دهر أن يؤاتي   بموت من خليلك أو فراق

فأتاها فاستأذن فدخل عليها ، فقالت . ما بدالك فى زيارتنا يا أشعب ؟ فقال . ياسيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة، وأنشد الشعر،فقالت لجواريها. خذن هذا الخبيث فقال . ياسيدتي انه جعل لى خمسة آلاف درهم ، قالت .. والله لا أعاقبنك أو لتبلغن اليه ما أقول لك قال . ياسيدتي اجعلى لى شيئا : فقالت . لك بساطى هذا ! قال : قومى عنه ، وألقاه على ظهره ، وقال . هاتي برسالتك فقالت :أنشده

أتبكى على سعدى وأنت تركتها   فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغه وأنشده الشعر ، سقط فى يده ، وأخذته كظمة ، ثم سرى عنه فقال : اختر واحدة من ثلاث ، اما ان نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيك الى هذه السباع ، فتحير أشعب،وأطرق حينا،ثم رفع رأسه وقال : ياسيدى ما كنت لتعذب عينين نظرتا الى سعدي ! فتبسم وخلي سبيله .

وطلق عبدالرحمن بن ابي بكر،امرأته بأمر أبيه،ثم دخل عليه فسمعه يتمثل

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها   ولا مثلها فى غير شيء تطلق

فأمره بمراجعتها .

قال أبو مخزوم : قال لى الفرزدق يوما . امض بنا الى حلقة الحسن فاني اريد ان اطلق النوار ، فقلت له:انى اخاف ان تتبعها نفسك،ويشهد عليك الحسن وأصحابه ، قال . انهض بنا ، فجئنا حتى وقفنا على الحسن !فقال: كيف أصبحت أبا سعيد ، قال : بخير: كيف أصبحت أبافراس فقال: تعلمن انى طلقت

النوار ثلاثا ، فقال الحسن وأصحابه : قد سمعنا،فانطلقنا،فقال لي الفرزدق.ياهذا إني في نفسي من النوار شيئا فقلت : قد حذرتك فقال:

ندمت ندامة الكسعى لما غدت مني مطلقـة نوار
وكانت جنتي فخرجت منهـا كآدم حين أخرجـه الضرار
ولو أني ملكت بها يميني لكان على للقدر الخيار

وممن طلق امرأته وتبعتها نفسه،قيس بن ذريح، وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقهـا وندم ، وقال في ذلك :

فوا كبدى على تسريح لبني فكان فراق لبني كالخـداع
تكنفني الوشاة فأزعجوني فيا للناس للواشي المطـاع
فأصبحت الغداة الوم نفسي على أمر وليـس بمستطـاع
كمغبون يعض على يديه تبين غبنـه بعد البيـاع

﴿ المتنبئون ﴾

قال أبو الطيب الربذى : أخذ رجل ادعي النبوة ايام المهدى،فأدخل عليه فقال له :أنت نبي ؟ قال نعم ، قال : والي من بعثت ؟ قال : أو تركتموني اذهب الي أحد ، ساعة بعثت وضعتموني في الحبس، فضحك منه المهدي وخلى سبيله .

وادعى رجل النبوة بالبصرة ، فأتي به سليمان بن على مقيدا فقال له.أنت نبي مرسل ؟ قال : أما الساعة فاني مقيد ، قال : ويحك من بعثك ؟ فقال:أبهذا يخاطب الانبياء ، ياضعيف ، والله لولا اني مقيد ، لامرت جبريل يدمدمها عليكم قال : فالمقيد لاتجاب له دعوة ، فقال : نعم الانبياء خاصة،فضحك سليمان

وقل له : أنا اطلقك وأمر جبريل ، فان أطاعك آمنا بك وصدقناك ، فقال : صدق الله ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ، فضحك سليمان وسأل عنه فشهد عنده أنه ممرور فخلى سبيله

ادعى رجل النبوة فى أيام المهدي ، فأدخل عليه فقال له : انت نبي فقال : نعم قال : ومتى نبئت ؟ فقال : وما تصنع بالتاريخ ، قال : ففي أى المواضع جاءتك النبوة ، فقال : وقعنا والله في شغل ، ليس هذا من مسائل الانبياء ، فان كان رأيك أن تصدقني فى كل ما قلت لك فاعمل بقولي ، وان كنت عزمت على تكذيبي فدعني أذهب عنك ، قال المهدى : هذا مالا تجوز ، إذ كان فيه فساد الدين ، فقال : واعجبا لك ، تغضب لدينك ، ولا أغضب أنا لفساد نبوتي ، أنت والله ما قويت الا بمعن بن زائدة والحسن بن قحطبة ، وما أشبههما من قوادك ، وكان على يمين المهدى شريك القاضى ، فقال المهدي ما تقول يا شريك فى هذا النبي ، قال شاورت هذا فى امرى ، وتركت أن تشاورنى قال : هات ما عندك فقال : أحاكمك فيما جاء به الرسل قبلي قال : رضيت فقال : أكافر عندك أنا أم مؤمن ؟ قال : كافر فقال : فان الله يقول ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم ، فلا تطعنى ولا تؤذنى ، ودعني اذهب الي الضعفاء والمساكين ، فانهم أتباع الانبياء ، وأدع الملوك الجبابرة فانهم حطب جهنم ، فضحك المهدي وخلي سبيله

ادعى رجل النبوة فى زمن خالد بن عبد الله القسرى ، وعارض القرآن فأتى به خالد فقال له : ماتقول فقال : عارضت فى القرآن مايقول الله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر) فقلت

أنا ما هو أحسن من هذا : انا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تطع كل ساحر ، فأمر به خالد فضربت عنقه ، وصلب على خشبة ، فمر به خلف ابن خليفة الشاعر وقال : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، وأنا ضامن ان لا تعود .

﴿ الممرورون ﴾

كان بالبصرة ممرور يقال له عليان بن أبي مالك ، وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه وكلامه ، وكان راوية للشعر ، بصيرا بجيده ، فذكر عن عبد الله ابن ادريس صاحب الحديث ، قال : أخرجه الصبيان مرة حتى هجم علينا في الدار ، فقال لي الخادم : هذا عليان قد هجم علينا والصبيان في طلبه ، فقلت : ادفع الباب في وجوه الصبيان ، وأخرج اليه طعاما ، فلما وضعه بين يديه ، حمد الله وأثنى عليه ، وقال : هذا من رحمة الله ، وأشار الى الطعام ، كما أن أولئك من عذاب الله ، وأشار الى الصبيان ، ثم جعل يأكل والصبيان يرجمون الباب وهو يقول : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، قال إدريس : فلما انقضى من طعامه قلت له : يا عليان مالك تروى الشعر ولا تقوله ؟ فقال : إني كالمسن أشحذ ولا أقطع ، وكان بصيرا بالشعر فقلت له : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟ فقال : البيت الذى لا يحجب عن القلب قلت : مثل ماذا قال : مثل قول جميل :

ألا أيها النوام ويحكمو هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فأنشد النصف الأول بصوت ضعيف ، وأنشد النصف الآخر بصوت

رفيع ، ثم قال : ألا ترى النصف الاول استأذن على القلب فلم يأذن له ، والنصف الثاني استأذن على القلب فأذن له ، قلت : ومثل ماذا فقال : مثل قول الشاعر :

ندمت علي ما كان مني فقدتني كما ندم المغبون حين يبيع

ثم قال : اتستطيب بالله قوله فقدتني يا إدريس ؟ قلت : بلي ، فضرب بيديه على فخذى وقال : ثم يثبت الله قرنك ، وابن ادريس يومئذ ابن ثمانين سنة .

وكان بالبصرة مجنون يأوى الي دكان خياط ، وبيده قصبة ، قد جعل في رأسها اكرة ، ولف عليها خرقة لئلا يؤذى بها الناس ، فكان إذا أحرده الصبيان التفت الى الخياط وقال له : قد حمي الوطيس ،وطلب اللقاء ، فما ترى ؟ فيقول الخياط : شأنك بهم ، فيشد عليهم ويقول :

أشد على الكتيبة لا أبالى أحتفى كان فيها أم سواها

فاذا أدرك منهم صبيا رمي بنفسه إلى الارض ، وأبدي له عورته ، فينزل وينصرف ، ويقول عورة المؤمن حمى ، ثم يقول وينادي:

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد

ثم يرجع الي دكان الخياط ، ويلقى العصا من يده ، ويقول :

فألقت عصاها واستقر بها النوي كما قر عينا بالاياب المسافر

﴿ النوكي ﴾

دخل رجل من النوكي على الشعبي ، وهو جالس مع امرأته ، فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال : هذه فقال : ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمني أول يوم من رمضان هل يؤجر ؟ فقال الشعبي إن كان قال لك يا أحمق فأني أرجو له

قال دحية القاضي وكان من مجانين القصاص : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا فقالوا : ان الذئب لم يأ كل يوسف ، فقال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأ كل يوسف

قال بعض الرواة رأيت قاصا يحدث الناس بقتل حمزة ، فقال ولما بقرت هند عن كبد حمزة ، استخرجتها ولا كتها ولم تزدردها ، فقال النبي ﷺ : لو ازدردتها ما مستها النار ، ثم رفع يديه الي السماء وقال : اللهم اطعمنا من كبد حمزة

وقف معاوية بن مروان على باب طحان ، فرأى حمارا يدور بالرحي في عنقه جلجل ، فقال للطحان : لم جعلت الجلجل في عنق الحمار ؟ فقال : ربما أدركتني سآمة أو نعاس ، فاذا لم أسمع صوت الجلجل ، علمت أنه واقف فصحت به فانبعث قال : أفرأيت إن وقف وحرك رأسه بالجلجل هكذا وهكذا وحرك رأسه فقال له : ومن لي بحمار يكون عقله مثل عقل الأمير ، وهو القائل وضاع له باز : اغلقوا أبواب المدينة لا يخرج البازي

﴿ البخــلاء ﴾

من البخلاء هشـام بن عبد الملك ، قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام فأطرفته وحدثته ، فقال : سل حاجتك ، فقلت : تزيد في عطائي عشرة دنانير ، فأطرق حينا وقال : فيم ، وبم ، ولم ، العبادة أحدثتها ، أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين ، الالا يا ابن صفوان ، ولو كان لكثر السؤال ، ولم يحتمله بيت المال ، فقلت : وفقك الله يا أمير المؤمنين وسددك ، فأنت والله كما قال أخو خزاعة :

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة قربي أو صديق توافقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يستلبك المال الا حقائقه

ومنهم عبد الله بن الزبير، أتاه إعرابي يسأله حملا، ويذكر ان ناقته تعبت فقال له : انعلها من النعال السبتية : فقال الاعرابي : انما أتيتك مستوصلا، ولم آتك مستوصفا ، فلعن الله ناقة حملتني اليك فقال : ان وصاحبها

ومن رؤساء اهل البخل محمد بن الجهم ، وهو الذى قال : وددت لو ان عشرة من الفقهاء ، وعشرة من الشعراء ، وعشرة من الخطباء ، وعشرة من الأدباء تواطئوا علي ذمي ، واستهلوا بشتمي ، حتى ينشر ذلك عنهم في الآفاق لا يمتد الي أمل ، ولا ينبسط نحوي رجاء راج .

ومن البخلاء زبيدة بن حميد الصيرفى ، استلف من بقال علي بابه درهمين وقيراطا ، فمطله بها ستة اشهر ، ثم قضاه درهمين وثلاث حبات، فاغتاظ البقال وقال : سبحان الله انت صاحب مائة الف دينار ، وانا بقال لا أملك مائة فلس ، وانا أعيش بكدى ، واستقضي الحبة على بابك والحبتين ، صاح على بابك حمال ، ولم يحضر تلك الساعة وكيلك، فأمنتك وأسلفتك درهمين وأربع شعيرات ، فتقضيني بعد ستة اشهر درهمين وثلاث شعيرات ، فقال زبيدة : يامجنون ، أسلفتنى فى الصيف ، وقضيتك فى الشتاء، وثلاث شعيرات شتوية، أوزن من اربع صيفية لان هذه ندية ، وتلك يابسة ، وما اشك ان معك بعد هذا كله فضلا .

ومنهم مروان بن ابى حفصة ، نزل به ضيف. فأخلى له المنزل، ثم هرب عنه مخافة ان يلزمه قراه تلك الليلة : فخرج الضيف فاشترى مايحتاجه ثم رجع

وكتب اليه :

يأيها الخارج من بيته　　وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جاء بزادله　　فارجع تكن ضيفا على الضيف

﴿ ما قال الشعراء فى البخلاء ﴾

(قال جرير)

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم　　واستوثقوا من رتاج الباب والدار

(وقال آخر)

تراهم خشية الاضياف خرسا　　يصلون الصلاة بلا أذان

(وقال آخر)

خليلي من كعب اعينا اخا كما　　علي دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه　　مخافة ان يرجي نداه حزين
كان عبيدالله لم يلق ماجدا　　ولم يدر ان المكرمات تكون
فقل لابي يحيي متي تدرك العلا　　وفى كل معروف عليك يمين
اذا جئته فى حاجة سد بابه　　فلم تلقه الا وأنت كمين

ووقع درهم من سليمان بن مزاحم ، فجعل يقلبه ويقول : فى شق لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفى شق آخر . قل هو الله أحد ، ماينبغي لهذا أن يكون الارقية ، ورمى به فى الصندوق .

وكان أبوعيسي بخيلا ، وكان اذا وقع الدرهم فى يده طنه بظفره ، وقال : يادرهم كم من مدينة دخلتها ، وأيد دوختها ، فالان استقر بك القرار ، واطمانت بك الدار ثم رمى به في الصندوق .

﴿ الطفيليون ﴾

من الطفيليين أشعب الطماع قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : لم أنظر الي اثنين يتساران الا ظننتهما يأمران بشيء لي ، ووقف على رجل يعمل طبقا فقال : اسألك بالله الا مازدت في سعته طوقا أو طوقين ، فقال له : وما معناك فى ذلك ؟ قال : لعل أن يهدى الي فيه شيء .

دخل طفيلى على قوم يأكلون فقال : ما تأكلون ؟ فقالوا من بغضه سما ، فأدخل يده وقال الحياة حرام من بعدكم . وقيل لطفيلى : كم اثنين فى اثنين ؛ فقال : أربعه أرغفة . ومر طفيلى على قوم يأكلون ، وقد أغلقوا الباب دونه ، فتسور عليهم من الجدار وقال : منعتموني من الارض فجئتكم من السماء

وبينا قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتانا ، إذا استأذن عليهم أشعب ، فقال أحدهم : ان من شأن أشعب البسط الي أجل الطعام ، فاجعلوا كبار هذه الحيتان فى قصعة بناحية ، ويأكل معنا الصغار ففعلوا وأذن له فقالوا : كيف رأيك فى الحيتان ؟ فقال : والله ان لى عليها الحرد ا شديدا ، وحنقا ، لان أبي مات في البحر ، وأكلته الحيتان ، فقالوا له : فدونك خذ بثار أبيك ، فجلس ومد يده الى حوت صغير فيها ، ثم وضعه عند أذنه وقد نظر الي القصعة التى فيها الحيتان فى زاوية المجلس ، فقال : أتدرون مايقول لي هذا الحوت ؟ قالوا : لا قال : انه يقول انه لم يحضر موت أبي ولم يدركه ، لان سنه تصغر عن ذلك ، وقال لي : عليك بتلك الكبار التى فى زاوية البيت ، فهى أدركت أباك وأكلته .

ومر طفيلى على قوم يتغدون ، فقال : السلام عليكم معشر اللئام ، فقالوا :

لا والله بل كرام ، فثني رجله وجلس ، وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين واجعلني من الكاذبين ،

اصطحب شيخ وحدث من الاعراب ، فكان لهما قرص فى كل يوم ، وكان الشيخ منخلع الاضراس ، بطيء الاكل ، فكان الحدث يبطش بالقرص ثم يقعد يشتكي العشق ، ويتضور الشيخ جوعا ، وكان اسم الحدث جعفرا ، فقال الشيخ :

لقد رابني من جعفر ان جعفرا　　يطيش بقرصي ثم يبكي على جمل
فقلت له لو مسك الحب لم تبت　　سمينا وأنساك الهوى شده الاكل

فقال الحدث :

اذا كان فى بطني طعام ذكرتها　　وان جعت يوما لم تكن لي على ذكر
ويزداد حبي ان شبعت تجددا　　وان جعت غابت عن فؤادي وعن فكري

﴿ كتاب فى بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان والبلدان ﴾

قال ابن عبد ربه : قد مضى قولنا فى المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى طبائع الانسان وسائر الحيوان والبلدان ، والنعمة والسرور ، اذ لم يكن بدار الدنيا الا عليها ، ولا قوام الابدان الا بها ، وإذ هي نمو الفراسة وتركيب الغريزة ، واختلاف الهمم ، وطيب النسيم ، وتفاضل الطعوم ، وقد تكلم الناس فى ذلك على تباين أحوالهم ، واختلاف هممهم ، وتفاوت عقولهم

ـ النفس الملكية ـ قيل لضرار بن عمرو : ماالسرور ؟ قال اقامة الحجة وإدحاض الشبهة ، وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال إحياء السنة وإماتة البدعة

وقال اعرابي : الا من والعافية .

ـ النفس العصبية ـ قيل للحسن بن سهل أما السرور؟ قال توقيع جائز وأمر نافذ . وقال زياد : من طال عمره . ورأى فى عدوه مايسره ، وقال أبو مسلم : ركوب المعالجة ، وقتل الجبابرة ،

ـ النفس البهيمية ـ قال امرىء القيس : بيضاء رعبوبة ، بالطيب مشبوبة باللحم مكبوبة ، وقال طرفة : مطعم هنيء ، وشرب روي ، وملبس دفيء ومركب وطيء ، وقال إعرابي : لبس البالى فى الصيف والجديد فى الشتاء .

ـ البنيان ـ قال النبي ﷺ (من بنى بنيانا فليتقنه) وقالت الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ، ولذة الثوب يوم ، ولذة المرأة شهر ، ولذة البنيان دهر . وقالوا : دار الرجل جنته ، ـ قولهم فى الدار الضيقة ـ ما هى الاقرار حافر ، وما هى الا وجار ضبع ، وما هي الافترة قانص ، ـ لباس الصوف ـ

قدم حماد بن سلمة البصرة ، فجاء فرقد السنجي وعليه ثياب صوف فقال له حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه ، فلقد خرج علينا ابراهيم وعليه معصفرة ، ونحن نرى أن الميتة حلت له

ـ التزين والتطيب ـ قال النبي ﷺ : مانلت من دنياكم الا النساء والطيب ، وقال : اياكم والشعث ، حتى لو يجد أحدكم الا زيتونة فليعصرها ويدهن بها .

ـ تفاضل البلدان ـ قال الاصمعى : الدنيا كلها أربعة وعشرون الف فرسخ ، فبلد السودان منها اثنى عشر الف فرسخ ، وبلد الروم ثمانية آلاف فرسخ ، وبلد الفرس ثلاثة آلاف ، وبلد العرب الف ، وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء ، والبصرة عجوز بخراء ، أوتيت من كل حلي وزينة ، وقال

جعفر بن سليمان . العراق عين الدنيا ، والبصرة عين العراق ، والمربد عين البصرة ، وداري عين المربد ، وقال الاصمعي . دخلت الطائف فكأني كنت أبشر ، وكان قلبي ينضج بالسرور ، وما أجد لذلك علة الا انفساح جوها ، وطيب نسيمها ـ مصر ـ من ناحية الشام الفسطاط ، وهى مدينة بها منبران ومسجدان يجمع فيها العسكر حيث السلطان ، وعين الشمس بها منبر وكانت مدينة فرعون، وفيها بنيانه قائم ، والفرما لها منبر ، والعريش الذي يقال له عريش مصر له منبر، وهى آخر مصر وأول الشام، ومن أسفل الارض بوصير لها منبر ، وتنيس لها منبر واليها تنسب الثياب التنيسية . وبها طراز للخليفة ، وشطا لها منبر : واليها ينسب الشطوي ، وديبق لها منبر ،واليها ينسب الديبقي من الثياب، والاسكندرية لها منبر، ومن ناحية الحجاز القلزم لها منبر، وايالة لها منبر ومن ناحية الصعيد القيس واليها ينسب القيسي من الثياب ، والصفن واليها تنسب الاكسية الصفنية الحمر ، ودلاص لها منبر وهى مجمع سحرة مصر ، والفيوم مدينة لها منبر ، تؤدى كل يوم الف دينار ، وخلف ذلك فرق وبها تكون معادن الذهب والجوهر والزبرجد.

ـ نتف من الطب ـ قال عمر بن الخطاب : لا تزالون أصحاء ما نزعتم، ونزوتم ، يريد ما نزعتم عن القسي ، ونزوتم على ظهور الخيل يريد الحركة ، وقالت الحكماء : إياك وشرب الدواء ما حملتك الصحة

إن من باكر الغداء وبعد الـ ... عصر منه تعاهد للعشاء
فبأذن الاله يبقى صحيحا ... سالما فى الحياة من كل داء

ـ الهدايا ـ اهدي احمد بن يوسف ملحا مطيبا ، الى ابراهيم بن المهدي

وكتب إليه : الثقة بك سهلت السبيل إليك ، فأهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم . وأهدى حبيب بن اوس الطائى ، الى الحسن بن وهب . قلما ، وكتب اليه :

قد بعثنا إليك اكرمك الا ه بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه الي ندى كفك الغ ر ولا نيلك الكثير الجزيل
فاستجز قلة الهدية مني فقليل المقل غير قليل

﴿ كتاب فى الطعام والشراب ﴾

قال ابن عبد ربه : نحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الطعام والشراب اللذين بهما تنمو الفراسة ؟ وهما قوام الابدان ، وعليهما بقاء الارواح .

ـ١ـ أطعمة العرب ، الوشيقة من اللحم وهو ان يغلى إغلاءة ثم يرفع ، والصفيف مثله ويقال هو القديد ، والربيكة شيء يطبخ من بر وتمر ، والبسيسة كل شيء خلطته بغيره ، مثل السويق بالاقط ثم تلته بالسمن او بالزيت اومثل الشعير بالنوي للابل . والعثيمة . طعام يطبخ ويجعل فيه جراد . والبكيلة والبكالة هى الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء او سمن او زيت . والعريقة . شيء يعمل من اللبن . فاذا قطعت اللحم صغارا قلت كتفته تكتيفا . والرغيدة ، اللبن الحليب يغلي ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلعق لعقا ، والحريرة والحساء من الدسم والدقيق ، والسخينة ، حساء كانت تعمله قريش فى الجاهلية فسميت به .

ـ أسماء الطعام ـ الوليمة ، طعام العرس ، والنقيعة ، طعام الاملاك ، والاعذار طعام الختان ، والخرس ، طعام الولادة ، والعقيقة ، طعام سابع

الولاده ، والنقيعة ، طعام يصنع عند قدوم المسافر ، والوكيرة ، طعام البناء يبنيه الرجل فى داره ، والمأدبة ، كل طعام يصنع لدعوة ، والسلفة ، طعام يتعلل به قبل الغذاء ، والقفى ، الطعام الذى يكرم به الرجل ، حضر إعرابى طعام عبد الاعلى ، فلما وقف الخباز بين يديه ووصف ما عنده قال أصلحك الله : أتأمر غلامك يسقيني ماء . فقد شبعت من وصف هذا الخباز ، قال له عبد لاعلى : ما تقول لو أمرت الطباخ فعمل لون كذا ولون كذا قال أصلحك لله : لو كانت هذه صفة فى القرآن ، لكانت موضع سجود .

ـ٢ـ آداب الاكل ـ قال النبي ﷺ : الاكل فى السوق دناءة ، وقال: إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ويشرب بيمينه ، فان الشيطان يأكل ويشرب بشماله ، وقالوا : البطنة تذهب الفطنة ، وقال مسلمة بن عبد الملك . لملك الروم. ما تعدون الاحمق فيكم ؟ قال . الذي يملأ بطنه من كل ما وجد .

ـ٣ـ آفات الخمر وخبائثها ، أول ذلك أنها تذهب العقل ، وأفضل ما فى الانسان عقله ، وتحسن القبيح ، وتقبح الحسن ، قال أبو نواس .

اسقني حتى ترابي حسن عندى القبيح

وقال الناطق بالحق :

تركت النبيذ وأصحابه وصرت خدينا لمن عابه
شراب يضل سبيل الرشاد ويفتح للشر أبوابه

(كتاب فى الفكاهات والملح)

قال ابن عبد ربه : نحن قائلون بما الفناه فى كتابنا هذا من الفكاهات والملح التى هى نزهة النفس ، وربيع القلب ؟ ومرتع السمع ، ومجلب الراحة

ومعدن السرور . قال النبي ﷺ : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فان القلوب اذا كلت عميت ، وكان يضحك حتى تبدو نواجذه . وكان ابن سيرين يضحك حتي يسيل لعابه . وقال النبي ﷺ : يدخل عثمان الجنة ضاحكا ، لانه كان يضحكني ، فذلك ان النبي دخل عليه وهو أرمد ، فوجده يأكل تمرا ، فقال له : أتأكل تمرا وأنت أرمد ؟ فقال : انما آكل من الجانب الآخر ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه .

—١— باب من المفاكهات — كتبت امرأة عمر بن عبد العزيز اليه لما اشتغل عنها بالعبادة :

ألا أيها الملك الذي قد   سبى عقلى وهام به فؤادى

أراك وسمت كل الناس عدلا   وجرت على من بين العباد

وأعطيت الرعية كل فضيل   وما أعطيتني غير السهاد

فصرف وجهه اليها . قال أبو زيد : كان عطاء مع ابن الزبير وكان أملح الناس جوابا ، فلما قتل ابن الزبير ، أمنه عبد الملك بن مروان ، فقدم عليه فسأل الاذن ، فقال عبد الملك . لا أريده يضحكني فلينصرف ، فقال له أصحابه فنحن نتقدم اليه ان لا يفعل ، فأذن له فدخل وسلم عليه وبايعه ثم انصرف ، فناداه عبد الملك ، ياعطاء ، أما وجدت أمك إسما الا عطاء ؟ قال :

قد والله استنكرت من ذلك ما استنكرته يا أمير المؤمنين ، لو كانت سمتني بأمى المباركة صلوات الله عليها مريم . فضحك عبد الملك وقال . اخرج نوادر أشعب — ساوم اشعب رجلا بقوس . فقال : اقل ثمنها دينار . قال : اشعب والله لو أنك اذا رميت بها طائرا فى السماء . فوقع مشويا بين رغيفين

ما اشتريتها منك بدينار. وسأله رجل أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان فاذا قضيت لك احداهما فقد أنصفت، قال رضيت، قال: فأنا أؤخرك ماشئت ولا اسلفك. وقيل له هل خلق خلق اطمع منك؟ قال نعم: أمي فاني كنت اذا جئتها بفائدة قد اعطيتها، قالت: ماجئت به افأتهجي لها الشيء حرفا حرفا، ولقد اهدي لنا مرة غلام، فقالت ما أهدي لنا؟ قلت عين. قالت ثم ماذا قلت لام الف ميم، فأغمي عليها وجعلت تضرط، ولو اكملت لها الحروف لماتت فرحا. ولمحمد مطروح الاعرج، من التبرم الملح ماهو أوقع من هذا، قال له رجل يوما: ماتقول يرحمك الله فى رجل مات يوم الجمعة، أيعذب عذاب القبر؟ قال يعذب يوم السبت. وقال له آخر اتجد فى بعض الحديث ان جهنم تخرب؟ قال: ماأشقاك ان اتكلت على خرابها. وقال شريك بن عبد الله القاضي: سبع من العجائب، عمياء منقبة، وسوداء مخضبة، وخصى له امرأة، ومخنث يؤم قوماً، وشيعي اشعرى، وعربي اشقر، ثم قال: من المحال عربى اشقر، خرج ابو دلامة مع المهدى فى مصادلهم، فمن له ظبى، فرماه المهدي فأصابه، ورمي على بن سليمان فاخطا، واصاب الكلب. فضحك المهدى. وقال لابى دلامة قل فقال.

قد رمي المهدى ظبيا شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل امرىء يأكل زاده

أخذ رجل شرب. فأتى به الوالي فقال: استنكهوه. فقالوا. ان نكهته لا تبين عليه قال فقيؤه فقال الشارب: فان لم أقيء شرابا فمن يضمن

لى عشائي ؟ وخطب رجل خطبة نكاح وإعرابي حاضر فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ، حي على الفلاح ، فقال الاعرابي. لاتقم الصلاة فاني على غير وضوء . وقال الهيثم بن عدى بينا أنا بكناسة الكوفة اذا برجل مكفوف البصر . قد وقف على نخاس يسوق الدواب فقال له . أبغي حمارا ليس بالصغير المحتقر . ولا بالكبير المشتهر اذا خلا له الطريق تدفق . فاذا كثر الزحام ترفق . وان أقللت علفه صبر . وان أكثرته شكر . واذا ركبته هام . واذا ركبه غيري نام . فقال له النخاس ياعبد الله اصبر فان مسخ الله القاضي حمارا اصبت حاجتك ان شاء الله. وقال سفيان بن عيينة : دخلت الكوفة فى يوم فيه رذاذ من مطر فاذا أنا بكناس فتح كنيفا ووقف على رأس البئر يقول بلدة طيب ويوم مطير ، هذه روضة وهذا غدير ، ثم قال لصاحبه انزل فيه فأبي عليه وهو يقول :

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

ـ٢ـ باب اللغز كانت فى أبي عطاء السندى لثغة قبيحة . فاجتمع يوما فى مجلس بالكوفة فيه حماد الراوية وحماد عجرد . وحماد بن الزبرقان، وبكر بن مصعب فنظر بعضهم الي بعض وقالوا ما بقي شيء الا وقد تهيأ في مجلسنا. فلو بعثنا الى ابي عطاء السندى . فأرسلوا اليه . فاقبل يقول : مرهبا مرهبا هيا كم الله . وقد كان قال احدهم من يحتال لابى عطاء حتى يقول جرادة . وزج وشيطان . فقال حماد الراوية انا . فقال يا ابا عطاء . كيف علمك باللغز ؟ قال هسن يريد حسن فقال له :

فما صفراء تكنى ام عوف   كان سويقتيها منجلان ؟

قال زرادة فقال اصبت . ثم قال :

اتعرف مسجدا لبني تميم   فويق الميل دون بني ابان ؟

قال في بنى سيتان، قال اصبت . ثم قال :

فما اسم حديدة في الرمح ترى   دوين الصدر ليست بالسنان ؟

قال زز، قال اصبت . وقال آخر في البيضة :

الا قل لاهل الراي والعلم والادب   وكل بصير بالامور لدى ارب

الا خبروني اى شيء رايتم   من الطير في أرض الاعاجم والعرب

قديم حديث قد بدا وهو حاضر   يصاد بلا صيد وان جد في الطلب

ويؤكل احيانا طبيخا وتارة   قليا ومشويا اذا دس في اللهب

وليس له لحم وليس له دم   وليس له عظم وليس له عصب

وليس له رجل وليس له يد   وليس له رأس وليس له ذنب

ولا هو حي لا ولا هو ميت   الا اخبروني إن هذا هو العجب

وقال آخر في القلم :

فلا هو يمشي لا ولا هو مقعد   وما ان له رأس ولا كف لامس

ولا هو حي لا ولا هو ميت   ولكنه شخص يرى في المجالس

يزيد على سم الأفاعي لعابه   يدب دبيبا في الدجى والحنادس

يفرق اوصالا لصمت بجينه   وتغري به الاوداج تحت القلانس

اذا ما رأته العين تحقر شأنه   وهيهات يبدو النفس عند الكرادس

حمدا لمن أبدع الانسان من ماء مهين ، فجعله نطفة فى قرار مكين ، فصوره صورة ، فأكمل خلقته ،وأودع فيه من سر الروح ولطيف حكمته ماسخر له الارض والكواكب بعظيم قدرته، والصلاة والسلام على خير خلقه وصفوة عباده ، وعلى آله واصحابه التابعين سبيل رشاده، وبعد فقد كمل ما اخترناه من كتاب العقد الفريد ، والجوهر النضيد، فجاء يرفل في ثياب الاحسان وحاز من كل فاكهة زوجان ، لا يستغنى عنه اديب ولا كاتب ، ولا يمله عالم ولا طالب ، وقد توخينا الجهد فى تنسيقه وتصحيحه مع حسن الطبع ، وجودة الورق ، وذلك بالمطبعة المحمودية التجارية الكائن مركزه العمومى بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر لصاحبها ومديرها محمود افندي على صبيح

فهرس

كتاب مختار العقد الفريد لابن عبد ربه

صحيفة

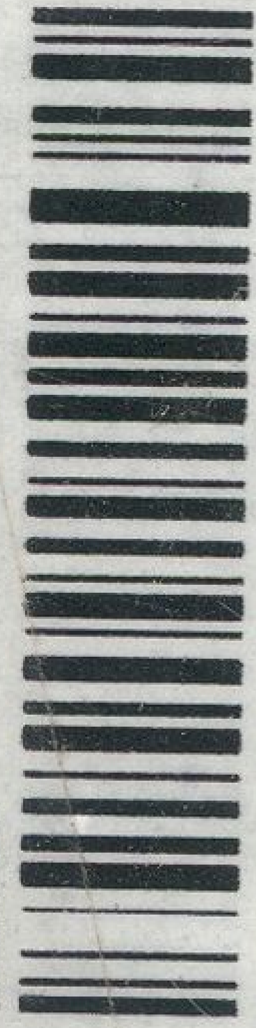
صحيفة

محمود على صبيح صاحب المكتبة المحمودية التجارية

الكائن مركزها العمومى بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

أتشرف بتفكيركم بمكتبتنا الشهيرة بأنها تحتوى على أنفس الكتب القديمة والحديثة . علميه . تاريخيه . أدبيه . فلسفيه . شعريه . روايات فكاهيه قصصيه ويوجد بها أيضا جميع أصناف مصاحف القرآن الشريف ودلائل الخيرات . من كبيره وصغيره على اختلاف الطبعات مصريه واستامبوليه . والنتائج بأنواعها والمكتبة مستعدة لارسال كافة الطلبات لجميع الجهات فى داخل القطر المصري وخارجه مراعية السرعة والصدق فى القول والاخلاص فى العمل وملاحظة جودة الورق ونظافة الطبع وتصحيح الكتب حيث اننا بفضل الاعتناء وحسن الالتفات قد أصبحت مكتبتنا حائزة لثقة عموم عملائها (نعمة نحمد الله عليها) مع العلم بان لديها كتب مما عنيت منفردة بشرائها واحتكارها خلاف المطبوعات التى طبعتها فى فنون مختلفة مالا يوجد بغيرها كما وان أسعارها من المهاودة بمكان عظيم لدرجة لا يمكن للغير مزاحمتها فيها . ونرجو ممن يتفضل بمعاملتنا أن يشرف مكتبتنا أو يكاتبنا عن أى طلب على سبيل التجربة ليكون على بينة من حسن معاملتنا وزهادة أثماننا بحيث ان تكون أقل من جميع المكاتب مهما كانت ولنا الثقة التامة في حضرات عملائنا وزبائننا المحترمين ان يشرفونا بجميع طلباتهم واننا لعلى تمام الاستعداد لتأدية عموم مايلزم من الخدم ونسأل الله ان يوفقنا لخدمة العلم والادب والمشتغلين بهما العاملين على نشرهما والسلام

للمكتبة فهرسة (قائمة) بالكتب بجميع أنواعها واثمانها تطبع سنويا وترسل لمن يطلبها مجانا فى عموم الجهات



Bibliotheca Alexandrina
0428870